



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



السَّهْمُ الذَّهَبِيُّ
في الدرس اللغوي
"علوم اللغة ، والأصوات ، والمعاجم"

تأليف

الدكتور / عاطف فكار

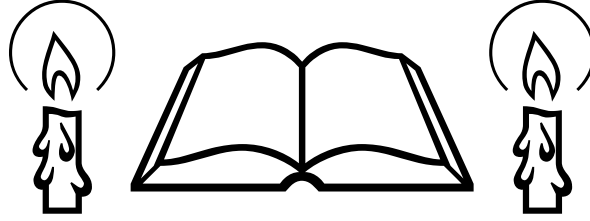
أستاذ النحو والصرف والعروض
رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بقنا
جامعة جنوب الوادي
مقرر : الفرقة الرابعة
أستاذ المقرر : أ.د/ عاطف فكار

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27)
يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)

صدق الله العظيم [طه/٢٥ : ٢٨]

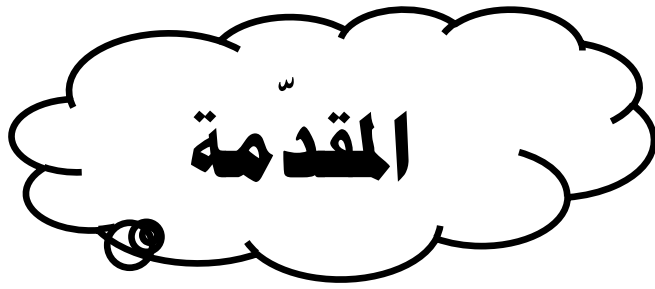


إهداء هذا الكتاب

إلى :

- والدي الطيب (رحمه الله) .
 - ووالدتي الصّابرة الغالية ، التي أعطتني ، ولم تأخذ مني .
 - زوجتي الغالية ، وزهرات عمري أبنائي .
 - والزملاء والزميلات .
 - كلُّ مُحبٍّ للغة العربية على امتداد الوطن العربي الكبير .
-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المقدمة

الحمدُ لله حمداً يليقُ بجلاله وعظيم سلطانه ، فسبحانه الكريم المنان خلق الانسان ، وعلمه البيان ، وأنزل على عبده كتابه بأفصح لسان ؛ فكان للناس هدىً وتبياناً ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد المبعوث بلسان عربي مبين وعلى آله وصحبه أجمعين أمّا بعدُ ،

■ فقد اعتمد العرب على الملاحظة والمخالطة والتجربة باعتبارها ينبوع الأول لعلومهم ، وهم المعروفون ببدواتهم كغيرهم من الأمم المتعددة التي مرّت في سيرها للحضارة بهذه البداوة التي لا تتيح دراسة منظمة ، ولا فكراً فلسفياً متعمقاً ، ولا قدرة على الربط بين المعلول وعلته ، ولا الحدث وسببه ، ومع ذلك فمن العرب من كان متميزاً بلون من المعرفة المستمدة من الحواس والبيئة والأحداث ، فهي معرفة من نتاج طبعه، ومن خطرات فكره ، مبنية على تجربة ذاتية متوارثة ؛ لذا لم يكن للعرب علم أو ثقافة، أو معرفة ذات أصول وقواعد ، فطور البداوة يناقض ذلك ... حيث كان العربُ البداوة جاهلين باللغة كتابة وقراءة لبداوتهم ، وذلك بخلاف العرب من أهل الحضرة في الطائف ، ومكة ، ويثرب ، والحيرة^٢ ، والشام ، واليمن ، وقريش ، ومصر ، والعراق ، والحبشة ؛ حيث كان التجار يضربون في الأرض إلى هذه المدن ، والتجارة في حاجة إلى كتابة وحساب، وفي هذه المدن نشأ الكتابُ والقُرْأُ، ووجدت كتابات عربية، ومئات الألواح والصُّور في

١ . تعرب [أمّا] عوضاً عن أداة الشَّرط وفعله ، و [بعدُ] : ظرف متعلّق بفعل الشَّرط المحذوف ، وما بعد الفاء : جواب الشَّرط ، والتقدير: مهما يكن من شيءٍ بعد، فكذا . انظر: السَّهم الذهبي ، د/ عاطف فكار ، كلية الآداب ، (المقدمة)

٢ . كان أهل الحيرة يعلمون أبناءهم الكتابة في الصَّغر، كما فعل حماد بن زيد بن أيوب كاتب النعمان الأكبر، ثم علم حماد ابنه زيد الذي أتقن العربية والفارسية ، وتولى كتابة البريد بالعربية لكسرى زمناً ، وكذلك منهم عدى بن زيد العبادي الذي كتب في ديوان كسرى، وكتب أهل الحيرة تاريخهم في الجاهلية ، وأخبار العربية ، والأنساب ، والأعمار ، كما دوَّنوا الأشعار ، ومدائح الملك النعمان بن المنذر لأهل بيته ، وعلقوها وأثبتوها في الخزائن بأمر من الملك ، كما كتب العرب الأخلاف، كحلف ذى المجاز ، وكتبوا الديون والعهود والمواثيق والكفالات، ووصفوا مظاهر الطبيعة في العصر الجاهلي .

انظر: الحيوان ، للجاحظ ١ / ٦٨ ، والأغاني للأصفهاني ٢ / ١٠٠ وما بعدها ، وشرح المفضليات لابن الأثير ، ص ٤٦٠ ، والعمدة ، لابن رشيح القيرواني ١ / ٦١ ، والخصائص ، لابن جنّي ٣ / ٣٩ ، والمزهر ، للسيوطي ٢ / ٣٥١ ، وطبقات الشعراء ، لابن سلام ، ص ٢٣ .

عهد دولة معين ، وسبأ ، وجمير في جنوبي الجزيرة العربية ، ووجدت كتابات عربية على قبة قصر (غمدان) بجوار صنعاء ، وعلى عمود مأرب (سد بين صنعاء وحضرموت وعلى ركن حصن المشقر (حصن بالبحرين) .

- **ولما أشرق نور الإسلام** كان في قريش وحدها سبعة عشر رجلا يكتبون، منهم ورقة بن نوفل الذي كان يكتب باللغتين (العربية والعبرية) ، وكاتب صحيفة المقاطعة كان من قريش ، كذلك تعلم الأوس والخزرج من جماعة من اليهود كانوا يكتبون الخط العربي .

- وفي غزوة بدر الكبرى افتدى بعض مشركي قريش أنفسهم بتعليم عشرة من أولاد الأنصار الكتابة ، وذكر أن النضر بن الحارث بن كعدة القرشي قد أجاد الكتابة (العربية ، والفارسية) ، ودون أخبار الفرس وقصصهم ..

- **كما أن من الصحابة** (رضوان الله عليهم) من الكتاب من دونوا القرآن الكريم ، ومنهم من كتب الرسائل إلى الملوك والأمراء ، وقد عرف هؤلاء الكتابة قبل الإسلام ، أمثال : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، والزبير بن العوام ، وعامر بن فهيرة ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن الأرقم ، وثابت بن قيس ، وخالد بن الوليد ، وزيد بن ثابت ، وأبى بن كعب ، وعبد الله ابن أبي سرح ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وحنظلة الأسدي ... كما كانت (الشفاء) ابنة عبد الله بن عبد شمس العدوية تكتب ، ولما أسلمت قبل الهجرة وفدت على النبي (ص) بالمدينة ، وعلمت السيدة (حفصة) الكتابة ، وكذلك السيدة أم كلثوم ، أما السيدة عائشة ، والسيدة أم سلمة (رضى الله عنهما) فقد كانتا تقرأن المصحف ، ولا تكتبان¹ .

- **وبعد فإني أرى أن القرآن الكريم** ذكر مادة القراءة (سبع عشرة) مرة ، ومادة التلاوة (ثنتين وستين) مرة ، ومادة الكتابة بمعنى الخط (ثلاثمائة) مرة ، والقلم (أربع) في أربع آيات ، والصحف (ثمان) مرّات ، والدرس ومادته (ست) مرّات ..

- **فهل يعقل أن هذا العدد الوفير من الآيات التي تذكر القراءة، والكتابة، والتلاوة، والقلم والسطر، والدرس، والصحف يخاطب قوماً يجهلون القراءة والكتابة جهلاً عاماً** ، سبحانه هو القائل :

¹ سيرة ابن هشام ١/٣٢٠

* [اقرأ باسم ربك الذي خلق] العلق/١ .

* [هاؤم اقرأوا كتابيه] الحاقة /١٩ .

• [اقرأ كتابك] الإسراء /١٤

• [يتلو صُحفاً مُطهرة] البينة /٢

• [وليكتب بينكم كاتب بالعدل] البقرة / ٢٨٢ .

• [كراماً كاتبين] الانفطار / ١١

• [ولقد كتبنا في الزبور] الأنبياء / ١٠٥ .

• [ن . والقلم . وما يسطرون] القلم / ١٠٢

- **فليس بصحيح ما شاء قديماً وحديثاً عن جهل العرب المسلمين بالقراءة والكتابة ؛ فللعرب دور واضح وإسهامات متنوعة في الدرس اللغوي يجب أن نبرزه لنجعله أسساً من أسس أصول علم اللغة الحديث ؛ لما فيه من دقة ، وشمول ، ووضوح ، ، وباعتبارهم اللغة من أعرق مظاهر الحضارة الإنسانية ، وصناعة الرقى والتقدم ، وقوام الحياة الروحية ، والفكرية، والمادية ؛ حيث تخلق من أفراد المجتمع الإنساني أمة متماسكة الأصول ، موحدة الفروع .**

- **وحيث إنها ظاهرة اجتماعية معقدة ، أو نظام من الرموز والإشارات الاصطلاحية ، تحتاج في دراستها للاستعانة بعلوم أخرى ، كعلوم (الاجتماع ، وعلم وظائف الأعضاء ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والنفس ، واللغة التطبيقية) ، وباعتبار آخر هو أنّ هذا العلم أصيلٌ في تراثنا العربي الإسلامي ، وعليها يتوقف جانبٌ كبيرٌ من سعادته أو شقائه بما يحققه من نجاحٍ في الاتصال بغيره من البشر .**

- **واللغة التي تدور حولها هذه الدراسة هي اللغة التي تتمثل في كل الكلام الإنساني ، وليست اللغة العربية ، أو الانجليزية ، أو الفرنسية ، أو الألمانية ، أو غيرها من اللغات ، وأن الأصول والخصائص الجوهرية التي تجمع بين سائر اللغات في كل صورها هي موضوعات علم اللغة . فاللغة من حيث هي وظيفة إنسانية عامة دارت حولها مباحث اللغة وعلومها باعتبارها تخدم الدراسات اللغوية عامة ، وهذه الدراسات والنظريات تتفق مع أحدث ما انتهى إليه علماء اللغة**

المحدثون^١ ؛ لذا تُعدّ اللغة من أعجب المبتكرات التي أفرزها التطور البشري ، واحتاجت إلى جهود كثير من العلماء لفكّ شفرتها ، وتفسير حقيقتها .

تناول علماء العربية عناصر اللغة " مستوياتها " : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية^٢ ، ويُعدّ الجانب الصوتي من أبرز هذه الأنظمة اللغوية ؛ لما له من كبير الأثر في الأداء والنطق اللغوي السليم ، وتعليم ، وتعلّم اللغات الأجنبية .

. **وأدرك علماء اللغة أهمية** ودور الأصوات في تكوين البناء اللغوي ، فجعلوا لها دراسات خاصة مستقلة ذات مناهج وتطبيقات عملية مفيدة في جوانب متعددة : في التعليم ، والهندسة ، والاتصالات ، والإعلام ، والطب ، وغيرها ؛ لذلك ألقى الضوء على هذا النوع من الدراسة فتناولت الصوت اللغوي (معناه ، وكيفية حدوثه ، وإنتاجه ، وأعضاء الجهاز النطقي ، وتقسيم الأصوات اللغوية حسب نطقها (مخارجها) ، وحسب خصائصها ، وذلك بصورة ميسرة تهدف إلى معرفتها بسهولة حتى يتشوّق الطالب لدراستها والخوض فيها ، كلٌّ حسب إمكاناته وميولاته ، وليعرف أن العربية هي اللغة الوحيدة السامية التي عرفت علم الأصوات ودراسته منذ زمن الخليل ..

■ **نعم ، لم نفِ بحاجة الباحثين** ؛ لتفرع هذا العلم ، وتعدّد مناحيه مما يجعله في حاجة إلى وقت طويل ، وبحوثٍ ممتدة ، ولكن ما ذكرته يُعدّ من أولويات ما يجب أن يعرفه وأن يهتمّ به دارسو اللغة باعتباره البذرة الطيبة لدراسة أتم وأكمل .. لذا كان من الضروري أن يقف دارسو اللغة العربية على هذه الجهود المبذولة ، وعلى تلك النظريات والنتائج التي تمخضت عنها هذه الجهود في مجال علم اللغة ومستوياته ، وهي معروضة في هذا الكتاب عرضاً يجمع إلى الدقّة والصحة الوضوح والبيان ...

١ . انظر : مقدمة في علوم اللغة ، د / البدرى زهران ، ص ٥ ، ط ثانية ، دار المعارف ١٩٨٦ م .

٢ . قسم العلماء مستويات التحليل اللغوي (مجالات علم اللغة) إلى أربعة مستويات (صوتية ، وصرفية ، ونحوية ، ودلالية) ، بينما يجعلها د/ السعران (رحمه الله) ثلاثة (صوتية ، ودلالية ، والمستوى الصرفي والنحوي معاً) ويجعلها أستاذي د/ كمال بشر (رحمه الله) خمسة (الأصوات ، والصرف ، والنحو ، والمعنى ، والمعاجم) ... ويقسمها أستاذي د/ محمود فهمي حجازي أربعة (صوتية ، وصرفية ، ونحوية ، ومعجمية)
انظر : علم اللغة (القسم الثاني) د / كمال بشر ، ص ١٠ : ١٢ ، وعلم اللغة د/ محمود السعران ، ص ٨٩ ، ١٢١ ، ١٨٣ ، وأسس علم اللغة العربية د/ محمود فهمي حجازي ، ص ٤٣ .

درس الباحثون اللغة قديماً باعتبارها أهم المميزات التي يمتاز بها الإنسان عن غيره من سائر المخلوقات ، واستخدموا فيها مناهج وطرقاً متعددة بأفكار وأساليب متنوعة .واهتموا بوضع القوانين وتنوع المناهج البحثية ، ومنها : المنهج التاريخي، والوصفي ، والمقارن ، والمعيارى ، والتقابلى .حسب نوع البحث وأهدافه طبقاً لرغبات الباحث المتخصّص في اللغة أو في الأدب .

تمهيد

القرآن الكريم واللغة العربية

القرآن الكريم واللغة العربية

■ **القرآن منجز علوم اللغة في التراث**^١ ، حيث يبذل الدارسون طاقتهم حول الكتب المقدسة ، حيث تستخرج مكنونات العقول ، وتتعدّد المباحث ، وتنفجر العلوم وتنوّع .. فقد كان كتاب (الفيدا) المقدس عند الهنود سبباً في سبقهم في الدراسات اللغوية بصفة عامة ، فصنّفوا في الدراسات الصوتية مباحث جليّة ، وخلفوا نحوًا بالغ الدقّة ، ومن أبرز النحاة الوصفيين القدماء في الهند هو العالم (بانيني) .

■ **ويعدّ صاحب الفضل في نشأة " الدراسات اللغوية " في التراث الإسلامي ؛ لأنه نصّ لغويّ تتطلب العناية به الخوض في هذه الدراسات ، وذلك يدل على خوف علماء المسلمين من أن يُصيب القرآن لحنً ، أو تحريف أصحاب الألسنة بعد الفتوحات الإسلاميّة ، واختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم ؛ لذلك حافظ علماء المسلمين على القرآن ، وتوزّعت جهودهم حوله ، فاتجهت طائفة منهم لتصحيح متنه^٢ ، وبرعوا في ذلك فنشأ بفضل هؤلاء العلماء علم العربيّة ، وكان أول من وضعه (أبو الأسود الدؤلي ت ٦٩ هـ) ، وهو أول من ضبط المصحف بالشكل .**

■ **ومن علماء المسلمين الذين عنوا بدراسة القرآن : نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وزر بن حبيش ، وعثمان بن عفّان ، وعلى بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعاصم بن أبي النجود ، وسليمان الأعمش، وعمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وعمرو بن دينار، والزهري ، ويونس بن حبيب ، والكسائي ... وهم علماء في القراءة ، واللغة ، والنحو .. ومن ملاحظاتهم للقراءة والنقط والربط بينهما اهتموا إلى حركات الإعراب، وأتقنوا ترتيل القرآن، ومخارج حروفه فأنشأوا بذلك ما عرف بعلوم القرآن ، وقد زادت على خمسين نوعاً^٣ ، واهتدوا وهم بصدد ترتيل القرآن والاعتناء به للخوض في دراسات ومباحث لغوية تطورت فيما بعد وصارت علومًا .**

وكلّها تخدم ميادين البحث اللغوي، وعرفت هذه العلوم باسم علوم العربيّة ، وعرف فيما بعد

^١ - راجع : مدخل إلى علم اللغة د/ البدر اوى زهران (رحمه الله) ، ص ٢٥ وما بعدها ، والعربية لغة العلوم والتقنية ، د/ عبد الصبور شاهين ، ص ٥٩ : ٦٣ ، ط ثانية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، دار الاعتصام

^٢ - من يتدبر القراءات القرآنية يجد أن المغايرة قد تكون إما تغيير في الحركات أو في الأبنية ، والصيغ ، أو في الأصوات ، أو في الألفاظ ، وكلها من مباحث الدراسات اللغوية انظر : مقدمة في علم اللغة ، د / البدر اوى زهران ، ص ١٦ .

^٣ - ذكرها الإمام السيوطي في كتابه " الإتيان في علوم القرآن " ، ومن هذه العلوم : مواطن النزول ، وقائعه ، أوقاته ، الابتداء ، الوقف ، الإمالة ، المدّ ، الإدغام ، الغريب ، المشترك اللفظي ، المترادف ، الاستعارة ، التشبيه ، دراسة المعجم ، الاشتقاق ، أحكام القرآن ، الفصل والوصل ، الإيجاز ، والإطناب ، والقصر ، وعلم التراكيب..... انظر: الإتيان ، للسيوطي ، ط ١٩٧٣ م ، المكتبة الثقافية ، بيروت .

بعلم النحو، ويتضمن في مفهومه الدراسات الصرفية والصوتية، وكان عمل "أبي الأسود الدؤلي" وغيره من النحاة في بادئ الأمر أن يعربوا المصحف، أي: يضبطون أواخر كلماته بالنقط، ويرسلون المصاحف في الناس يهتدون في القراءة بها، وتكون لهم إمامًا، وما إن اهدوا إلى قواعد الإعراب حتى كانوا قد أحاطوا بها ودونوها، وجمعها "سبويه" في كتابه الذي لم يزل من بعده إمام النحاة^١.

■ اللغة العربية قادرة على التعبير عن مختلف الأفكار وشتى الموضوعات، والتعبير العلمي في مجال العلوم، ونقل المصطلحات العلمية الدقيقة، كما أنها قادرة على ملاحقة جميع مجالات التقدم العلمي؛ لذا فهي لغة حضارية علمية.

■ ارتبطت حياة الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل بالقرآن الكريم التي امتدت آثاره المضيئة إلى معظم بقاع الأرض، وكان تأثيره في اللغة العربية كبيرًا وشاملاً.

١ - أثر القرآن في نظام اللغة العربية، وأبنيتها، كالنظام الصوتي، والصرفي، والنحوي، ونظام المعاني.

ففي النظام الصوتي: حافظ القرآن على الخصائص اللغوية للأصوات العربية، وحفظها من انقراض بعض أصواتها نتيجة انتقال اللغة عن طريق التلقي بالمشافهة؛ حيث حرص المسلمون على عدم التهاون، أو التفريط في أي تحريف، أو تغيير في نطق أي صوت من أصوات اللغة، أو طريقة الأداء للنص القرآني، وتعد اللغة العربية السامية هي اللغة الوحيدة التي توجد فيها أصوات الحلق، وأصوات الإطباق كاملة بغير نقصان.

وفي النظام الصرفي: حافظ القرآن الكريم على أبنية الكلمات العربية، والأوزان الصرفية لها وفي النظام النحوي: أضاف القرآن تراكيب جديدة لتوضيح مفاهيم الدين الجديد، والتعبير عن أفكاره؛ حيث حافظ على نظام الإعراب.

وفي نظام المعاني:

اتضح أثره في تهذيب وتنقيح اللغة، وساهم في الارتقاء بها من كافة جوانبها: (الأغراض، والمعاني، والأخيلة، والأساليب، والألفاظ).

^١ انظر: إحياء النحو، للأستاذ إبراهيم مصطفى، ص ٩ : ١١.

وفى الأغراض :

عالج القرآن أموراً لم تكن العربيّة تعنى بها من قبل ، كمسائل القوانين، والتشريع، والقصص ،
والعقائد ، والإصلاح الاجتماعى ، وأمور في السباسة ، والقضاء ، والعبادات ، والمعاملات ،
ودراسة الظواهر الطبيعية ، والفلك ، والحيوان، والنبات ، بالإضافة إلى أغراض أخرى ظهرت
بسبب انتشار الإسلام ، ومظاهر الحضارة ، وتقدم العلوم والفنون فأدى ذلك إلى اتّسع
الأغراض وارتقائها من ناحية المعاني ، والأخيلة ، والأساليب .

أثر القرآن فى المفردات :

■ **نلاحظ تميز مفردات العربيّة بنصاحتها ؛ حيث جعل علماء البلاغة العربيّة شروطاً لنصاحتها من أهمها :** أن تخلو من التنافر بين حروفها .

■ **كما نلاحظ دخول ألفاظٍ أجنبية إلى اللغة العربيّة ، وقد ألفتها العرب ، وصارت كأنها من أصل عربيّ ، مثل :** (المرجان، والفردوس) : معرّبان عن اليونانية، و (سندس، وأباريق) : معرّبان عن الروميّة ، ولفظ (بلع) فى قوله تعالى : (وقيل يا أرض ابلعى ماءك) : معرّب عن الحبشيّة ، وأصله من الهنديّة^١ .

■ **كما نلاحظ إثراء القرآن الكريم للثروة اللفظيّة للغة العربيّة بالكثير من المفردات ، بخلاف المفردات المستعملة ، أو الشائعة من قبل .**

أضاف القرآن لألفاظ العربيّة فوق معانيها القديمة معانٍ جديدة تتصل بالعبادات ، والشعائر ، وشئون الإدارة ، والحرب ، وأمور السياسة ، والمصطلحات العلميّة ، والفنيّة ، والأدبيّة ومن تلك الألفاظ : (الصلاة، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والإمام ، وأمير المؤمنين ، والقاضى والوالي ، والخليفة ، والشرطة ، والوظيفة ، والقطائع ، والشاتية ، والصائفة ، والمتطوعة ، والثغور ، والعمارة ، وديوان الجند ، وديوان الرسائل ، والخاتم ، والسكّة ، والنعت ، والتوكيد والتعزيز ، والحد ، والجوهر ، وغيرها من المفردات فى مختلف الفنون)^٢ .

كما قضى الإسلام على كثير من الألفاظ العربيّة الجاهليّة التي تدلّ على نُظْم حرّمها الإسلام ،

^١ . للمزيد من هذه الألفاظ . انظر فى القراءات القرآنيّة فى ضوء علم اللغة الحديث ، د/ عبد الصبور شاهين

^٢ . انظر : فقه اللغة ، د/ محمد إبراهيم نجا ، ص ٩٢ وما بعدها .

كأسماء الأنصبة التي كانت لرئيس الحرب قديماً (كالمرباع ، والصفايا ، والفضول ، وكألفاظ الإتاوة ، والمكس ، والحلوان ..

كما قضى الإسلام على أسماء أيام وأشهر كان لها اتصال بشئون وثنية، أو نظم جاهلية لدى العرب ، واستبدل الإسلام بدلها الأسماء الحالية .

- أثر القرآن في تثبيت دعائم الوحدة اللغوية :

المقصود من ذلك هو اجتماع الأمة العربية على صورة موحدة للغة (اللغة العربية المشتركة ؛ لتتفاهم بها قبائل وعشائر العرب ، حيث نزل القرآن بها ، وفهمه العرب ، وأدركوا إعجازه ، وعمل القرآن على تدعيم هذه الوحدة عن طريق :

أ . تقوية سلطان لغة قريش ؛ إذ نزل القرآن الكريم ، وجاء الحديث النبوي الشريف بهذه اللغة وهما دعامة الدين الإسلامي المعتقد من معظم قبائل العرب، كما أدى انحصار الخلافة الإسلامية ، ومعظم مقاليد الأمور في يد قريش زمناً طويلاً . إلى تثبيت دعائم اللغة ..

ب . المحافظة على النصّ القرآني من الفساد ، أو اللحن ، أو التحريف ساعد ذلك في تثبيت دعائم الوحدة .

ج . باعد القرآن بين تحويل اللهجات العربية مع الزمن إلى لغات مختلفة فحافظ على الوحدة اللغوية .

د . استمرار التعبد بالقرآن الكريم ، وتلاوته ، ومدارسته ، والالتفاف حول مائدته ، والتفقه في علومه ؛ مما زاد من رسوخ وثبات الوحدة اللغوية .

. فالقرآن أدى إلى تثبيت الوحدة اللغوية ، وجمع أبناء العربية على لغة واحدة يستعملونها في تلاوتهم للقرآن الكريم ، وتفسيره ، وتدارسه ، ويستعملونه في صلواتهم وقضائهم وأحاديثهم

- أثر القرآن في تحقيق العالمية للغة العربية

أ . انطلقت العربية متحركةً إلى كلّ مكان تحرك فيه القرآن الكريم ، وقضت على معظم اللغات التي سادت في معظم هذه البلاد آنذاك .

ب . ضمن القرآن استمرارية هذه اللغة وبقاءها ، فالله تعالى حفظ كتابه ، وضمن استمراره

¹ - كما تحولت لهجات اللغة السامية الأولى إلى لغات ، كالأكدية ، والآرامية ، والعربية ، والحبشية ، وكذلك تحول لهجات اللاتينية لأوروبية .

وبقاءه ، فلا بد أن نستمر اللغة العربية التي نزل بها كتاب الله ، وأن تبقى ، وهو تشریف لم تحظ به آية لغة غير العربية ، وفي هذا تحقيق شريف لعامة اللغة العربية .. .

ج . صارت اللغة العربية وعاءاً للقرآن الكريم ، وللسنة النبوية المطهرة ، ولتعاليم الرسول الكريم وأصحابه ، فحسبها ذلك من الانهيار أمام الحضارات الأجنبية ، أو ما يُعرف بـ (المعجم) .

- أثر القرآن في نشأة علوم العربية :

. أدى ارتباط اللغة العربية بالقرآن إلى الحرص على القرآن من التحريف وعلى لغته من تسرب اللحن إلى نطقه وقراءته ، ومحاولة تفسيره ، وفهمه ، وبيان أوجه إعجازه مما أدى إلى نشأة الكثير من العلوم العربية الإسلامية .

. واتجه كل علم بدراسة جهة من الجهات الكثيرة في كتابنا العظيم (القرآن الكريم) كعلم التفسير ، وعلم الفقه ، وعلم الأصول . كلها لفهم النص القرآني ، واستنباط أحكامه . كذلك اتجه فريق من العلماء لدراسة اللغة ؛ لأنها السبيل إلى فهم القرآن وتفسيره ، ومعرفة أحكامه وأصوله ، أي أن الباحث لدراسة اللغة هو باحث ديني ، وعلى مدى التاريخ الإسلامي نجد أن عالم اللغة . غالباً . ما يكون عالم دين ؛ لذا خلفت الحركة العلمية في القرون الإسلامية الأولى . خلفت . تراثاً واسعاً بفضل جهود علماء المسلمين الممثلة في :

أ . جمع وتدوين اللغة من أهل اللغة الأصلاء أنفسهم (فصحاء الأعراب القادمين من البادية) ، وتسجيلهم للغة سماعاً ومشافهةً في مجموعة من الرسائل أو الكتيبات متناولين مظاهر الحياة العربية ، كما فعل أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد الفراهيدي والكسائي ، ثم أبو زيد الأنصاري ، والأصمعي ، وأبو عبيدة ، وغيرهم .

ب . تأليف المعاجم اللغوية : سابقين بهذه الصناعة أكثر الأمم ، وذلك بشهادة المنصفين من علماء الغرب ، ومن أوائل هذه الكتب : (العين للخليل ، والجيم : لأبي عمرو الشيباني)^١ .

ج . علم النحو ، وكتاب سيبويه ، والتصريف للمازني ، والمقتضب للمبرد ، ومعاني القرآن

^١ . العين ؛ لأنه بدأ بحرف العين ، والجيم : الديباج ؛ إظهاراً لحسنه .

لأبى زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) وكُتِب ثقافيّة لغويّة عامة ، كأدب الكاتب ، لابن قتيبة ، والكامل فى اللغة والأدب، للمبرد ، وفصيح ثعلب ، ومجالس ثعلب ، وكتب اللحن فيما تلحن فيه العامة ، لعلى بن حمزة الكسائي ، وإصلاح المنطق ، لابن السكيت^١ .

وبعد فهذه قبسات من علوم اللغة العربيّة نخلص منها إلى :

. أنه لولا نزول القرآن الكريم بهذه اللغة لماتت تلك اللغة ، واندثرت كما اندثرت لغات سامية أخرى ، وذلك لأن العرب فى الجاهليّة لم يكونوا أهل حضارة ومدنيّة ، ولم يكونوا من ذوى القوة ، والسّلطان، والتطلّعات التوسعيّة، ولم يكونوا أصحاب دين سماوي مقدّس وكلّها عناصر إذا افتقدتها أيّة لغة ، فلا محالة إلى زوال ، أو تشعّب وانقسام .

.....

١ . يعالج فيها الخطأ فى الحركات أو أصوات العلة ، أو فى الأصوات الصحيحة ، أو فى المعنى

انظر : دراسات فى اللغة العربيّة ، د . فتحى محمد جمعة ، ص ١٣٢ : ١٥٧ .

الفصل الأول

(مفاهيم ، ومصطلحات)

[اللغة ، والمنهج ، والبحث]

مفاهيم ، ومصطلحات

تقتضي الضرورة أن نجد أو نعرف معاني المصطلحات الأربعة التي نحن بصدددها..

مفهوم مصطلح [اللغة] لغة واصطلاحاً

• كلمة (لغة) عربية أصيلة ، أم معربة ١٢ .

ذكر أهل اللغة، وأصحاب المعجمات أن كلمة [لغة] عربية أصيلة مشتقة من الفعل [لَغَى / يَلْغَى / لُغُوًا] بكسر العين في الماضي ، وفتحها في المضارع ، أي : لَهَجَ ، والجمع : لُغَات ، ولغون ، كقولهم : كرات ، وكرون . واللغو : يعنى النطق ، واللغا : يعنى : الصوت .

• وعلى هذا فإن كلمة اللغة واشتقاقاتها تدور حول معنى الأصوات الإنسانية ، وعليه فإن (علم اللغة) ، أو (فقه اللغة) يعنى : فهم الأصوات، وإدراك خصائصها ، وهو العلم الذى يتناول مفردات اللغة ، وتراكيبها ، وخصائصها ، والأطوار التى مرت به ٢ .

• وقيل (لغة) : مشتقة من الفعل: [لغا/ يلغو/ لغوا] ، أى : تكلم ، والأصل : لُغُوًا : بضم ، فسكون ، على وزن : فُعْلَةٌ ، ثم حذف لام الكلمة، وعوض عنه بالتاء المربوطة، فصارت : لُغَةٌ :

وقيل : لغة معربة من الكلمة الإغريقية [logs] ... وعربها العرب إلى [لوغوس] ، بمعنى : الكلام واللغة ؛ وذلك لوجود تشابه كبير بين الكلمة العربية [لوغوس] ، والكلمة الإغريقية [logs] ..

جاء التعبير القرآني بلفظ [لِسَان] ثمان مرّات ، ولم تأت لفظة [لُغَةٌ] فى القرآن الكريم ولو مرة واحدة كما فى قوله تعالى: " وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسانِ قومِهِ " إبراهيم/٤.. وقوله تعالى: " بلسانٍ عربيّ مُبينٍ " وذلك لما يأتى :

أ . وجود تشابه كبير بين الكلمة العربية والكلمة الإغريقية .

ب . تعبير القرآ بلفظ (لسان) نحو ثمانى مرات ، وليس بلفظ لغة ، كما فى قوله تعالى : (وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسانِ قومِهِ) إبراهيم ؛ ، أى : بلغة قومهِ ٣ ، ومنه قوله تعالى :

١ . انظر : دراسات فى فقه اللغة ، د/ ميمى الصالح ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ط ١٩٨٩ م ، دار العلم ، بيروت .

٢ . الخصائص ، لابن جنى ٣٣/١ ، وأساس البلاغة ، للزمخشري ، مادة (ل. غ. و) ، والمصباح المنير ، وتاج العروس مادة (ل . غ . و) .

٣ . يفرق العالم اللغوى (دوسوسير) بين مصطلحى (اللسان ، والكلام ، بقوله اللسان مجموعة من الصور اللفظية المختزنة فى الذهن الجماعى ، ، وأنها ذات قيم موحدة عند جميع الأفراد، على حين أن الكلام أمر فردى يكون المادة التى يبني منها

(بلسانٍ عربيٍّ مبين) على حين أن لفظ اللغة لم يرد في القرآن الكريم ولو مرة واحدة ؛ مما يرجح سبق اللسان للغة في الاستعمال العربي القديم .

ج . عدم ورودها في الشعر الجاهلي ، أو في الأدب العربي المنتثر قبل عصر الترجمة من الأغرقيّة .

. أي : أن كلمة (لغة) لم ترد مستعملة في كلام عربي يعتد به ، ولم يستعملها العرب الخالص في كلامهم ، وإنما كانوا كغيرهم من الأمم السامية ، بل كأكثر أمم الأرض يستعملون كلمة (لسان) للدلالة على اللغة .

اللغة عند علماء اللغة ، والاجتماع ، والنفس ، والمنطق ، والفلسفة :

لم يقتصر الاهتمام باللغة على علمائها ، بل إن هناك علماء غيرهم . كثيرين . اهتموا باللغة لاتصالها بقضاياهم العلميّة ، ومنهم علماء الطبيعة ، والتشريح ، والرياضة ، والتاريخ ، وعلم النفس ، والمنطق ، والفلسفة ، والاجتماع ، وغيرهم قديماً وحديثاً ، ومن ثمّ فقد خصّها الباحثون والدارسون ، بالاهتمام والدراسة ؛ لذا فسنعرض لمفهومها ، وبيان حقيقتها .

عرفها « ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) " بأنها " أصوات يعبر بها كلّ قومٍ عن أغراضهم " ، ويشمل هذا

التعريف مادة اللغة (طبيعتها) فهي رموز صوتيّة أحلها الإنسان بموهبته الخلاقة محل

الخواطر والأفكار ، وذلك لأن الرمزيّة هي العمل الأساسي في الفكر الإنساني ، كما يشمل عرفيّة

اللفظ ، ويشمل اجتماعية اللغة ، حيث تنشأ اللغة بالمجتمع وتحيا به ، كالنبات يحي ويثمر تبعاً

للتربة ، ويشمل وظيفة اللغة في أنها أداة للتعبير عن أغراض أفراد المجتمع والجماعة ، وقد

نقل السيوطي ، وابن منظور ، والشريف الرضي ، وابن خلدون هذا التعريف ، وهذا التعريف

يتفق مع الدرس اللغوي الحديث الذي رأى أن اللغة أصوات ، وحددتها دائرة المعارف

اللسان ، وذلك ينوع من الاتفاق الجماعي ، بمعنى : أن اللسان أداة للثقاف الجمعي .. والكلام نشاط فردي لغوي يعالج الحياة الواقعيّة للفرد ، وهو وحده الذي يعبر عن الواقعية والعاطفية ، أما اللسان فليس سوى إمكانات تعبيرية ، وقد عارضه في ذلك تلميذه (شارل بالي) الذي يرى أن أستاذه قد تغالى في اعتبار اللسان أمراً ذهنيّاً ناتجاً عن العقل الجمعي ، ويقول أستاذي د/ عبد الصبور شاهين (رحمه الله) : 'وعلى أي حال فليس من المقبول أن نفصل فصلاً صارماً بين اللسان والكلام ، كما أنه ليس من صواب المنهج أن ندمجها إدماجاً تاماً ؛ فإن دراسة الكلام تقيد اللسان ، كما أن دراسة اللسان تقيد الكلام ، وخير لى أن أتناولهما بمنهج متكامل يبرز لأعيننا الحقيقة اللغوية كما ينبغي تناولها .

. انظر : علم اللغة ، د/ عبد الصبور شاهين ، ص ١ ، ط ٥ ، ١٤٠٨ م / ١٩٨٨ م ، مؤسسة الرسالة .

١ . الخصائص ، لابن جنّي ٣٣/١ ، تحقيق الشيخ / محمد علي النجار ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت .

البريطانية والأمريكية بأنها " نظام من الرموز الصوتية ، أي أنها هيئة ، أو شكل ، أو تركيبية خاصة تتفق عليها الجماعة اللغوية المعينة .

فَاللُّغَةُ : أداة للتعبير عن الأغراض والأفكار العقلية، والعواطف، والمعاني النفسية ، والرغبات ، والمطالب الحيوية ، والاحتياجات الإنسانية فهي وسيلة التفاهم المعبرة عن أفكاره واحتياجاته "والأغراض هي المعاني والدلالات التي يتناقلها الناس ويعبرون عنها بالأصوات والألفاظ ، فهي وسيلة التعبير عن الأغراض الكلامية " ولما كانت اللغة تتكون من دلالات وألفاظ حظيت بجانب كبير من عناية العلماء، فنجدهم درسوا هذه الألفاظ ودلالاتها ، فدرسوا الكلمة منفردة وموقعها في الجملة ومعناها عند تقدمها أو تأخرها.

- **ويعرفها الدكتور /إبراهيم أنيس** بأنها نظام عرفي لرموز صوتية (الأصوات) يستعملها الناس في الاتصال بعضهم ببعض "، وعرفها " دوسوسير " السويسري بأنها حصيلة اجتماعية لملكة الكلام ومجموعة من الأعراف الى أقرها المجتمع .، وبأنها " دراسة اللغة في ذاتها ، ومن أجل ذاتها أي دراسة اللغة التي يتحدث بها الناس بالفعل دون تغيير من طبيعتها ونظمها . دراسة موضوعية للكشف والوصول إلى حقيقتها دون تصحيح أو تعديل أو تقويم ؛ لأنها ليست من مهام الباحث "

وعرفها " سابير " الأمريكي بأنها " وسيلة إنسانية خالصة لتوصيل الأفكار والعواطف والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية^٢ .

- **وعرفها (هنرى سويت " الإنجليزي** بأنها التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات

- **وعرفها العالم الفرنسي " أنريه مارتينييه "** بأنها " أداة اتصال يحل بها الإنسان، ويبرز تجاربه في وحدات كلامية ذات مظهر صوتي ، ومحتوى دلالي .

- **وعرفها المحدثون بأنها " رموز ، أو علامات صوتية اصطلاحية ، تستعملها الجماعات الإنسانية في**

١ - انظر : اللغة بين القومية والعالمية ، د/ إبراهيم أنيس ، ص ١١ ، دار المعارف بمصر ، ط ١٩٧٠ م

٢ - انظر: اللغة بين الفرد والمجتمع ، د/ محمود السعران ، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص ٦٠ وما بعدها ، ومن أسس علم اللغة ، د/ محمد يوسف حبص ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ط ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

التعبير عن المعانى وغيرها من شئون الحياة " ١ .

- وقيل : إن اللغة وعاء للأفكار العقلية، أو المعاني النفسية، ووسيلة للتعبير عن مطالب الإنسان الحيوية .

- لذا نعتبر تعريف ابن جنى تعريفاً دقيقاً وافياً مشتملاً على حقائق شتى ، منها : أن اللغة أصوات ، إنسانية ، إرادية ، وظاهرة اجتماعية ذات وظيفة اجتماعية ؛ لأنها تنمو فى أحضان المجتمع ، ويعبر بها كل قوم عن أغراضهم المادية والمعنوية ، كل ذلك جعل ابن جنى فى مقدمة العلماء الباحثين عن اللغة وقضاياها المختلفة .

- وأن هذا التعريف يتفق مع تعريفات المحدثين للغة ، حيث إنهم عرفوا اللغة تعريفاً قريباً من تعريف ابن جنى .. ولقد أحسّ الدارسون للحضارات بأهمية اللغة لفهم الثقافة، وذلك لأن أى نظام لغوى تعبیر عن نظام إدراك جماعة من الجماعات لبيئتها ولنفسها ، وإذا لم يكن هذا التعبير كاملاً ، ومن ثمّ فلا يستطيع أن يفهم حضارة ما حقّ الفهم من يجهل وسيلتها اللغوية فى التعبير .

== اللغة وعلماء الفلسفة والمنطق :

- يرى الفلاسفة والمناطق ، وعلى رأسهم "جفونز" أن اللغة وسيلة لتوصيل الأفكار، والعواطف ، والرغبات ، وأنها مساعد آلى للتفكير ، وأنها أداة للتسجيل والرجوع ، وأراد بذلك لغة الكتابة لأن الشخص يكتب ، ويسجل أفكاره، وآراءه ، ثم يرجع إلى ما سجل وقت الحاجة إليه .

- وفى فهم ذلك صعوبة؛ فاللغة ليست مستودعاً للفكر المنعكس، أو وسيلة لتجسيم الفكر؛ فاللغة وسيلة للتفاهم بين أفراد المجتمع ، وتوصيل الأفكار ، وحلقة فى سلسلة النشاط الإنسانى المنتظم ، أى أن اللغة جزء من السلوك الإنسانى ، كما أن استعمال اللغة قد يكون للتسلية ، أو الترفيه، أو النظر فى أمور تخصهم فى إدارة أعمالهم ، وشئونهم ، وهذه الأشياء لا تدخل ضمن تعريفهم ؛ فاللغة لا تستعمل للتعبير عن الأفكار بقدر ما هي وسيلة للتعاون والترابط الاجتماعى ، كقولك للشخص : " كل عام وأنتم بخير " ، و " كيف حالك " ؟ ، فلا يقصد بذلك نقل الأفكار بقدر تكوين وإنشاء علاقة اجتماعية بينها .

اللغة هي ظاهرة عقلية عضوية نفسية اجتماعية تميزه عن غيره من الكائنات الحية ، وتتألف

١ انظر : دراسات فى اللغة العربية ، د/ فتحى محمد جمعة ، ص ٣ ، ط ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م

بنية هذه الظاهرة من أصوات تنظم في كلمات تكون الجمل لتؤدي الدلالات المختلفة .
واللغة : وعاء التجارب الشعبىة ، والعادات والتقاليد ، والعقائد التى تتوارثها الأجيال ، وهى سجل
تاريخ الشعب ، ترتقى برقيته ، وتنحط بانحطاطه ؛ لأنها ظاهرة اجتماعية تنمو فى أحضان المجتمع
وتربط بين أفرادها ، وتجعل منه وحدة متماسكة فى عاداته ، ومعاملاته .

والواقع أنه لا توجد لغة بدون وجود مجتمع ، ولا توجد لغة منفصلة عن جماعة إنسانية
تستخدمها وتتعامل بها فى علاقاتها وعاداتها فهى حد فاصل بين [شعب وشعب] ، و [أمة وأمة]
، و [حضارة وحضارة] ؛ فهى ظاهرة اجتماعية مكتسبة تنمو وتتطور مع المجتمع ، وتؤثر فيه
قوةً ، وضعفاً

بقدر ما هى وسيلة للتعاون والترابط الاجتماعى ، كقولك لشخص : [كل عام " وأنتم بخير] ،
وكيف حالك ؟

. فلا يقصد بذلك نقل الأفكار بقدر تكوين وإنشاء علاقة اجتماعية بينها..

وعرفها علماء الاجتماع بأنها " نظام من رموز عرفية ، يتعامل عن طريقها أعضاء المجموعة
الاجتماعية المعينة ، وهى الأداة الرابطة بين أفراد المجتمع ، ووسيلة التفاهم المعبرة عن أفكاره
 واحتياجاته ، وتجعل منه وحدة متماسكة ، وهى وعاء التجارب الشعبىة ، والعادات ، والتقاليد
والعقائد التى تتوارثها الأجيال واحداً بعد الآخر .

اللغة ظاهرة : إنسانية اجتماعية ، مكتسبة من المحيطين بالإنسان ، وعرفية تعارفت عليها الجماعة
اللغوية ، واللغة رموز تستخدم فى الاتصال ، ونقل الأفكار ، كالصفير ، والحركات ، وصوت مدفع
الإفطار ، وأجراس الكنائس ، وصوت القطارات والسيارات ، وإشارات المرور ، والألوان البيضاء :
للفرح ، والسوداء للحزن ، واللغة متغيرة لعوامل جغرافية ، وجنسية ، ونفسية ، وتغير ثقافى ،
وتطور لغوى ، كقولك :

[ذئب/ ديب ، ذيل/ ديل ، ثلاثة/ تلاتة ، الذى/ اللى ميكتبش ، ولد/ ود ، هيكتب ، الهواء/ الهوا]
واللغة المنطوقة أسبق من المكتوبة لحاجة البدائي لها ، وينظر إليها عن طريق الفم والأذن ، بينما
اللغة المكتوبة وليدة الحضارة ، وبالقلم .

والإنسان بطبعه مدنى ، محتاج للغة ؛ لأن من طبيعته البحث والاستطلاع ، ووصف حقائق الموجودات
 ووضع القوانين ، وتشخيص الظواهر ، وألفته بالآخرين واجتماعه بهم ، وتصارعه معهم
 باعتبار الإنسان أرقى الكائنات المخلوقة بما ميّزه الله من نعمة العقل .

وترتبط اللغة باستيطان البشر لأرض ما ، واسعة أو ضيقة ، ثم انتشارها وامتدادها ؛ حيث

ينتشرون جغرافياً، كما أنّ الإنسان بطبعه الاعتزاز بلغته يتعصّب تعصّباً قومياً لها ، كنقل الأمويين دواوينهم إلى العربيّة، وتطهير الألمان للغتهم من الألفاظ الفرنسيّة الدخيلة، وإبعاد تركيا الألفاظ العربيّة عن لغتها ، ومحافظة بولندا على لغتها في الأمور الرسميّة .

ولم يكن انتشار اللغة، أو كثرة استعمالها في المحافل الدوليّة دليلاً على رقيّها، بلّ تنتشر اللغة نتيجة للغزو والفتوحات ، وسيطرة المُستعمر على هذه البلدان فتتأثر الشُعوب المستعمرة بلغة المُستعمر [كالفتح العربي لبلاد فارس ، ومُصارعة اللغة الفارسيّة] ، و [فتح بلاد الشّام ، ومُصارعة اللغة الرُّوميّة] ، و [فتح مصر ، ومُصارعة اللغة القبطيّة] ، واقتصار اللغة الأصليّة على أداء المراسم والعبادات في الكنائس ، والأديرة .

واللغة أيضاً وسيلة لنقل الأفكار، ووسيلة للهو والتسلية، والبهجة والمتعة والتعبير عن الحزن والسُرور والانفعالات ، كما في شرح المدرس للدرس، أو مرافعة المحامي لموكِّله، كما أنها وسيلة للترابط الدولي والقومي ، كجامعة الدول العربيّة، واتّحاد الدول الناطقة بالفرنسيّة، ودول الكومنولث ..

— واللغة من خصائص الإنسان وحده دون سائر المخلوقات ، رغم ما أكدته البحوث العلميّة الحديثة

من وجود تفاهم بين الحيوانات ، والحشرات ، والطيور ، كما ورد في القرآن الكريم على لسان النملة والهدد، إلا أن اللغة الإنسانيّة تتميز عن ذلك بأنها نظام يمنحه العقل لجهاز النطق الإنساني متمثلاً في أعضائه : (الحنجرة ، واللسان ، وفراغ الفم ، و..)، وهي أعضاء محدودة الحجم والأوضاع تنتج مجموعة محدودة من الأصوات .

— نعم، كان للحيوان الأعجم إشارات ورموز استخدمها كوسائل للتفاهم بين جماعاتها، وكان للطيور مثلها ، ولكن الإنسان هو أرقى هذه الكائنات حيث كان ... بما ميزه الله تعالى من نعمة العقل ، فقد أصدر الأصوات الساذجة ، ثم ارتقت وأخذت صوراً وأشكالاً تبعاً للظروف البيئيّة ، والتفكير الإنساني حتى استقرت في هذا الوضع .

— واللغة كالكائن الحي مرت بمراحل متعدّدة ، ينبغي أن نسلم بتطور اللغات ونموّها ، كما ينبغي أن نسلم بأن كثيراً من اللغات قد ماتت تحت وطأة أقدم الزمن المندفع إلى الأمام بلا توقف ..

— وترتبط اللغة باستيطان البشر لأرض ما ، فيكون نموها متوقفاً على مدى سعة ، أو ضيق هذه الأرض ، وعلى قوّة ونفوذ وقدرات هؤلاء البشر على الانتشار¹ .

¹ وأقصد بالأرض - هنا - البيئة ، وهي الدائرة الجغرافيّة والبشريّة التي تدور فيها لغة من اللغات ، وتعيش في محيطها ، وتتأثر بها أيّة لغة ، ولا ينقض أن هذه اللغات لها أرض أولى زحفت منها إلى آفاق العالمين ، كما لا ينقض ذلك وجود بعض اللغات ممتداً لمساحات أكبر ومسافات أوسع كما هو واقع مع اللغات ، كما : الصينيّة ، والانجليزيّة ، والروسية ، والأسبانية ، والهنديّة

فمثلاً اللغة العربيّة : هي لغة تُنسب إلى مجموعة من الناس تسكن منطقة جغرافية معينة، ويسمى أهلها بالعرب، وتحتل المرتبة السادسة على مستوى العالم من حيث عدد الناطقين بها، وكان من السهل مضاعفة هذا العدد لو أخلص العرب لديهم، وتعصبوا للغتهم كما فعل أسلافهم من جهود مخلصّة لنشر هذا الدين وهذه اللغة، وإلى جانب اللغة العربيّة يوجد في العالم نحو (ثلاثة) آلاف لغة منطوقة، بخلاف اللهجات وكل لغة لها جمهورها المستخدمون لها، ولها مساحتها التي تسود فيها .

. والواقع أن هذه التعريفات السابقة، كتعريف القدماء (ابن جنّي، وابن خلدون)، وتعريفات المحدثين (سايير، ودي سوسير، ود/ إبراهيم أنيس) قد حددت إلى حدّ كبير طبيعته وماهية اللغة وأهمّ خصائصها، فهي جميعها تؤكد أن اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية مكتسبة، في شكل نظام عرقي من الرموز الصوتية ذات المعنى، تستخدم . غالباً . أداة للاتّصال بين أفراد جماعة لغوية معينة .

ـ اللغة عند علماء الأحياء والتشريح :

. أما عند هؤلاء فقد عدّوها كائناً عضوياً، وذهب بعضهم إلى أن علم اللغة بذاته علم بيولوجي، وإذا كانت اللغة بما لها من نفوذ قوي، فقد جذبت كلّ هؤلاء وغيرهم إلى الوقوف أمامها، ومحاولة الإفادة من طبيعتها ونظمها في ميادين المعرفة المختلفة، فإنها مع كلّ هذا لم تكشف عن كلّ أسرارها إلا في دراسة خاصة بها تدرسها بذاتها ولذاتها^١.

” حاجة الإنسان إلى اللغة ”

احتاج الإنسان هذه اللغة يتعامل بها فاستقرت في تلك الأصوات المألوفة لكل مجتمع بشري؛ لأن من طبيعة الإنسان الاستطلاع والبحث، ووصف حقائق الموجودات، ووضع القوانين، والقيام بتحليل أعضاء جسمه ووظائفها، وتشخيص الظواهر الفسيولوجية والبيولوجية، كذلك اهتم ببحث لغته، لما عرفه من أهميتها، والحفاظ على مجتمعه، وعدم الاستغناء عن جماعته والإنسان قيل عنه : مدني بطبعه، أي أنه لا يستغنى عن أهله، بل يميل إلى الألفة والاجتماع

١، والعربية، والبرتغالية، والألمانية، واليابانية، والفرنسية، والإيطالية، والماليزية مرتبة وفقاً للدراسات الإحصائية التي

أوضحت أن الأمم المتحدة تعتمد ست لغات فقط، هي: الانجليزية، والفرنسية، والروسية، والأسبانية، والإيطالية، والعربية ..

(١) . انظر : فقه اللغة، د/ عبد الله ربيع، ص ٢٢ وما بعدها، ومحاضرات في فقه اللغة العربية، د/ محمد علام)

مع بني جنسه؛ لذا فقد أدرك أهمية اللغة في تحقيق هذه الغاية، كما أدرك أهمية دراسة حقيقتها وأسباب انتشارها ، وانقسامها، وعوامل بقائها وتطورها وظواهرها وضعفها وقوتها، وصراعها مع اللغات المجاورة .

✽ وهنا نلاحظ اعتزاز كل طائفة بلغتها فتزعم كل قومية بأن لغتها أولى اللغات في العالم^(١) والحقيقة أن هذه المزاعم نابعة من تعصب قومي نابع من اهتمام هذه الشعوب والقوميات بلغاتها ، وقد هبت لدراستها ؛ لتكشف عن سر بقائها واستمرارها .

وأعتقد أن انتشار اللغة ليس دليلاً على رقيها ، فليس صواباً أن نقول بأن اللغتين : الإنجليزية أو الفرنسية هما أرقى اللغات لسعة انتشارهما في مناطق كثيرة من العالم ، أو لكثرة استعمالهما في المحافل الدولية ؛ وذلك لأن انتشار هذه اللغات يعود للغزو ، ولسيطرة هذا المستعمر على بلدان عديدة نشر الاستعمار فيها لغته، فتأثرت هذه الشعوب المستعمرة - بفتح الراء - المغلوبة - بلغة الغازي، تاركة لغتها الأصلية للمرض والموت^(٢) .

ونشاهد ذلك أيضاً - حين فتح الفاتحون العرب - الأقطار المحيطة بهم ، فصرعت العربية الفارسية في بلاد فارس ، والرومية في بلاد الشام ، والقبطية في مصر، واقتصرت هذه اللغات على أداء المراسم والعبادات في الكنائس والأديرة ، بالإضافة إلى ذلك نظام اللغة وجوهرها ، وقواعدها المعجمية والنحوية والصرفية والدلالية والاشتقاقية .

لأن اللغة : نظام صوتي يتم من خلالها التعرف على مجموعة الأصوات المفردة في لغة ما ، أو

(١) فقد زعم العبريون أن اللغة العبرية هي الأولى التي تكلم بها الإنسان في بدء وجوده التاريخي .

وزعم العرب أن لغتهم العربية هي أولى اللغات .

وزعم الأتراك أن التركية هي صاحبة السبق على جميع اللغات .

وعالم سويدي يقرر أن " آدم " كان يتكلم السويدية ، وأن الحية التي أغرت +

حواء كانت تتكلم الفرنسية

وباحث ألماني يقرر أن لغة " آدم " كانت الألمانية

وباحث آخر يرى أن الآرامية هي الأصل .

وزعم آخر أن الصينية هي أقدم اللغات .

وقيل : إن لغة " آدم " كانت العربية ، ولما بعد العهد صارت سريانية

وكله يغلب عليه التعصب لإعلاء قومية بعينها .

انظر : اللغة بين الفرد والمجتمع - د/ محمود السعران - ٣٠/١ .

(٢) فمثلاً : تسجل كتب التاريخ أن إنجلترا تعرف بأنها الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ، وما ذلك إلا لتوسع

رقعة البلاد التي غزتها واستعمرتها فالغزو وما ينجم عنه من سيطرة بعض الشعوب بقوتها وثقافتها على شعوب أخرى ،

كان من أهم أسباب انتشار اللغات ، أو انكماشها ، وصراع اللغات بعضها مع بعض .

في لغة معينة ، ويتكون النظام الصوتي من مجموعة من الوحدات الصوتية (الفونيم) وهي أصغر وحدة صوتية ، كالباء والتاء ، والناء و وعن طريقها يمكن التفريق بين المعاني^(١) وهي نظام صرفي يتم من خلاله التحكم في عملية صياغة الكلمات والمفردات ، ووحدة النظام الصرفية تسمى (المور فيم) وهي أصغر وحدة ذات معنى مثل كلمة : اکتبا .

وهي نظام نحوي يتم من خلاله تحديد القواعد التي تحكم بناء الجمل ، وتقوم على مجموعة من الأسس منها : الاختيار أو الانتقاء لكلمات أو صيغ صالحة للتعبير عن المعاني، ومنها الموقعية (النظر في ترتيب وحدات الجملة) ، ومنها المطابقة بين وحدات الجملة ، ومنها الإعراب التي تشير علاماته إلى وظيفة كل وحدة داخل الجملة كما أنها نظام دلالي بنوعيه .

أ- المعجمي : لإدراك المعاني الأساسية للمفردات .

ب- السياقي : لتحديد المعاني المتنوعة بتنوع التراكيب والسياقات المختلفة .

والأرجح : أن هذه الأنظمة تتآزر وتتكامل ، ويمهد بعضها البعض الآخر لوضع تلك الضوابط والأحكام التي تعطينا هذا النظام المسمى " باللغة " ، وهذا كله يؤكد أن اللغة مجموعة أنظمة تتعاون معا للوصول إلى غاية، أو هي نظام أكبر مكون من أنظمة أصغر، والكل هدفه المعنى^٢

”وظائف اللغة“

- ١ - اللغة هي الأداة الفعالة التي تربط بين أفراد المجتمع، وتجعل منه وحدة متماسكة ، فهي المعبرة عن أفكاره واحتياجاته ، وهي كل ما يهيمه في هذه الحياة^(٣).
- ٢ - اللغة هي الوعاء الذي يحفظ تجارب الأمة وثقافتها وتاريخها وتراثها ونقله عبر الأجيال، فهي ظاهرة إنسانية مكتسبة من المجتمع ذات نظام من وحدات (صوتية وصرفية) لها سمات معينة أو خصائص مشتركة .
- ٣ - نقل الخبرة الإنسانية ، والتعبير عن الفكر واكتساب المعرفة ؛ لأن اللغة تولد الفكر ، فهي أدواته التي تنظمه ، وتنقل نتائجه للعقول والأدهان عبر المسافات الزمنية ، والمكانية فتحدث المعرفة التي تحقق آمال الإنسان .
- ٤ - يرى " جيفونز" أن اللغة وسيلة للتفاهم ، وأداة تساعد على التفكير، وتقوم بتسجي الأفكار والرجوع إليها (٤) .

(١) انظر : علم الأصوات لما لمبرج - تعريب د / عبد الصبور شاهين ٢٠٢٢/٢٥٣ ، وعلم اللغة العام - د/كمال بشر - ص ٣٨ وما بعدها ، وأسس علم اللغة لماريو باي - ترجمة د/ أحمد مختار عمر - ص ٧٧ وما بعدها ، ومن أسس علم اللغة - د/ محمد يوسف حبيلص - ص ٢٧ .

(٢) انظر : من أسس علم اللغة - د/ محمد يوسف حبيلص - ص ٤٥ .

(٣) انظر : علم اللغة بين القديم والحديث د/ عبد الغفار حامد هلال - ص ٥ - ط ثانية ١٩٨٦م .

(٤) راجع : علم اللغة بين التراث والمعاصرة - د/ عاطف مذكور - ص ١٤ - ط ١٩٨٧م - دار الثقافة بالقاهرة ، ومدخل إلى علم اللغة - د/ محمد حسن عبد العزيز - ص ١١٩ .

٥ - تحقيق الاتصال أو الترابط بين أفراد المجتمع ، فتؤدي إلى تماسكه فهي أسمنت المجتمع ، فهي تدبر شؤون المجتمع ، وتقسيم العمل ، وتوزيع الجهد ، والمساعدة على إنجاز بعض الأعمال والأنشطة الحيوية التي يؤديها العمال في صورة جماعية كالصيد والبناء وأعمال الحفر .

٦ - اللغة وسيلة الإنسان للهو والتسلية ، ومصدر بهجته ومتعته، وإدخال السرور إلى النفس والتعبير عن الجمال والتأثير في النفوس والقلوب ، لما فيها من انسجام صوتي ، وواقع غنائي على الأذن .

٧ - الاتصال أو التوصيل ، أو النقل ، أو التعبير للأفكار والمشاعر والمعاني والانفعالات والرغبات ، أو الفكر بوجه عام ، تراه في شرح المدرس دروسه للطلاب ، أو تقديم المحامي للغة في المرافعة ، والاديب والعالم والفيلسوف، وكلها تتطلبها الجماعة المتكلمة بها، فهي وسيلة لخلق العلاقات الاجتماعية وتوثيقها ، أو تلبية رغبة البشر في الاجتماع الإنساني .

٨ - المناجاة والقراءة ، واستعمالها في السلوك الجماعي ، كالصلاة ، والدعاء ، والمخاطبات الاجتماعية كلغة التحيات والتأدب .

٩. تستخدم كمساعد آلي للفكر، تسهل الفكر وتساعد على نموه، فهو يؤثر في نمو اللغة وتطورها ، وهذا أمر واقع ، لتفاعل اللغة بالفكر .

واللغة وعاء الفكر ، ولا وجود للفكر دون اللغة ، وما سمي المنطق إلا من النطق إشارة إلى ما بين اللفظ والفكر من صلوات .

وقيل : " اللغة سجل تاريخ الشعب ، ترتقى برقيه ، وتنحط بانحطاطه " ، ومهما تعددت الآراء في تحديد العلاقة بين الفكر واللغة ، وتضاربت في أسبقية النشأة لكل منهما ، فلن نجد من يستطيع التنبؤ بمصير الفكر والتقدم الإنساني لو لم توجد لغة النطق وأداة الكلام (١) .

١٠- اللغة أحد مقومات الوطن والوطنية :

حيث تكون اللغة رابطا قويا يجمع الشعب الناطق بلغة واحدة ، واللغات المختلفة في الأمة الواحدة ، أو الوطن الواحد .

فاللغة جزء من كياننا الروحي ، ومعين لثرائنا ، وقطعة من تاريخ الأمة ، لذا تفرض الدول المستعمرة لغاتها على الشعوب المحتلة ، كما فعلت إيطاليا في ليبيا - وفرنسا في تونس والجزائر أثناء استعمارهما ، لكن الشعوب المحتلة تتماسك بكيانها " لغتها " حتى أثناء الاستعمار ، كما فعلت بولندا عندما احتلتها الإمبراطوريات العظمى في القرن ال ١٨ ، لذا نجد

(١) انظر : علم اللغة ومناهجه - د/ عبدالله ربيع محمود ، و د / عبد الفتاح البركاوي - ص ٢٤ - ط أولى - ١

الشعوب المحتلة تركز على مطالبة المستعمر في أن تكون لغاتها في الأمور الرسمية .
وفي التاريخ دلالات كثيرة على اعتزاز الشعوب بلغاتها ، فقد نقل الأمويون دواوينهم إلى
العربية ، وسعى الألمان في نهاية القرن ال ١٩ إلى تطهير لغتهم من الألفاظ الفرنسية الدخيلة ،
كما أبدت تركيا الالفاظ العربية عن لغتها .

١١- اللغة وسيلة للترابط الدولي والقومي :

تعد جامعة الدول العربية هي جامعة اللغة العربية ، وهناك اتحاد الدول الناطقة ، ودول
الكومنولث ، وقيل : للروابط اللغوية بين أمريكا وانجلترا دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولى
بجانب الحلفاء .

١٢- اللغة وسيلة للترابط الاجتماعي :

اللغة نشاط اجتماعي ، يحصل بها على العون والمساعدة ، وتقيم الود والألفة بين الناس ولغة
التحيات والتخاطب والسؤال عن الحال والصحة ، ولغة التأدب ، ولغة الكلام ، وقد نرى أن
الصمت أحيانا في الاجتماعات على أنه مظهر سلوكي عدائي ، أو مظهر من مظاهر اختلاف في
وجهات النظر .

فاللغة هي محاولة للوصول إلى أعماق شعور الجماهير ، والتأثير في الناس وإقناعهم ، ودفعهم
إلى عمل سلوكي معين ، أو تغيير نمط سلوكي ، أي أنها تصنع الرأي العام .

١٣- اللغة وسيلة للتنفيس عن الإحساسات وبخاصة العنيفة منها :

قد يستخدم الإنسان اللغة ناشدا الأشعار الحزينة باكيا من فقدهم من أحبابه ، بقصد التفريغ ،
أو التنفيس عن آلامه وأحزانه ، وذلك عندما يخلو إلى نفسه ، دون قصد إلى نقل إحساسات ، أو
أفكار معينة .

١٤- اللغة وسيلة للتسلية أحيانا :-

حيث يقوم الأفراد بالتلاعب بأصواتهم بقصد التلذذ والسرور ، والمعجزة الإلهية في جعله
أعضاء النطق آلات موسيقية يجب على الإنسان أن يداعبها ويلعب بها ، لذا فالثرثرة عند
المرأة في غير المواقف الرسمية بهجة وممتعة .

ومجمل القول في وظائف اللغة في المجتمع نجد أنه بجانب وظيفتها الأساسية التي هي التواصل
بين أفراد المجتمع ، هناك وظائف أخرى قد تقل في أهميتها ولكن يجب علينا عدم
نكران وجودها ، وهذه الوظائف المتعددة للغة تجعلها من أهم الظواهر أو المؤسسات
الاجتماعية .

وقد قيل : " اللغة أصوات في حروف ، وحروف في كلمات ، وكلمات في جمل ، وجمل في
نحو ، نحو في بيان ، والبيان وحدة لا تتجزأ ، والإنسان كائن مجتمعي ، واللغة تكس هذا
الإنسان " .

» خصائص اللغة الإنسانية (١) «

حيث إن الأشكال المستخدمة في الاتصال لدى الحيوان محدودة للغاية ومحصورة في غرائزه ورغباته . فاللغة الإنسانية أشكالها متنوعة تبعًا لتجارب ومعارف الإنسان ، وأما صيحات الحيوان ففتقر إلى التأليف أو التركيب والتقسيم وذلك مختلف عن اللغة الإنسانية القادرة على الخلق والابتكار تبعًا للمواقف حيث يستخدم الإنسان لغته وفقًا لقواعد صوتية وصرفية ونحوية معقدة متعارف عليها بين أفراد جماعة .

١ - اللغة ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها كل أبناء الجنس البشري دون سائر المخلوقات ، فالإنسان حيوان ناطق يتميز عن غيره من المخلوقات بأنه وحده القادر على وضع أفكاره في ألفاظ ، وممارسة الحياة في جماعة متعاونة ومرتبطة بعمل جماعي .

٢ - اللغة ظاهرة اجتماعية يتبعها أفراد المجتمع ويستخدمونها في علاقاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ، فهي نتاج العقل الجمعي .

٣ - اللغة ظاهرة مكتسبة ، أي يتلقاها الإنسان ويتعلمها من المحيطين به ، ويرى العلم الأمريكي (سكينر) أن اللغة عادة مكتسبة لدى الإنسان وأن الطفل يولد وذهنه صفحة بيضاء خالية من اللغة تمامًا ، وبالتدريب المتواصل يتمكن من السيطرة عليها ، وللمجتمع دور كبير في صيغ الكلام بالطابع الاجتماعي .

٤ - اللغة عرفية تنشأ من اصطلاح الجماعة اللغوية المعينة ، فهي ليست تحكيمية مفروضة على المجتمع من خارجه ، فمعارف الناس على تسمية الأشياء بأسماء قد تكون مختلفة عند أناس .

والقول بعرفية اللغة لا يحول دوننا لاعتراف بما بين أفراد الجماعة اللغوية من فروق لا يحدها الحصر .

٥ - اللغة نظام وقواعد مقروءة تخضع له في توزيع أصواتها وكلماتها وجملها .

٦ - اللغة رموز استخدمها الإنسان في اتصاله ، بأخيه كالصفيير ، والحركات ، وأصوات مدفع الإفطار ، وأجراس الكنائس ، وصوت القطار ، وإشارات المرور المختلفة ، وكاللون الأسود كرمز للحزن ، والأبيض رمز للفرح عند المصريين ، وهز الكتفين عند الإنجليزي كعلامة النفي ب (لا) وهكذا ، فكلها رموز تشبه اللغة المنطوقة .

٧ - اللغة صوت ذو معنى يصدر عن أعضاء الجهاز النطقي الإنساني .

(١) انظر : اللغة بين القومية والعالمية - د/إبراهيم أنيس - ص ١٥ وما بعدها .، ومدخل إلى علم اللغة - د/ محمد حسن عبد العزيز - ص ٩ : ١٩ - ط ١٩٩٢م - مكتبة الشباب ، ومن أسس علم اللغة - ص ٨ : ٢٠ - د / محمد يوسف حبص .

٨- اللغة متغيرة : والتغير هو انتقال ظاهرة لغوية من حالة إلى حالة أخرى في مرحلة من مراحل تاريخ اللغة المعينة ، والتغير يلحق أنظمة اللغة : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية تبعاً لقواعد وقوانين أقرب ما تكون إلى الثبات واطراد النتائج ، ولا طاقة لأحد بمقاومتها ، أو تغييرها . نحو كلمات : ذئب / ديب ، وذيل / ديل ، وذبح / دبح وثلاثة / تلاتة ، وثوب / توب ، وخبيث / خبيس ، وذكر / زكر ، والذي / إلي ، ميكتبش / هيكتب .

وترجع أسباب التغير لظروف :

جغرافية ومناخية ، وصفات بيولوجية، وجنسية ، وعوامل نفسية ، وانتقال اللغة من جيل إلى جيل والميل إلى السهولة والاقتصاد في الجهد ، نحو : الهواء شديد ، يقولون : الهوا شديد ... محمد ولد مطيع ، فتقول : محمد ود مطيع .

وكذلك من أسباب التغير :

■ تأثر اللغة بلغات أخرى .

■ والصراع اللغوي .

■ والتغير الثقافي.

فاللغة: نظام من الرموز المنطوقة والمكتسبة تستخدمه جماعة معينة من الناس بهدف الاتصال وتحقيق التعاون فيما بينهم .

” اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة ”

اتصل الإنسان الأول بأخيه مستعيناً ببعض الوسائل كالحركة ، والرسم ، والصوت ، والضوء ، ثم تطورت ملكة الكلام لدى الإنسان ، فنشأت عن ذلك اللغة المنطوقة ، فاستخدمها ردحا من الزمن حينما أحس بالحاجة للاتصال بغيره من بني جنسه حين يصعب على الصوت أن يؤدي الغرض ، لبعده المسافة والزمن .

وحينما أراد أن ينقل خبراته وتجاربه لأحفاده ، وهنا أدرك عدم كفاية اللغة المنطوقة لإتمام عملية الاتصال في وقت لم يملك فيه الإنسان وسائل الاتصال السلوكية أو اللاسلوكية ولا وسائل التسجيل ، عندئذ تطورت وسائل الاتصال فصارت اللغة المكتوبة .

ومن ذلك يتضح سبق اللغة المنطوقة للغة المكتوبة ودليل ذلك

❖ أن الإنسان بدائي يحتاج لأبسط الضرورات ومنها اللغة المنطوقة ، بينما اللغة المكتوبة وليدة الحضارة ، و إذا لم تكن ثمة حاجة للكتابة اكتفى باللغة المنطوقة ، كذلك بداية الإنسان عندما يولد يتعلم اللغة المنطوقة ، ثم يتبع بيئته فقيرة متخلفة لا تعلمه ، أما إن كانت مستنيرة فإنها تحرص على تعليمه القراءة والكتابة ، أي أن تعلم اللغة المنطوقة أولاً ، ثم يكون الحرص والتوجيه لتعلم اللغة المكتوبة أو لا يكون ، ومقتضى هذا أن حقيقة اللغة تقوم على الأصوات

المنطوقة لا الكلمات المكتوبة ، أو كما قال " جسبرسن " : " إن اللغة ينظر إليها عن طريق الفم والأذن ، لا عن طريق القلم والعين " (١) .

” الفرق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة ”

اللغة قديمة قدم المجتمع الإنساني ولكن البحث فيها لم ينشأ إلا في إطار التقدم العلمي ، ولذا فإن كتابتها " تدوينها " ظاهرة حديثة نسبيا ، فهناك شعوب كثيرة أميون لم تدون لغتها ، ولم تتصور أن تلك العبارات المنطوقة يمكن أن تدون إلا بعد مرورها بمرحلة من الرقي الحضاري ، فاللغة معروفة للإنسان كمعرفته للماء والتنفس .

لكن متى عرف الإنسان التحليل العلمي لمكونات الماء وخصائصه ، أو الجهاز التنفسي ، أو عمليتي الشهيق والزفير ؟

❖ لا شك أنه عرف ذلك منذ وقت قريب نسبيا

وإليك عزيزي القارئ بعض الفروق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة :

١ - من حيث الثبات والتنوع : نجد أن الأولى متنوعة والثانية ثابتة نسبيا ، حيث تعتمد على اختيار

٢ - العبارات المناسبة ، ولا تظهر فيها ملامح شخصية الكاتب ، أما الأولى فتظهر شخصية وجنسية المتكلم

٣ - من حيث المنطق والانفعالية : نجد أن الأولى انفعالية تتنوع فيها عناصر الصوت من نبر وتنغيم ووقف وحركات ونظرات تبعاً للموقف " جد - هزل " " سهل - صعب " لا تملك فيها الحواس ، أما الثانية فهي منطقية تعتمد على السيطرة على الحواس في قدرتها على التصوير والدقة في التعبير .

٤ - من حيث التكلف والعفوية : نجد أن الأولى عفوية ، والأخرى متكلفة لحاجتها إلى ضبط وقواعد تحتاج إلى افتعال وتحليل أو احتياط .

” اللغة والكلام ”

اللغة : هي الميول والقدرات اللغوية عند الإنسان بصفة عامة ولا يقصد به لغة معينة ، وإنما يقصد به اللغة بوصفها ملكة أو قد يملكها أي إنسان ، وهناك اللغة المعينة كالعربية أو الإنجليزية أو الفرنسية مثلا ، وتعني مجموعة من النظم والقوانين اللغوية المخزونة في عقول أفراد الجماعة اللغوية المعينة ، ويسمى هذا المفهوم بمصطلح " اللسان " .

والكلام عبارة عن : الأصوات اللغوية التي يحدثها المتكلم وقت الكلام في شكل نظام صوتي صادر عن الجهاز النطقي في شكل نبذبات تنتشر في الهواء وتصل إلى أذن السامع حاملة معاني معينة (١) .

(١) انظر : دراسات في اللغة العربية - د/ فتحي محمد جمعة - ص ٤ .

✽ ويفرق العلماء بين اللغة والكلام على النحو التالي : -

١ - اللغة ظاهرة اجتماعية " وليدة المجتمع وإفراز البيئة " ، أي أنها نتاج الجماعة ، أما الكلام فهو : ظاهرة فردية يمارسها المتحدث الفرد في الوقت المعين ، ويحمل ملامح الفرد التي تميزه عن سواه ، فهو أمر فردي يؤلف المادة التي تتكون منها اللغة .

٢ - اللغة ثابتة وتتغير ببطء ، أما الكلام فهو شيء عابر سريع الزوال، رغم أن وسائل التسجيل الصوتي الحديثة قد منحتة شيئاً من الثبات والاستقرار .

٣ - اللغة نظام مفروض علينا من الخارج ، أي أن الإنسان تلقاه من مجتمعه منذ الصغر ولا دخل له فيه ، فهو مكتسب كغيره من السلوكيات الخارجية الأخرى ، أما الكلام فهو نشاط متعمد ومقصود يمارسه المتحدث الفرد .

٤ - الكلام سلوك ، واللغة معايير هذا السلوك ، والكلام نشاط ، واللغة قواعد هذا النشاط ، والكلام حركة ، واللغة نظام هذه الحركة ، والكلام يحث بالسمع نطقاً ، والبصر كتابة ، واللغة تفهم بالتأمل في الكلام (٢) .

والتفريق بين اللغة الموجودة بالقوة والكلام الموجود بالفعل ، أو بين الدائم والزائل ، أو بين الاجتماعي والفردية يعد حدثاً خطيراً في تاريخ علم اللغة في القرن العشرين (٣) .

✽ ومع هذا الاختلاف :

فإن بين الكلام واللغة علاقة وثيقة تتمثل في أن كلام الجماعة اللغوية يدور في فلك القواعد والمفردات التي تتألف منها اللغة ، فإذا ما قدر لهذه الكلمات أن تنتشر لظروف مناسبة لها ذاعت وأصبحت من مخزون الجماعة المعينة ، فإذا لم تتوازن الظروف الملائمة تظل عملاً فردياً بحثاً .

كاستخدام المجتمع للكلمات : ثلاجة - دباسة - غرافة ، لما تعارف عليه أفراد المجتمع ، حيث أصبحت لغة بعد أن كانت كلاماً ، وهذا ما يسمى بالتطور اللغوي .

” نشأة اللغة الإنسانية ”

اختلف العلماء حول موضوع النشأة ، وتنوعت آراء المفكرين ، ولم يصلوا إلى نتائج يقينية ، بل كان معظمها مصطبغاً بالصفة الشخصية ، فيقول (ماريو باي) : فيم يختص بشأن اللغة وطبيعتها : " لدينا مصادر تعتمد على الأساطير والحديث المنقول ، والمناقشات الفلسفية ، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد " .

وحاول البعض عرض نظرياته عن نشأة اللغة بثوب علمي ، مدافعاً عنه في صلابة وإصرار ،

(١) انظر : دور الكلمة في اللغة (مترجم) - ص ٣٥، ٣٦ .

(٢) انظر : مدخل في اللغة - ص ١٧٢ .

(٣) انظر : اللغة العربية : معناها ومبناها - ص ٣٢ .

غير أن بعض المعتدلين من علماء اللغة سخر من مجرد التفكير في جعل موضوع نشأة اللغة ضمن بحوث علم اللغة .

قررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع ، وعدم قبول أي بحث فيه (١) .

✽ كما أن كثيرا من علماء اللغة المشهورين من أمثال (بلو مفيلد ، وفيرث) لم يتعرضوا لدراسة هذا الموضوع بشكل علمي .

✽ واعتبر (فيرث) أن الكلام فيه نوع من الفلسفة اللغوية التي على طالب علم اللغة أن يلم بها إمامًا سريعًا ، ولا بأس من ذلك حتى نعرف بعض النظريات والآراء التي حاول بها العلماء تفسير نشأة اللغة الإنسانية .

” نظريات نشأة اللغة (٢) ”

يرجع الفضل في هذه النشأة إلى المجتمع الإنساني ، وحاجة أفراده للتعاون والتفاهم ، والإنسان حيوان ناطق ، واللغة من أهم المؤسسات الاجتماعية عند الإنسان وإحدى مميزاته الرئيسية التي تميزه عن الحيوان ، وربما أن موضوع نشأة اللغة مشكلة فكرية قديمة ، كثرت حولها البحوث ، وتعددت بصدها الآراء والنظريات ، ومن أهمها :-

١ - نظرية التوقيف (٣) :-

ترى أن اللغة وحي إلهي بدليل قوله تعالى :

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (٤) ، ومن الإنجيل المقدس في العهد القديم " أن الله دعا آدم

بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية " ، ومعناها : أن اللغة توقيف من الله تعالى (جاهزة في عالم الغيب) ثم كشفها وأطلع عليها آدم وورثها بنوه .

وأصحاب هذه النظرية قديماً : هيراكليت الفيلسوف اليوناني (ت ٤٨٠ ق.م)

وفي العصور الوسطى : ابن فارس ، والأشعري ، والنسفي ، وابن جني ، والسيوطي ، وفي القرن ال ١٨ : الفيلسوف الفرنسي دوبو نالد ، والأب لامي .

وإن كان علم اللغة يرفض هذه النظرية ، وذلك لافتقارها إلى الحجة العلمية المقتعة بدلاً مما

(١) انظر : فقه اللغة - د/ عبده الراجحي - ص ٧٧ ط دار النهضة - بيروت .

(٢) انظر : الخصائص لابن جني ١/٤٠:٤٨ ، والمخصص - لابن سيدة - ١/٣:٦٠

ودلالة الألفاظ - د/ إبراهيم أنيس - ص ٢٣ وما بعدها .

ونشأة اللغة عند الإنسان والطفل - د/ علي عبد الواحد وافي .

وفي علم اللغة العام - د/ عبد الصبور شاهين ص ٦٩ وما بعدها

وعلم اللغة - د/ محمود السمران - ص ٥٢ .

(٣) انظر : علم اللغة - د/ علي عبد الواحد وافي - ص ٩٧ - ٧ ط - نهضة مصر . والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس -

تحقيق السيد أحمد صقر - ص ٦ طبعة الحلبي ، والخصائص لابن جني ١/٤١ ، والمزهر للسيوطي ١/١١٠ .

(٤) سورة البقرة : ٣١ .

يتبين لنا من وهن وضعف الحجج والأدلة لمخالفتها سنن التطور وطبيعة الظواهر الاجتماعية^(١) . وليس لهذه النظرية دليل عقلي واقعي يؤيدها .

٢- نظرية الاصطلاح والمواضعة :-

ترى أن اللغة ابتدعت بالاتفاق والمواضعة ، أي أن اللغة نشأت من صنع الإنسان ، فهو الذي ركب الكلمات من الحروف ، ووضع ألفاظ اللغة لمعانيها حسب حاجته في هذه الحياة ، أي وضع اللغوي سمة أو لفظاً يدل على إبانة الشيء ، نحو إنسان ، وعين ، ويد ، ورأس ، وقدم ، وبذلك تنشأ العربية .

ومن أنصارها قديماً : (ديمو كريت) اليوناني

وفي العصور الوسطى : (ابن جني) ، واستأذنه (ابن علي الفارسي) .

وفي العصور الحديثة : (آدم سميث) الإنجليزي ، (وريد) الإنجليزي .

وليس للنظرية سند عقلي ، أو نقلي أو تاريخي ، وما تقرره يتعارض مع نوااميس النظم الاجتماعية التي تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها ، فلا تخلق خلقاً ولا ترتجل ارتجالاً ، ولا توجد دفعة واحدة .

٣- نظرية محاكاة أصوات الطبيعة^(٢) :

ويذهب أصحابها إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو الأصوات المسموعة ، كدوي الرياح ، وحفيف الشجر ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وسجيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ، ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، ولعل ذلك يكون قريباً إلى الصحة والمعقول ، وأكثرها يتفق مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات ، وظواهر الطبيعة الاجتماعية ، ويؤيد ذلك لجوء الطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام إلى محاكاة الأصوات الطبيعية ، وإن كان ذلك لا يعيد تاريخ نشأة اللغة ، ويعد العالم الألماني (هرذر) أول من دافع عن هذا المذهب .

• ويمتاز مذهب المحاكاة بشرحه مبلغ تأثر الإنسان في النطق بالألفاظ ، وبالبيئة التي تحيط به ، ولكن يؤخذ على هذا المذهب ما يلي :-

١- حصره أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الإحساس بما يحدث في البيئة .

٢- تجاهله الحاجة الطبيعية الماسة إلى التخاطب والتفاهم والتعبير عما في النفس ، وهي من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة الإنسانية .

(١) انظر : في فقه اللغة د : ناجح حافظ مبروك - ص ٤٤ .

(٢) انظر : علم اللغة - د/ وافي - ص ١٠٥ ، ونشأة اللغة عند الإنسان والطفل - د/ وافي - ص ٤٢ - ط نهضة مصر ، ودلالة

الألفاظ - د/ إبراهيم أنيس - ص ١٦ : ١٨ - والخصائص لابن جني ١/٦ ، وفقه اللغة العربية - د/ محمد إبراهيم نجا - ص ٢١ .

٣- لا يبين لنا كيف نشأت الكلمات الكثيرة التي نجدها في اللغات المختلفة ، ولا نرى فيها محاكاة لأصوات المسميات ، ويتضح ذلك بوجه خاص في أسماء المعاني كالعدل والمرودة والكرم والشجاعة ، وغيرها .

٤- رفض المنهج العلمي للغة البدائيين .

٥- إن طريق المحاكاة يجعل الإنسان في مرتبة أدنى من الحيوان ، لأنه قلده حاكياً صوته قاصداً الدلالة على مصدره . هذه هي المآخذ التي دعت المدافع عن هذا المذهب وهو العلامة (هرر) الألماني إلى العدول عنها في أخريات حياته ، كما سخر منها (مكس مولر) الألماني ومع ذلك فإن لأصحاب هذا المذهب الفضل في أنه فتح للباحثين باب البحث الفلسفي في نشأة اللغة . كما أنه لا يبعد كثيراً في إرجاع نشأة اللغة - أحياناً - إلى ملاحظة خاصة ، ويعد د/كمال بشر تلك النظرية بعيدة أيضاً، لأن لغات بعض الشعوب البدائية تكاد تخلو خلواً تاماً من مثل هذه الكلمات^١

٤- نظرية التنفيس عن النفس :

تصور أن نشأة اللغة عند هؤلاء السلف البعيد حيث بدأت بصفة انفصالية محضة ، فمحلة الألفاظ قد سبقتها مرحلة الأصوات الساذجة التلقائية الانبعاثية التي صدرت عن الإنسان ، فكانت مجرد غناء ينظم بوزن حركة المشي ، أو العمل اليدوي ، أو صيحة كصيحة الحيوان ، للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه أو نفوره، وما إلى ذلك من الأحاسيس المختلفة فهذه الأصوات الساذجة ، قد تطورت على مر الزمن ، حتى صارت ألفاظاً ، ولعل الصيحة لدى الحيوان والتي تكشف عن خوف أو لرغبة في الغذاء بعد أن زودت بقيمة رمزية اعتبرت كأنها إشارة قابلة لأن يكررها آخرون .

❖ وتمتاز هذه النظرية بعروها نشأة اللغة الإنسانية

أي أنها تعتد بالشعور الوجداني الإنساني ، وبال حاجة إلى التعبير عما يجيش بصدر الإنسان ، من انفعالات وأحاسيس ، فإذا كانت النظرية السابقة قد أرجعت نشأة اللغة الإنسانية إلى ملاحظة خارجية موضوعية ، أي ملاحظة مظاهر الطبيعة ومحاكاتها في ابتكار الأسماء الدالة عليها ، فإن هذه النظرية خطوة أخرى في اتجاه آخر نحو البحث عن حل للمشكلة ، فإنها تشرح لنا منشأ بعض الكلمات التي تعجز النظرية السابقة عن شرح منشأها .

❖ ومع كل هذا فإنها نظرية ناقصة وغامضة ، لأنها لا تبين منشأ الكلمات الكثيرة التي لا يمكن ردها إلى أصوات انفعالية ، ولأنها لا تشرح لنا سر تحول تلك الأصوات الساذجة الانفعالية إلى ألفاظ أو أصوات مقطعية ؛ لذا انصرف عنها اللغويون ، وسخر منها (مكس مولر) .

٥- نظرية الاستعداد الفطري :

^١ انظر : قضايا لغوية - د/كمال بشر - ص ١٢٢ .

أذاعها (مكس مولر) ، على أن الإنسان مزود بفطرته بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة ، كما أن لديه الرغبة في التعبير عن أغراضه بأي وسيلة من الوسائل ، وذلك عند الحاجة أو في الوقت المناسب .

ولعل الذي دعا (مكس مولر) إلى وضع هذه النظرية ملاحظة الأطفال في حياتهم اليومية الحرة ، وهم تواقون لأن يضعوا أسماء لأشياء التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء ، كما أنهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل ارتضاء لرغبتهم الفطرية في التكلم والتعبير عن أغراضهم ، فاستنبط من ملاحظته هذه أن الإنسان مزود بتلك القوة التي تنشأ عنها الألفاظ .

✽ **ونرى في هذه النظرية مشكلة المشكلات ، فكيف ومتى زود الإنسان بهذه الذخيرة اللغوية ؟ وكيف انطوت نفسه على تلك الألفاظ الكاملة ؟ وإذا كان قد زود بفطرته بهذه الألفاظ فلم اختلفت اللغات وتعددت اللهجات ؟ وكيف تسنى للإنسان أن يخرج تلك الألفاظ من مكانها ، ويطلقها على المسميات المختلفة ؟**

فالنظرية إذن تنقل الباحث من مشكلة إلى مشكلات أعمق منها ، وأشد غموضاً منها ولبسا ، ومن أبرز عيوبها : أنها تفرض ظهور الكلمة أو الكلمات الأولى لدى الإنسان كاملة غير خاضعة لسنة التطور .

٦- نظرية الملاحظة :

برهن العالم الألماني (جيجر) من خلال تجاربه إلى أن الأعمال والإشارات الإنسانية هي أقدم ما وصل إليه من الأصوات اللغوية الأولى ، وأنها أول ما عرف الإنسان عن أخيه ، وأول ما لفتت الإنسان الأول وأثارت اهتمامه ، حيث كان الإنسان يعمل وله حالات انفعالية تثير الاهتمام وتخلق التأثير ، فتثير الملاحظة والانتباه من حوله ، نحو : كلمة الكشط أو السلخ فإنها مشتقة من عمل الإنسان بالجلود في سلخها ، وفي الخشب حث كشط لحاؤه ، والشجر ما يكشط ليؤخذ منه الخشب .

✽ **ويؤيد هذه النظرية أن جميع أسماء الآلات تقريباً مشتقة من كلمات تدل على أعمال إنسانية ، كما في لغتنا العربية من نحو : انتشار والمفتاح والمقص والمخرز ، وكلها مشتقة من أصول يدل كل واحد منها على عمل إنساني مهم .**

وإن كانت هذه النظرية خطوة لحل المشكلة إلا أنها لم توضح لنا بأسلوب مفهوم أو معقول الأصول العامة الأولى للأصوات التي أرجعتها إلى الأعمال والإشارات الإنسانية المشتقة من أعمال الإنسان ، فمن الصعب جداً إرجاع جميع الكلمات التي تتكون منها اللغات كلها إلى تلك الأصول العامة .

٧- نظرية الأصوات التعجبية العاطفية : -

ترى أن اللغة الإنسانية بدأت هكذا عند الإنسان بصورة غريزية للتعبير عن انفعالاته من فرح ، أو وجع ، أو حزن ، أو استغراب ، أو تقزز ، كقولك : (أف) عندما تتأفف ، أو (وي) عند التلهف أو التحسر .

وقد رفضت هذه النظرية لعدم قدرتها على إبراز الصورة الحقيقية لنشأة اللغة .

٨- نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية ومدلولها :

أن اللغة الإنسانية بدأت بالمقاطع الطبيعية التي يتفوه الإنسان بها عفويا عند استعماله أعضاء جسمه في العمل اليدوي ، كما تسمع إذا وقفت بجوار عامل ينحت صخرا ، أو يحمل ثقلا ، أو يقطع شجرة ، أو حداد يعمل .

وقد رفضت هذه النظرية : لعدم أدلتها القوية على إبراز صورة حقيقية لنشأة اللغة أيضاً .

٩- النظرية الاجتماعية :

ترى أن اللغة نشأت عن طريق الأصوات الجماعية نتيجة التقاء الإنسان الأول مع إخوانه من البشر في أعمال تحتاج إلى أصوات تخفف على أنفسهم مشقة العمل فأصدر أصواتاً لا معنى لها ، كقولهم : هيلا هوب ، ثم صار لها معنى بعد ارتباطها بالعمل وأصبحت على مر الأيام وسيلة للتفاهم .

أي أن اللغة وضعتها الجماعة فهي اجتماعية ، وهذا ليس معقولاً أن يظل الإنسان أبكماً زمناً طويلاً حتى يلتقى بغيره فينطق الأصوات المعبرة دفعة واحدة دون مران سابق ، وهذا يخالف للمألوف .

كما أنه ليس معقولاً أن الإنسان لم يعرف اللغة إلا بعد تكوين الجماعة ومزاولتها لأعمال الشاقة التي هيأت له سبيل الوصول إلى الكلام .

١٠- نظرية التطور اللغوي :-

تأثر أصحابها بنظرية التطور العام للعالم " دارون " ورأوا أن التطور اللغوي يشبه التطور والنمو اللغوي عند الطفل ، وزعموا أن لغة الإنسان الأول سلكت مراحل فكرية متعددة ، متمشية مع مراحل نموه العقلي ، وهذه المراحل هي :-

أولاً : مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية :

صدرت عن إنسان العصور الأولى حيث لم تنضج أعضاء نطقه ، بالإضافة لميوله ورغباته المحددة ، لذا جاء بعض الأصوات مبهمه وغير مفهومة أحياناً وبدون رغبة أو غرض معين .
ثانياً : مراحل الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض والرغبات المصحوبة بالإشارات المتنوعة التي تساعد الأصوات فطريا في أن تبين عن أغراضها ، وقد ساعد نمو أعضاء النطق ونمو الإحساس والشعور الذاتي لدى الإنسان على هذا التطور في الأصوات وتكيفها ، وتنوعها ، لاختلافها في الشدة والرخاوة ، والجهر والهمس ، وغير ذلك ، وتمثلها تلك الأصوات التي تصدر عن الطفل في نهاية السنة الأولى من عمره ، حيث تكون مصحوبة بإشارات منبئة عن أغراضه بما فيها من

دلالات على الخوف أو الحنين ، أو النفور ، أو الرضا ، أو القلق ، أو الاضطراب ، أو الشعور بالحاجة إلى المعونة ، فهو بهذه الأصوات يعبر عن شعوره ، ويستغيث بغيره من بني جنسه .
ثالثاً : مرحلة المقاطع :

حيث صارت أصوات الإنسان غير المحددة المعالم إلى أصوات محددة ، وفي صورة مقاطع قصيرة ، مستنبطة من أصوات الأشياء أو الظواهر الطبيعية ، أو متأثرة بها حيث يتأثر الطفل مثلاً في بداية عامه الثاني من عمره بمن حوله و يتأثر بهم فينطق مقاطع متكررة حتى تنطبع في نفسه ، وتكون منها لغته البدائية ، ، نحو : " هوهو " عن الكلب ، و " نونو " عن القط ، و " تك تك " عن الساعة ، وغير ذلك .

رابعاً : مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع :

وقد وصل الإنسان إليها حين اكتمل عقله، ونضجت أعضاء صوته، واتسع نطاق حياته الاجتماعية وكثرت رغباته، واشتدت حاجته إلى التفاهم مع غيره، وفي هذه المرحلة يتألف معجم الطفل اللغوي من الكلمات الشائعة في بيئته ممن يحيطون به .

خامساً : مرحلة الوضع والاصطلاح :

❖ وهي المرحلة الأخيرة للنمو اللغوي ، وتصنعها حاجة الإنسان للاحتكاك ببيئته ، ومسايرة اللغة المستخدمة لديه مع تفكيره وعقله ، مشاهداته ، وكثرة التجارب وتغيير دروب الحياة .

❖ وفي هذه المرحلة وضعت المصطلحات العلمية ، وابتكرت الأسماء الدالة على المسميات المستحدثة ، وازداد النمو الفكري ، وأوغل الإنسان في التحضر ، وتتناسب هذه المرحلة مع الطفل عندما يذهب إلى المدرسة ويدرس العلوم والفنون ، ويتعلم بعض المصطلحات العلمية والفنية المختلفة ، ثم تأتي مرحلة التنسيق والتجميل للكلام شعراً ونثراً .

هذا هو مذهب التطور اللغوي في نشأة اللغة الإنسانية ، ويمتاز بما يأتي :

- ١ - يخضع نشأة وتطور اللغة إلى سنة التطور العام مثلها كالكائن الحي ، ينشأ صغيراً ساذجاً ، ثم ينمو شيئاً فشيئاً ، بحكم طبيعته وبيئته ، فاللغة كظاهرة اجتماعية تخضع لعوامل التطور .
- ٢ - يشرح سر نمو اللغة متناً وأسلوباً ، ويعزو ذلك إلى تقدم ورقي الإنسان اجتماعياً ، وإلى حاجته لتنمية لغته لتساير حياته ، ليستطيع التعبير عن أفكاره ورغباته .
- ٣ - وجود أكثر من عامل واحد في نشأة اللغة وتطورها ، وأن الإنسان قد تأثر في إصدار الأصوات الساذجة أو المكيفة بما سمع من أصوات الحيوان أو الظواهر الطبيعية ، معبراً عن آلامه ورغباته وانفعالاته وعواطفه .

٤ - عدم إنكار هذا المذهب لأثر الاشتقاق والوضع في تنمية متن اللغة وتوسيع نطاقها .

❖ تلك هي أهم النظريات التي اشتهر أمرها في الكلام على نشأة اللغة الإنسانية عند القدماء من فلاسفة الإغريق ، وعلماء الغرب المسيحي في العصور الوسطى ، وعلماء اللغة ، وأهل الكلام من العرب ، وفلاسفة القرن الرابع الهجري وما بعده ، والمحدثين من علماء اللغة في أوروبا

حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وأوائل القرن العشرين ، وكلها نظريات لم تحل مشكلة النشأة اللغوية ، ولم تفسرها تفسيرًا يمكن أن تطمئن إليه ، لعدم استقامتها على المنهج العلمي ، وبعدها عن الواقع اللغوي المطابق لحياة الإنسان الأول .

✽ **لذا يجب** إخراج مسألة أصل اللغة ونشأتها من مجال البحث اللغوي، بينما ابن فارس يجعل البحث في نشأة اللغة أولى بالاهتمام، بل هي الدراسة اللغوية الجديرة بالنظر (١) .
ويقول (جسبرسن) : إن علم اللغة لا يمكن أن يحجم إلى الأبد عن البحث في الوقت أو المكان الذي يتوقع أن يكون قد حدث فيه تطور لغوي .

والحق أن الإنسان بطبعه يميل للتطلع إلى المعرفة ، فيجوز أن تكون هذه النظريات القديمة قد ظهرت نتيجة اهتمام الإنسان بأصله وطبيعته ، فكل من الإنسان واللغة مترابطان فمتى عرف نشأة اللغة عرف متى وأين ظهر الإنسان (٢) .

وأرى : أن مباحث أو نظريات نشأة اللغة فيها كثير من المغالاة ويرى بعض اللغويين أنه من الضروري إقصاء هذه المباحث التي لا تتعلق بفقهاء اللغة تعلقًا وثيقًا (٣) .

بينما يجعل ابن فارس البحث في نشأة اللغة أولى بالاهتمام ، بل هي الدراسة اللغوية الجديرة بالنظر (٤) . ومهما يكن من أمر فإن موضوع نشأة اللغة لا يزال الخوض فيه من الأمور الفلسفية الميتافيزيقية التي تخرج الباحث فيه من نطاق الحقائق العلمية إلى البحث فيما وراء الطبيعة ، وفي أمور لا تملك منها اليوم أية وثائق أو مستندات والله أعلم (٥) .

ومع ذلك فقد أعجبنى رأي أستاذي د/ عبد الصبور شاهين " من المفيد لبيان أهمية اللغة أن يتساءل اللغوي عن نشأتها ، مهما تكون عسيرة على التصور فهذا هو المدخل الطبيعي لدراسة الظاهرة المجهولة الأصل، ولإثارة خيال الدارسين حولها، وأمر لا يخلو من فائدة " .
ويقول أيضًا : " كما أنه في نظرنا ضرورة منهجية لا ينبغي تجاهلها " (٦) .
وهكذا نرى أن كل النظريات التي حاولت من جانبها أن تفسر نشأة اللغة وقد رفضها علماء اللغة جميعًا ، لعدم قدرتها على أن تفسر إلا جانبًا محدودًا (ضيقًا) من اللغة ، وذلك لأن أصل اللغة يغطيه الحجب والغموض بسبب قدم عهده .

(١) انظر : فصول في فقه العربية - د/رمضان عبد التواب - ص ٤١ .

(٢) انظر : دور الكلمة في اللغة ، ل (ستيفن) - ترجمة د/كمال بشر - ص ١٦ وما بعدها - مكتبة الشباب - ١٩٧٥م
واللغة بين الفرد والمجتمع ل (جسبرسن) - ترجمة د/ عبد الرحمن أيوب - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٥٤م - ٣٠/١ .

(٣) يقول د/ صبحي الصالح : " فالمنطلق السوري وتعليقاته وأقيسته ، وما وراء الطبيعة من الغيبات ، وفرض القواعد والمعايير ، كما تفرض أحكام القانون ، كل هذه ليست من المنهج اللغوي في شيء ، فلا مناص من تجديد البحث في فقه اللغة إذا أردنا للغة الحياة والخلود، انظر : دراسات في فقه اللغة - د / صبحي الصالح - ص ٣١ .

(٤) انظر : أصول في فقه العربية - د/ رمضان عبد التواب - ص ٤١ .

(٥) انظر : في علم اللغة - د/ سيد شرف أحمد السيد و د/ عبد الهادي أحمد محمد السلمون - ص ١٠٣ .

(٦) انظر : في علم اللغة العام - د/ عبد الصبور شاهين - ص ٨٢ .

ومن الصعب علينا أن نهتك هذه الحجب إلا بالتخمين ، والخيال ، والغيبيات ، وكلها مرفوضة لدى علم اللغة الحديث .

وسواء كانت هذه الأصوات ناشئة عن طبيعة الإنسان ، أو أجمع على وجودها بالاصطلاح والمواضعة ، أو بوحى إلهي وتوقيفي ، أو نشأت للمحاكاة لأصوات الحيوانات أو الطبيعة ، أو للأصوات الانفعالية ، أو الأصوات الجماعية ، أو المؤثرات الخارجية ، أو أن اللغة غريزة في الإنسان الأول ، أو غير ذلك مما قيل في نشأة اللغة^(١).

فإن اللغة : هي تلك الأصوات التي ينتجها جهاز النطق الإنساني معبراً بها عن إحساساته وحاجاته اليومية المتعددة ، وهي تعبير وتوصيل وتواصل^(٢) ، كما أنها أداة نستخدمها للتأثير في الغير .

حقيقة المنهج :

أولاً: المنهج لغة: المنهج والمنهاج : هو الطريق الواضح والمنهج بتسكين الهاء هو الطريق المستقيم، يقول ابن منظور: طريق نهج :بين واضح وأنهج الطريق : وضح واستبان وصار نهجا بينا واضحا، وفي كلام العرب : إنهج رجل ينهج أي يربو من السمن ويلهث، وأنهجت الدابة :صارت كذلك، وضربه حتى أنهج أي انبسط، وقيل بكى، ونهج الثوب ونهج فهو نهج، وأنهج : بلي ولم يتشقق وأنهجه البلى فهو منهج، ويقول الخليل :طريق نهج :واسع واضح، وطرق نهجة، ونهج الأمر وأنهج، لغتان، أي وضح، ومنهج الطريق :وضحه، والمنهاج :الطريق الواضح .

وورد في المعجم الوسيط" : المنهج هو الخطة، ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهم ، وقد أجمعت معظم المعاجم على أن المنهج هو الطريقة أو الأسلوب ويستخدم هذا المصطلح أيضا للدلالة على طريقة البحث عن المعرفة والاستقصاء ..

كثيراً ما يوظف المنهج على أنه التيار أو المذهب أو المدرسة، بهدف الكشف عن الطريقة أو الأسلوب

(١) انظر : دراسات في فقه اللغة - د/ صبحي الصالح - ص ٣١:٦٦ ، ودلالة الألفاظ - د/ إبراهيم أنيس ص ١٢٣ ، وفي علم اللغة العام - د/ عبد الصبور شاهين - ص ٦٩ : ٨٢ .

(٢) يستخدمها الإنسان ليعبر بها عن أفكاره المختلفة ، وحاجاته المتعددة ، وهذا التعبير يريد به الإنسان أن يوصل رسائل معينة إلى أفراد المجتمع الذي يعيش فيه ، فيرتبط بهم ويرتبطون به ، وهنا ينشأ نوع من التواصل والترابط بين أفراد المجتمع انظر : أصول تراثية - د/ كريم زكي حسام الدين - ص ٩٢ ، ومدخل إلى اللغة - د/ محمد حسن عبد العزيز - ص ١١٩ .

لتيار معين ، أو مذهب معين أو جماعة معينة ، يقول أحمد مطلوب إن المعنى العام للمنهج هو الأسلوب الذي يقود إلى هدف معين في البحث والتأليف أو السلوك .

والمنهج : يعني " الطريقة أو مجموعة الإجراءات التي تتخذ للوصول إلى شيء محدد كأن نتخذ خطوات تحلل بها الكلمة صرفيا ، ذلك أن المنهج والمنهاج يرد في العربية على معنى الطريق الواضح..

والمنهاج : الخطة المرسومة (محدثة) ، ومنه منهاج الدراسة أو منهاج التعليم ونحوهما ...

المنهج المنهاج ، الجمع منهاج . **والمنهج في الاصطلاح :** وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة المنهج العلمي : خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية ؛ بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها ، ويقصد " بمنهاج البحث : الطرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغراض ، ويقصد بها أيضا " : الأصول التي تتبع لدراسة أي جهاز من الأجهزة اللغوية .

المنهج جملة الإجراءات والأساليب التي يستخدمها الباحث في جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها ، ويوضح ما انبنت عليه من مسلمات نظرية وأسئلة محورية ، تبين تبعاتها وتوقعاتها ، وتعمم نتائجها وتقترح تطبيقات جديدة ، ويكشف عن المبادئ والأسس المنطقية في حل المشكلات كما تقترح صياغات جديدة لتلك المشكلات . ويمكن تعريف الأداة بأنها الطريقة التي استخدمت في جمع المعلومات ، كالمقابلة ، والملاحظة ، أو الاستبانة .

ثالثا: البحث لغة :

البحث يعني طلب الشئ وإثارته ، وفحصه ، وكلها معان تشير بالفعل إلى طبيعة البحث العلمي ؛ إذ هو طلب لمجهول يستدعي كل ما يمكن أن يمدّ الباحث بمعلومات مفيدة في مجال البحث والتنقيب عنه ، ثم فحص ما تجتمع من تلك المعلومات لطرح ما ليس ذا صلة بالبحث المطلوب وإبعاده ، ثم دراسة وتحليل ما تبقى ممّا له صلة مباشرة ، أو يساعد على دراسة جانب من جوانبه . والبحث : طلبك الشئ في التراب ، والبحث أن تسأل عن شئ وتستخير ، ويقال: بحث عن الخبر ، أي طلب علمه .

وقد وردت كلمة [بحث] فى القرآن الكريم فى موضع واحد فى سياق خبر من أقدم أخبار الإنسان ، دالةً فيه على الطلب فى الأرض ، كما فى قوله تعالى: [فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يُوارى سواة أخيه] المائدة / ٣٦ ...

وبالرجوع إلى كتب اللغة والبحث فيها عن مادة [ب ح ث] نجدها تدور حول معنى واحد هو طلب الشئ وإثارته وفحصه ، والتنقيب والتفتيش عنه .

أما البحث اصطلاحاً فهو محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها ، ثم فحصها وتحقيقها بتقصٍ دقيق ، ونقدٍ عميق ، ثم عرضها عرضاً مكتملاً بذكاء وإدراك لنسير فى ركب الحضارة العالمية ، وتسهمُ فيه إسهاماً شاملاً أو هو طلب الحقيقة وتقصسها وإذاعتها بين الناس ... أو هو الطريقة التى يسير عليها دارس أو باحث ليصل فى النهاية إلى حقيقة فى موضوع من الموضوعات أو فى علمٍ من العلوم . مؤيدة بالحجج والأساليب التى تبيهن على صدق ما توصل إليه من خلال أسلوبٍ علميٍّ قويٍّ

والبحث اللغوى لا يحتاج من الباحث اللغوى إلا إلى أن يعمد إلى نصوص اللغة ، فيقوم بجمعها واستقصائها ، ثم يأخذ فى تحليلها ، وبيان ما اشتملت عليه من عناصر يصفها وصفاً لغوياً ، ويلاحظ ما بينها من علاقات ، وما تؤديه الكلمات من وظائف فى التركيب ، وما تدل عليه التراكيب من معانٍ دون أن يتدخل برأيه فى شئ من ذلك ، فمهمة الباحث تقف عند [الرصد ، والملاحظة ، والتحليل ، والوصف] فلا يتجاوز تلك النصوص إلى شئ آخر من فلسفة أو منطق ، أو أمور غيبية لا سند لها من النص اللغوى .

والبحث متعة لا يدرك حقيقتها إلا من خاض غمرات المجهول بحثاً عن الحقائق ، فإذا وصل إليها ارتاحت نفسه واطمأن قلبه ، ولن تكون للبحث متعته ولذته المرجوة إلا إذا توافرت فيه الحرية الكاملة الكافية ..

ودراسة البحث اللغوى على أصول وقواعد ثابتة دراسة مهمة للغاية ؛ وذلك لأنها تضع الباحث فى أول الطريق الجامعى على أصول البحث وقواعده وخطواته فى مجال البحث إلى أن يكتمل فى صياغة تامة ، سواء أكان بحثاً صفيّاً فى سنوات الجامعة، أم بحثاً لنيل درجة تخصصية معينة .

والبحت اللغوى ما هو إلا فرع من فروع البحث العلمى العام ، والعناية به تقتضى الاهتمام بالمصادر والمراجع ؛ لأنهما اللذان يؤخذ منهما مادة البحث .

ومن خلال القراءة والتصفح . وهو عمل الباحث . فى كتب التراث لجمع النصوص التى يتكوّن منها البحث ويقوم عليها ، ثم يقوم الباحث بتقييده فى أوراق محفوظة حتى لا ينفلت ما جمعه سريعاً إذا اعتمد على ذاكرته ... لذا قيل :

• العلمُ صيدٌ والكتابةُ قيْدُهُ قيد صيودك بالحبال الوثاقه

فمن حماقة أن تصيدَ غزاله...وتعيدها بين الحقائق طالقة ثم مرحلة التنقيح والاختيار من بين النصوص المكتوبة ما يكتمل به البحث المطلوب

فليس من الضرورى أن يضيف الباحث جديدًا إلى حقائق العلم والمعرفة ؛ لأنه قد لا يتمكن من إضافة ذلك الجديد ، وتكون مهمته . حينئذٍ . إقرار حقيقة معروفة ، أو التأكد من صحة قانون مسلمّ به ، ؛ لأنه ليس بلازم أن ما بحث مرّة لا يبحث ثانية ، أو ما حَقَّق مرّة لا يُحَقِّق ثانية ، وإلا لما تقدّم العلم خطوات إلى الأمام ، فكم من الحقائق التى كانت من المسلمات أضحت . بعد البحث والفحص . ليست بحقائق وإنما أوهام وظنون هذا وقد يأخذ البحث اللغوى . أحياناً . شكلاً تفسيريًا نقديًا ، فيشتمل على الكثير من التعليقات والأدلة المنطقية بهدف الوصول إلى حلول ، وذلك حينما يكون موضوع البحث تقويم لغة أديب . مثلاً . وينبغى أن يتوفر فيه إلى جانب معرفته التامة والدقيقة بعناصر اللغة . قوّة الملاحظة ، وحدّة النظر ، والفتنة ، والخبرة ؛ لأن هذه الأشياء جميعًا تؤهله إلى التفسير النقدى ، والتعليل المنطقى ..

فقد يكون من أهداف البحث :

١. شرح البحوث السابقة التى تحتاج إلى شرح وتوضيح وتفصيل
٢. إعادة صياغتها من جديد بأسلوب يناسب العصر .
٣. اختصار المطول منها دون أن يُخلَّ بشئ من معانيه .
- ٤ . إعادة ترتيبها وتوزيعها من جديد تسهياً على القارئ لها .
- ٥ . إجراء موازنة بينها ، وترجيح بعضها على بعض .

٦ . عمل تعليقات عليها تزيدها وضوحاً وفائدة .

٧ . تكوين موضوع منظم من مادة متناثرة .

البحث اللغوي عند العرب : ليست الدراسات اللغوية مبكرة عند العرب؛ وذلك لما يلي:

أولاً : اعتمادهم على الحفظ ، وعلى مشافهة الأعراب ، وعلى التلقى.

ثانياً : ولأن اللغة العربية هي لغتهم المتوارثة منذ نعومة أظفارهم .

ثالثاً : ولأن اللغة العربية لسان المحادثة والخطابة والشعر لديهم .

رابعاً : ولكونهم أمة أمية لا عهد لها بالتدوين، ولا تدعو إليه الحاجة.

خامساً: توجيه اهتمامهم إلى العلوم الشرعية والإسلامية منذ القرن الثاني الهجري حيث بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث النبوي ويؤلفون في الفقه الإسلامي، ثم اتجهوا إلى تسجيل العلوم غير الشرعية ومن بينها اللغة والنحو .. وذلك كله لخدمة النص القرآني ..

سادساً: لم يؤثر عن العرب أي نوع من هذه الدراسات قبل الإسلام فلقد سبقتهم إلى تلك الدراسات أمة كثيرة ... حتى نزول القرآن باللغة العربية لم يكن للعرب سبق تدوين لغتهم ودرسها ، ولم يكن لهم عهد بالتأليف ولا بالقراءة ، ولا بالكتابة، ولا بالحساب ، وقد أكد ذلك الحبيب المعصوم سيدنا محمد ﷺ في حديثه: "إنا أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب".

فلما جاء الإسلام، وامتدت فتوحاته بدت الحاجة إلى جمع اللغة وتفسيرها وإلى تعليمها ، وإلى الحفاظ عليها مما قد يتسرب إليها من اللحن الذي تفتشى نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من العجم في الأسواق عن طريق التجارة، والخطابة، ومجالس الشعر، هذا وقد أنكر سيدنا عمر، وسيدنا علي (رضي الله عنهما) اللحن ؛ فرسم الإمام لأبي الأسود الدؤلي عمل النحو وصناعته، فكان ذلك من الدواعي الملحة لوضع القواعد النحوية التي تقى اللسان من الخطأ في الأصوات ومعاني الكلمات والأساليب والقواعد التي فسد منها ما فسد ؛ فكان ذلك دافعاً داعياً إلى جمع الألفاظ مؤيدة بمأثور الكلام وبخاصة الشعر حتى تظل اللغة واضحة المعاني فيستعان بها على فهم ما قد يخفى من ألفاظ القرآن الكريم؛ لذا قيل: "إذا ألبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنى عربى"، وفي المزهري للسيوطي: "إذا سألتكم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب"، إضافة إلى احتياج أهل البلاد المفتوحة الذين اعتنقوا الإسلام إلى تعلم اللغة

العربيّة؛ لفهم كتاب الله وسُنّة رسوله مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ ليثبت ذلك الدين في نفوسهم ويعرفوا مبادئه وتعاليمه .

ومن هنا فإن لقاء اللغة العربيّة بلغات البلاد التي فتحها المسلمون أوجد تشوّهًا في أصولها ، وفي طريقة أدائها، وإلى إهمال بعض الألفاظ العربيّة واستعمال كلمات أجنبيّة دخلت العربيّة للحاجة إليها فشاعت على ألسنة الناطقين بها من أهل تلك البلاد ، ثم دورانها في الاستعمال العام وإهمال نظائرها العربيّة ، أو تقليدًا من العرب لما استعذبوه من ألفاظ تلك اللغات الأخرى نتيجة اتّساع نطاق الاختلاط بالأعاجم .. ولا شك أن العربيّة صرعت لغات البلاد المفتوحة . كالفارسيّة في العراق ، والروميّة في الشّام والقبطيّة في مصر ..

بُضّاف أيضًا أن بعض العلماء أرادوا أن يُثبتوا براعة العربيّة ورفقيّها على غيرها من اللغات وصلاحيّتها للحياة والحضارة بجانب الحفاظ على دين الإسلام وكتابه المقدّس [القرآن الكريم] فالخلاصة أن الدراسات الأوليّة كانت تهدف إلى الحفاظ على النص القرآني وفهم مدلوله ومعناه، ومنها نقط أبي الأسود الدؤلي للمصحف الشريف ..

ولا نغفل أن المدونين الأولين للغة دونوا المفردات حسبما اتفق، وبقدر ما يتيسر لهم سماعًا،

فقد يسمعون كلمة في: [الفرس، والغيث، والأنواء والرجل القصير، والنبات، والشجر، والإبل ، والخيل، والسلاح] ، وهكذا يدونون بلا ترتيب ، ثم اتّجهوا بعد ذلك إلى التبويب، والتصنيف ، والتقسيم سواء بردها إلى النظائر، أو بحسب الموضوعات ، ومنهم من اهتمّ بتسجيل الظواهر الخاصّة بالقبائل ، ومن هنا ظهرت جهودهم في تكوين المعاجم اللغويّة وإنشائها ، وعلى رأس هؤلاء العالم اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي [ت ١٧٠ أو ١٧٥ هـ] وكتابه " العين " بما حوى من تبويب للمادة اللغويّة واهتمام بالألفاظ والمفردات من حيث الجمع والتفسير والإحصاء ، وأيضا العالم اللغويّ ابن السّراج [ت ٢١٦ هـ] في أصول النحو ، وابن جنّي [ت ٣٩٢ هـ] في خصائص العربيّة ، وابن فارس [ت ٣٩٥ هـ] في فقه اللغة وأصولها وخصائصها ، بجانب نحوها وصرفها .

لكن الفكر العلمي المتوهج لم بزل يحسّ أن لغة العرب لم يُكشَف بعد عن كلِّ أسرارها ، بل إنّ كلَّ ما عرف من نحو وصرف وألفاظ إنما يمثّل فروعًا لم يصل البحث العلمي بعد إلى جذورها وأصولها والمعرفة العلميّة ، ولا تتمُّ بالفروع ، ولا تتحقّق بالجزئيات ..

ومنذ نهاية القرن الرابع الهجرى توالى التأليف فى متن اللغة وفقهها ولكن دون مناهج مبتكرة أو مادة علميّة جديدة فى أغلب الأحيان ، وتبيّن ذلك فيما تلاه من عصور ..

فى القرن الخامس الهجرى ظهرت مؤلّفات لغويّة تحوى بحوثًا متعلّقة بفقه اللغة ومنتها ، كـ

[كتاب فقه اللغة: للثعالبي ت ٤٢٩ هـ] بما فيه من اهتمام بمعانى الألفاظ، والكلمات المعربة، والمنسوبة، والمقارنة بين اللغات، ودرجة استعمال الألفاظ كثرة وقلة، وغيرها من المباحث المتعلقة بمتن اللغة، وفقهها، واشتقاقاتها، ومجازاتها، والمعرب منها، ودلالة الألفاظ، والمشارك اللفظي، والترادف، والتضاد، وقضايا الإبدال ، والمذكر والمؤنث، والأصيل والدخيل ، والصحيح والضّعيف ، وتداخل اللغات وتوافقها، والقلب والإبدال ، والنحت ، وغير ذلك من البحوث اللغويّة كما فى كتاب [مبادئ اللغة للإسكافى ت ٤٢١ هـ]، وكتاب [المخصّص لابن سيده ت ٤٥٨ هـ]، ومعجم " أساس البلاغة " للزمخشري [ت ٥٣٨ هـ] ..

وفى القرن السابع ألف ابن منظور [ت ٧١١ هـ] كتابه " لسان العرب" وفى القرن العاشر ألف السيوطى [ت ٩١١ هـ] كتابه " المزهر " فى علوم اللغة ..

وفى القرن العاشر عشر يؤلّف شهاب الدين الخفاجى كتابه " شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل .. وأعتقد أن معظم ما جاء من مؤلّفات بعد نهاية القرن الرابع كان نقلًا من علوم السّابقيين وهى على كلّ حال دراسة مفيدة إلى جانب ما يبدو لأصحابها . أحيانًا . من آراء مدعمة بالكثير بما

ورد فى كتب السّابقيين ..

ومع تقسيم الدولة العباسيّة إلى دويلات ثم سقوطها واستيلاء غير العرب على مقاليد الحكم فى البلاد أخذت الحركة العلميّة تخبو ، وفرّ من فرّ من علماء القطرين [المشرق والمغرب] إلى مصر والشّام بعد سقوط الخلافتين العباسيّة والأندلسيّة، وضاعت معظم المؤلّفات، وذهب جُلُّ الكتب فى الفتن الكائنة من التتار وغيرهم .. وبذا ضعفت تلك النهضة العلميّة وركدت الحركة اللغويّة

العربيّة ؛ نتيجة اهتمام الأتراك بلغتهم التركيّة والعمل على إضعاف اللغة العربيّة ، وإن كانت حركة التأليف موجودة ومستمرّة في النقل عن السابقين، أو تلخيص ما قالوه ، أو شرحه ، أو التعليق عليه .

بدأت الحركة العلميّة في الظهور في العصر الحديث بعد مجئ الحملة الفرنسيّة ورحيلها عن مصر، فانتشر التعليم ، وأوفدت البعثات العلميّة إلى أوروبا ، ونما الاتّصال الفكري بين العرب والغرب، واستجلاب العلوم الغربيّة الحديثة إلى مصر، كعلوم اللغة، وعلم الطباعة، وظهور الصحافة والمسرح ودور الخيالة، ثم دور الإذاعة، ممّا كان له الأثر الأكبر في ذئوع اللغة العربيّة ، وارتقاء الفكر ، وغزارة المعارف ، فظهرت الحاجة إلى مناقشة قضايا اللغة لتفنى بحاجة المجتمع ، فأنشئت الجامعات اللغويّة في مصر والعراق وسوريا ، وكان لذلك فضل كبير في نهوض الدراسة اللغويّة وظهور بحوث علماء اللغة المحدثين كدراسة أصوات اللغة وتراكيبها ودلالاتها، ودراسة اللهجات ، وبادرت الجامعات المصريّة في تدريس هذه العلوم على الطلاب ، وحثّ طلبة الدراسات العليا في التنقيب عن تراث الأجداد ، ومدى التأثير والتأثر

تنوعت البحوث اللغويّة عند العرب خوفاً من اللحن، وحفاظاً على كتاب الله تعالى ، وقامت دراسات متنوعة للغة ، منها :

أولاً : جمع الألفاظ :

أ . جمع الألفاظ من البادية لأخذ اللغة من الأعراب الفصحاء وتدوينها صافيةً دون شوائب العجمة نتيجة الفتوحات الإسلاميّة واختلاط العرب بغيرهم من الأمم ، وتشمل ألفاظاً خاصّة ببعض الموضوعات كما فعل الأصمعي وأبو خليفة الدينوري وأبو زيد في أسماء الوحوش والنبات والشجر، والإبل والخيل، والسلاح ، والأنواء، والغرائز، والجرائم .

ب . جمع الألفاظ الموضوعيّة لمختلف المعاني كما فعل ابن السكيت في الألفاظ، والهمذاني في الألفاظ الكتابيّة، والإسكافي في مبادئ اللغة، وابن سيدة في المخصّص .

ج - جمع ألفاظ اللغة على نظام معجمي دقيق ومنظم ومشروح شرحاً وافياً مؤيِّداً بمأثور الكلام شعراً ونثراً : قرآنًا وحديثًا ... وقد جاء على يد الخليل في أوّل معجم عربي [العين]، وسار على دربه الأزهرى في تهذيبه والقالي في بارعه، وابن سيدة في محكمه، وابن دريد في جمهرته ، كما انتهج

الجوهري في صحاحه طريقة القافية، وحذا حذوه الفيروز أبادى في قاموسه، وابن منظور في لسانه.. وطريقة الأبجدة عند ابن فارس في مقاييسه ومجمله، والزمخشري في أساسه، والفيومي في مصباحه وغيرهم من أرباب المعاجم الحديثة.

ثانياً : وضع القواعد التي تقي اللسان من الخطأ :

وقد قامت به طائفة من العلماء لتصحيح الخطأ اللغوي والحفاظ على طبيعة السليقة العربية؛ حتى لا يقع متعلمها في اللحن، ولتستقيم الألسنة عليها ويتم ذلك عن طريق وضع القواعد اللغوية الخاصة بالمفردات [الاسمية، والفعلية، والحرفية] والتركيب العربية كما نطقها العربي الفصيح وقد أُطلق على ما يختص منها بمواقع الكلمات والجمل [علم النحو] وما يختص ببنية مفردات اللغة [علم الصرف] وتعددت البيئات اللغوية فاشتهرت البصرة، والكوفة، وبغداد، والأندلس، ومصر، وغيرها.. وتعددت المناهج العلمية والمذاهب حيث اعتمد البصريون على دراسة الظواهر النحوية دراسة وصفية تحليلية معتمدين في دراسة الظاهرة على الكثرة من الشواهد التي تؤكد القاعدة التي رأوها ... بخلاف الكوفيين الذين كانوا يكتفون بالشاهد الواحد ولو لم يُعرف قائله ... ويراها البعض من الباحثين أنه بعيد عن الدرس اللغوي الصحيح، أى: لا يتفق والبحث العلمى الشديد؛ لما جاء به من تكثير للقواعد ، وتضاربها في بعض الأحيان ... ثم فريق البغداديين الذى وقف بين الفريقين السابقين فأخذوا منه ما يوافق هواهم وما يحلو لهم موفقين بين المذهبين فى كثير من قضايا النحو ومسائل الصرف ... كما أسهمت الفرق الأخرى [الأندلسيون، والمصريون] بآراء لا يُستهان بها .. حتى جاء المتأخرون من أعلام اللغة أمثال الزمخشري فى المفصل، وابن الحاجب [ت ٦٤٦هـ] فى الكافية والشافية وابن مالك [ت ٦٧٢ هـ] فى التسهيل والألفية، وابن هشام [ت ٧٦١ هـ] فى قطر الندى وشذور الذهب، وأوضح المسالك، ومغنى اللبيب ..

وأعتقد أنها لا تعدو أن تكون دراسات أولية تعليمية ؛ لأنها لا تتعدى أن تكون إصلاح الأخطاء ، وتقويم اللسان إلى جوهر اللغة ..

ثالثاً : الاهتمام بالقراءات القرآنية :

وقد قامت به طائفة من العلماء [القراء ، وعلماء القراءات] لمعرفة أصول علم القرآن، وطريقة

أدائه حسب الوجوه المروية فيه عن رسول الله مُحَمَّدٍ ﷺ وكثر علماء القراءات واشتهروا بالعدالة والأمانة والضبط، وألّفوا فى القراءات فظهر كتاب الحجة لابن خالويه [ت ٣٧٠ هـ] والحجة لأبى على الفارسى، والمحتسب لابن جنّى.. ثم تتابعت الكتب فى القراءات، كالكشف لمكى ابن أبى طالب [ت ٤٣٧ هـ] ، وجامع البيان لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى [ت ٤٤٤ هـ] والكافى فى القراءات السبع لأبى القاسم الإشبلى [ت ٤٧٦ هـ] ، والشاطبية لأبى القاسم الشاطبى [ت ٥٩٠ هـ] والنشر وغاية النهاية فى طبقات القراء للجزرى [ت ٨٣٣ هـ] وغيرها من الكتب.. والقراءات حفظت أصوات اللغة العربيّة ؛ لأنها تمثل النطق العربى الأصيل لهذه اللغة .

رابعاً : الدراسة البلاغية :

وتخصّ بحوثها ببيان فصاحة الألفاظ وجزالتها، وحسن الأساليب، وموقع كل لفظ فيها ، ومناسبتها لمقتضى الحال وظهورها فى ثوبٍ لائقٍ بديع وقد قامت هذه البحوث على دراسة الإيجاز والإطناب ، ودراسة علوم المعانى والبيان والبديع ، وألّفت الكتب فى مجاز القرآن لأبى عبيدة [ت ٢٠٩ هـ]، وإعجاز القرآن للجاحظ [ت ٢٥٥ هـ] والبديع لابن المعتز [ت ٢٦٩ هـ]، والصناعتين لأبى هلال العسكري [ت ٣٩٥ هـ]، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى [ت ٤٧١ هـ] ومفتاح العلوم للسكاكى [ت ٦٢٦ هـ] وتلخيص المفتاح للخطيب القزوينى [ت ٧٣٩ هـ] .. وغيرها من المؤلّفات .

خامساً : الدراسة الأدبية والنقدية :

اهتمّ علماء العرب بدراسة نرائهم الأدبى الذى يعى ثروتهم اللفظية ومادتهم الفكرية، وأحوالهم الاجتماعية، وعاداتهم، وتقاليدهم، والأخبار والحوادث الاجتماعية التى تبين حال الأمة العربيّة وأمجادها وانتصاراتها وتكشف عن مستواها الفكرى والحضارى. مستمّدة من مآثور كلامهم ومن سجل تاريخهم الحافل ..

ونشأ من ذلك علم تاريخ الأدب فقام بدراسة الشخصيات الأدبية . للشعراء ، والخطباء ، والكتّاب ، متناولة حياتهم ، والمؤثرات عليها والموازنة بينهم ، والموازنة بين نتاجهم من الناحية الأدبية والفنية .. وفى هذا الشأن أُلّفت كتبٌ عديدة يرجع إليها فى علم الأدب والنقد ..

أهمية البحث :

أولاً: اكتشاف المشكلة :

يعتبر اكتشاف مشكلة وتحليلها شرطاً مسبقاً لإجراء أي بحث؛ لأن الشعور بالمشكلة هو الدافع الذي يستثير البحث، والطالب لا يستطيع أن يكتشف المشكلة إلا إذا كان مهتماً بموضوع ما اهتماماً زائداً يدفعه فضوله الفكري لمتابعته إن وجده مكتوباً أو ملاحظاً أو معاشاً على الواقع، ويعتبر الاطلاع والملاحظة المبدئية أمرين مهمين لتنمية المشكلة في طريق التعرف عليها .

ثانياً: التعرف على المشكلة

لا يمكن أن تحل المشكلات إلا إذا كان الباحث يتمتع بموهبته في إدراك العوامل المحددة التي أدت للمشكلة أو الصعوبة، ويعتبر تعيين المشكلة وتحليلها خطوة كبيرة إلى الأمام، مع اعتبار الاطلاع والملاحظة المبدئية أمرين مهمين لتنمية المشكلة في طريق التعرف عليها..

ثالثاً: التحديد الدقيق للمشكلة:

على الباحث أن يخصص مشكلة بحثه إلى الحجم الذي يجعل معالجته ممكنة ، ولا يتم ذلك إلا بتقنية خاصة، منها :

- أ - تحليل المشكلة إلى مكوناتها اليسيرة.
- ب - جمع المعلومات التي قد تعين على فهم المشكلة.
- ج - اشتقاق المعاني من المعلومات.
- د - تمحيص الافتراضات الكامنة وراء المكونات المقترحة ..

رابعاً: عرض المشكلة:

تؤدي المشكلة المصاغة بطريقة غامضة أو مبهمه إلى إرباك الباحث بدلاً من أن ترشده إلى مصادر المعلومات اللازمة لحلها.... ويتطلب وصف للمشكلة عناية فائقة ؛ فالهدف هو عرض الأبعاد الدقيقة للدراسة في صورة لفظية تستخدم مفاهيم ومصطلحات محددة. على أن يصوغ الباحث السؤال الرئيسي والأسئلة المحورية والفرعية التي ينبغي أن يجيب عليها لكي يحل المشكلة..

. هنالك ثلاثة اعتبارات لا بد من توفرها في صياغة المشكلة ، وهي:

- يجب أن تحدد المشكلة علاقة بين متغيرين أو أكثر.
- يجب أن تصاغ المشكلة بوضوح وتوضع في شكل سؤال حتى يسهل تحديدها
- يجب أن يعبر عن المشكلة بحيث يتضمن ذلك إمكانية اختيارها .**الحقيقة أن هنالك عدة أسس ومعايير يقوم عليها اختيار المشكلة ، هي:**

- الإحساس بالصعوبة.
 - وضوح الإشكال وتحديده.
 - الأصالة والعمق.
 - الفائدة المرجوة والإضافة الحقيقية للعلم ..
 - الجدة والطفرة ، بمعنى أنها غير مسبوقة (لم تحل من قبل) ..
 - تراعى الإمكانيات المادية والعقلية والنفسية الخاصة أسئلة البحث ..
- : إن أهمية صياغة مشكلة البحث في سؤال مركزي يمكن من فهمها إذ لا تتضح مشكلة البحث تمامًا إلا من خلال طرح مجموعة من الأسئلة المحورية التي تشكل الإجابة عليها حلاً للمشكلة.
- على الباحث الذي يريد أن يصل من خلال بحثه إلى نتائج مرجوة الفائدة أن يطرح على نفسه مجموعة من الأسئلة التي تدور حول محور الموضوع تشكل الإجابة المبدئية عليها فروض البحث

فروض البحث..

- بناء الفروض تعتبر مرحلة صياغة الفرض واختبار صحتها أو خطئها من أهم المراحل المنهجية عن تخطيط البحوث والفروض اصطلاحاً هي حلول مقترحة او نبوءة علمية لحل مشكلة الأصل أنها تقديرات تتكون من عناصر صيغت كنظام منسق من العلاقات التي تحاول تفسير حالات أو أحداث لم تتأيد بعد عن طريق الحقائق.
- إن الفروض تتضمن حقائق ولكنها تسمو على الحقائق المعروفة لتعطي تفسيرات مقبولة لأوضاع مجهولة..

-**أهمية الفرض**-: إن فائدة الفروض تبدأ في تنظيم جهود الباحث. وتعيّنه على تركيز ملاحظاته لاكتشاف العلاقة بين المتغيرات التي ترتبط ببحثه دون تشتت فيقوم الباحث

بجمع المعلومات المناسبة لهذه الفروض فيكون أكثر تحديدًا ، وتكون جهوده أكثر إثمارًا ،
ويكون بحثه منطقيًا ..

الفصل الثاني

فقه اللغة - علم اللغة

تقديم :

اهتم الباحث اللغوي العربي بالدراسات اللغوية العربية ، لصلاتها الوثيقة بلغته وتراثه العربي والإسلامي ، فقد وازن بين اصطلاحات ثلاثة :
(علم - فقه - لغة) (١) ، حتى يصل إلى الغاية المنشودة من دراسات علماء العربية للغة ، ويتضح له مفهومها .

(١) فمادة (علم) تفيد الفهم الدقيق والمعرفة والخبرة بالشيء

والمعلم لغة : الأثر يستدل به على الطريق ، وعلمت الشيء : عرفتة وخبرته وشعرت به ، وأتقنته ، والمتعلم : الإنسان أول دخوله في العلم ، والعالم : الإنسان طالت مزاولته للعلم ، والمعالم : الآثار التي تدل على شيء ما معنوياً أو مادياً .
أما مادة (فقه) : فتفيد العلم والفهم ، والفقيه : العالم ، والأنثى : فقيهة من نسوة فقائه وفقهاء ، وفقهت الحديث أفقهه إذا فهمته ، (وفقه) بضم القاف : صار فقيهاً والوصف : فقيهه ، وفاقهته ، أي : باحثته في العلم .
انظر : لسان العرب والمصباح المنير - مادة (ف ق ه) .

فالعلم اصطلاحاً :

يطلق على البحث الذي يتناول دراسة مجموعة من الظواهر لمعرفة حقائقها ووظائفها ، وعلاقتها بغيرها ، وتطورها ، وأسباب ذلك ونتائجه ، على جهة الوصف التحليلي . أما ما يتجه إلى التطبيق والاستفادة من دراسة الظواهر فإنه يسمى " فنّاً " .

فقه اللغة :

هو العلم الذي يكشف أسرار اللغة ومعرفة قوانين حياتها ، وسر تطورها ، ودراسة ظواهرها المختلفة : تاريخية ، ووصفية ، كما يهتم بدراسة ، ومعرفة الخصائص النحوية ، والصرفية والصوتية ، والدلالية ، وغيرها من أنظمة اللغة .
أي أنه يشمل كل الدراسات اللغوية :

كالبحث في نشأة اللغة والاحتكاك ، والأصوات ، ودلالة الألفاظ ، والتركييب النحوية ، وعلاقة الجمل بعضها ببعض ، ودراسة الأساليب البلاغية ، ويطلق عليه في الغرب (فيولوجي)^(١) .
كما يبحث فقه اللغة في مسائل :

ك (الإبدال ، والقلب ، والنحت ، والتصحيح ، والاشتراك ، والترادف ، والاشتقاق ، والقياس والاطراد ، والشذوذ وغيرها .

وفقه اللغة هو : العلم الذي يبحث عن الألفاظ العربية ومعانيها وتراكيبها وعن المباحث العامة التي تتعلق بها في أطوارها المختلفة .

✻ **هذا وقد شاع ذكر هذا المصطلح (فقه اللغة)** في كتب العربية قديمها وحديثها ، ويطلق على نوع من البحوث اللغوية كالكلام في أصل ونشأة اللغة ، وخصائصها ، وتداخل اللغات وتوافقها وتنوعها فروعاً ولهجات وقضايا لغوية أخرى كالقياس ، والاطراد ، والشذوذ ، والاشتقاق ، والترادف ، والمشتراك اللفظي والمعنوي ، والفصح من الكلام ، والمصنوع والدخيل ، والمعرب والمولد ، والقلب ، والإبدال ، والنحت ، والتصحيح ، والتحريف ، وغير ذلك من الموضوعات التي يشملها فقه اللغة^(٢) .

وفقه اللغة مصطلح له وجود تاريخي في تراثنا العربي .

(فقه) مادة (ف ق ه) كما ورد في لسان العرب : الفقه : العلم بالشيء والفهم له ، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله ، على سائر أنواع العلم ، وأصل الفقه : الفهم ، وفقه فقهاً ، بمعنى : علم علمًا ، وفي المعجم الوسيط : الفقه : الفهم والفتنة والعلم ، وغلب على علم الشريعة و أصول الدين .

(١) قد عرف (فقه اللغة) في العالم العربي الحديث في الجامعة المصرية حين ألقى (جويدى) محاضراته بالجامعة المصرية في ١٩٢٦/١٠/٧ ، ورأى أن كلمة (فيولوجي) يصعب ترجمتها للعربية ، وقد تعني دراسة الصرف والنحو والنقد والأدب واللغة والحياة العقلية ، فيدخل في دائرة الفيولوجي (علم اللغة) وفنونها المختلفة ، كتاريخ اللغات ، ومقابلة اللغات ، والنحو والصرف ، العروض ، وعلوم البلاغة ، وعلم الأدب ، وتاريخ الأدب ، وتاريخ العلوم ، وتصنيفها ، والتدوين .

(٢) راجع : قضايا لغوية - د/كمال بشر - ص ٢ وما بعدها ، مقدمة في علوم اللغة - د/ البدرابي زهران - ص ١٢٧ وما بعدها .

❖ فقد سمي به كتاب لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : " الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلاهما " وهو يضم أبحاثاً شتى فى اللغة العربية فى الخط العربى ، وفى اللهجات ، واختلاف اللغات ، والفعل ، والحرف ، ومعانى بعض الأدوات والحروف ، كالتاء ، والفاء ، وإنما ، وإلا ، وإذا ، وغيرها ، وقد جزم د/ عبده الراجحى بأن أول من أطلق وابتكر هذه التسمية ، أو هذا المصطلح ، هو أحمد بن فارس .

كما سمي به كتاب لأبى منصور الثعالبى (ت ٤٣٠ هـ) : " فقه اللغة وأسرار العربية " ويضم فى قسمه الأول : الألفاظ الخاصة بالنبات والشجر ، والطعام والثياب ، وبعض الألفاظ الأجنبية التى دخلت العربية عن طريق الفارسية ، ويضم قسمه الثانى أبواباً عن : التقديم ، والتأخير والإضافة والكناية والاستعارة والنعت والاشتقاق والابنية .

والواقع :

أن ما ذكر فى هذين الكتابين يوضح خصائص اللغة العربية وأسرارها الدقيقة ، وأن هذه العبارة لم تخصص فى نوع من فروع الدراسات اللغوية المعروفة لدى القدماء كالأصوات والنحو والصرف والمعاجم .

أضف إلى هذين الكتابين كتاب الخصائص لابن جنى ، وكتاب المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ، وقد تناولت هذه الكتب كثيراً من قضايا اللغة العربية ، بالإضافة إلى ما يتصل بتحديد مفهوم اللغة ونشأتها وعوامل تطورها ..
مما يؤيد ما ذهب إليه العلماء فى مفهوم (فقه اللغة) عند القدماء ، من أنها لم تكن تدل على منهج واضح ، أو نظرة عامة فى تناول الدرس اللغوى .

" منهج فقه اللغة "

قيل : إنه منهج للبحث استقرائى وصفى يعرف به موطن اللغة الأول ، وفصيلتها وعلاقتها باللغات المجاورة ، أو البعيدة الشقيقة أو الأجنبية وخصائص أصواتها ، وأبنية مفرداتها وتراكيبها ، وعناصر لهجاتها ، وتطور دلالتها ، ومدى نمائها قراءة وكتابة .
وتتعلق بحوثه بعلوم التاريخ لمعرفة موطن اللغة الأول وروابطها باللغات الأخرى ، واللهجات ثم علم الأصوات ، ثم علم الدلالة لبحث تطور الألفاظ ، وما تفيده من المعانى^(١) .

" مراحل التأليف فى فقه اللغة "

مر التأليف فى فقه اللغة العربية بعدة مراحل شهدت كثيراً من علماء (قدماء ومحدثين) قدموا دراسات مفيدة لأبناء العربية
أولاً : مرحلة الرعيلى الأول :

(١) انظر : فقه اللغة - د/ صبحى الصالح .

بدأت على يد الخليل صاحب كتاب العين ، وتلميذه سيوييه (ت ١٨٠ هـ) ، وما قدمه الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) في كتابه الاشتقاق ، وابن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ) في الاشتقاق ، والزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) في كتابه الاشتقاق .

وبعض المؤلفات عن ظواهر لغوية متأثرة كالترادف والتضاد والقلب والإبدال وغيرها ، وجدت في مؤلفات الرعيل الأول من هذه المرحلة أمثال : أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، وابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ، وغيرهم .

ثانياً : مرحلة النضج والازدهار :

وهي مرحلة العصر الذهبي للغة ، على يد ابن جني ، في كتابه " الخصائص " الذي بحث في أصل اللغة ونشأتها ومقاييسها ، ثم على يد أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه " الصحابي في فقه اللغة " ، وسنن العرب في كلامها - معالجاً مسائل فقه اللغة العربية وخصائص العربية النحوية والبلاغية والصرفية ، وظواهر أخرى كثيرة في اللغة .

يجعل الكثيرين يقولون : بأن الدراسة الواسعة لموضوعات فقه اللغة لا تكاد تبدأ إلا في عمل هذين العبقريين المتعاصرين : ابن جني، وأبي الحسين بن فارس بن زكريا.

ثالثاً : مرحلة الضيق والانحسار :

تناثرت بعض قضايا فقه اللغة في كتاب الثعالبي (ت ٤٢٥ هـ) فقه اللغة وسر العربية ، وهي تسمية تجوزا ، فما فيه معاجم إلا قليل مما يخص فقه اللغة العربية ، كذلك في كتاب " المخصص " لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) بعض المسائل : كالترادف والاشتراك ، والتعريب والاشتقاق ، والتذكير ، والتأنيث ، والمقصود والممدود ، وغيرها ، ثم كتاب أبو منصور الجواليقي (ت ٥٢٩ هـ) حيث قضية التعريب وبعض الألفاظ المعربة ، وسميت المرحلة بذلك لضيق مفهوم " فقه اللغة " فيها ، وجعله في مسائل محدودة .

رابعاً : مرحلة العودة إلى الازدهار :

وذلك على يد الإمام السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه " المزهر في علوم اللغة " ، وهو يتناول كثيراً من البحوث اللغوية في فقه اللغة : نشأة اللغة ، المصنوع - الفصيح - الحوشي - الغريب - المستعمل - والمهمل - وتوافق وتداخل اللغات - المولد - المعرب - الاشتراك - الترادف - التضاد ، الاشتقاق ، القلب - الإبدال - النحت ، ويعد الكتاب دائرة معارف في فقه اللغة. ثم كتاب " شفاء الغليل في الدخيل من كلام العرب " لشهاب الدين الخفاجي ، ثم كتاب " الجاسوس على القاموس " ل أحمد بن فارس الشدياق في نقد المعاجم المتقدمة ، ثم كتاب " سر الليال في القلب والإبدال "

وكلها كتب تدل على نهضة لغوية أثمرت جهوداً رائعة في خدمة اللغة العربية، وعلم اللغة بشكل عام .

خامساً : مرحلة المعاصرة :

هي التي أنشئت فيها المجمع اللغوية العربية في مصر وسوريا والعراق ، وأوفدت فيها البعثات لأوروبا وأمريكا، ودعوة المستشرقين للتدريس في الجامعات المصرية والعربية - دراسات لغوية حديثة - وقد انعكس ذلك كله على جهود المحدثين من العرب في التأليف في موضوعات " فقه اللغة العربية ، وعلم اللغة العام .

" جهود علماء العربية في (فقه اللغة) (١) "

اسم " فقه اللغة " قديم عند العرب فقد سمي (الثعالبي) (ت ٤٢٩ هـ) كتابه " فقه اللغة وأسرار العربية " ، " وقبله أحمد بن فارس " (ت ٣٩٥ هـ) كتابه " الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهما " ، وقد شمل مسائل في فقه اللغة ، كنشأة اللغة وخصائص العربية واللهجات ، والفصحى والعامية العربية ، والقياس والاشتقاق في اللغة العربية ، وآثار الإسلام في اللغة العربية ، والترادف ، وحروف الهجاء العربية ، وحروف المعنى ، وعليه قامت كتب كثيرة ، كاشتقاق ، ومقاييس اللغة وهي من صميم فقه اللغة كذلك تأليف " ابن جني " (ت ٣٩٢ هـ) من قبلهم ، لكتابه " الخصائص " ويضمُّ بحوثاً لغوية قيمة كأصل اللغة ، ومقاييس العربية والقياس ، والاشتقاق ، كما ألف ابن سيدة كتابه " المخصص " وضم الترادف ، والاشتراك ، والاشتقاق ، والتذكير ، والتأنيث ، والمقصود والممدود ، وكذلك البحوث اللغوية الواسعة في كتاب " المزهر " للإمام السيوطي .

جهود علماء العربية المحدثين :

للمحدثين من العرب جهود مشكورة ، في التأليف في موضوعات فقه اللغة العربية وعلم اللغة العام ، والترجمة فيهما من اللغات الأجنبية المختلفة .

وهذه قائمة بأهم المصادر العربية في الدرس اللغوي، مرتبة على حسب أسماء أصحابها :

الدكتور إبراهيم أنيس :

الأصوات اللغوية - في اللهجات العربية - دلالة الألفاظ - من أسرار اللغة - مستقبل اللغة العربية المشتركة - طرق تنمية الألفاظ في اللغة - اللغة بين القومية والعالمية .

الدكتور إبراهيم السامرائي :

(١) في فقه اللغة العربية - د/ رمضان عبد التواب .

دراسة في اللغة - الفعل : زمانه وأبنيته - التطور اللغوي التاريخي - التوزيع اللغوي الجغرافي - العربية بين أمسها وحاضرها - مقدمة في تاريخ العربية - مباحث لغوية - فقه اللغة المقارن .

الدكتور أحمد حسين شرف الدين :

اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام - لهجات اليمن قديماً وحديثاً .

اللغات العربية في التراث	الدكتور أحمد علم الدين الجندي
التهديب في أصول التعريب	د/ أحمد عيسى
من قضايا اللغة والنحو : دراسة الصوت اللغوي	د/ أحمد مختار عمر
فقه اللغة وخصائص العربية	د/ محمد المبارك
مشكلات حياتنا اللغوية	الشيخ أمين الخولي
نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها	الأب أنستاس ماري الكرمللي
اللهجات وأسلوب دراستها	أنيس فريحة
مناهج البحث في اللغة - اللغة بين المعيارية والوصفية : اللغة العربية : معناها ومبناها	د/ تمام حسان
الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية : اللغة العربية كائن حي : اللغة العربية كائن حي العرب قبل الإسلام	جورجي زيدان
اللسان والإنسان - الساميون ولغاتهم	د/ حسن ظاظا
اللغة والنحو	د/ حسن عون
المعجم العربي : نشأته وتطوره	د/ حسين نصار
دراسات في اللغة العربية	د/ خليل يحيي نامي
أبحاث في اللغة العربية	د/ داود عبده
التضاد في ضوء اللغات السامية	د/ ربحي كمال
دراسات في فقه اللغة العربية - دراسات مقارنة في المعاجم العربي	د/ السيد يعقوب بكر
دراسات في فقه اللغة	د/ صبحي الصالح
علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي	د/ محمود السعران
لحن العامة والتطور اللغوي - التذكير والتأنيث في اللغة - فصول في فقه اللغة - التطور اللغوي	د/ رمضان عبد التواب

وقوانينه - اللغات السامية - لنولدكه (ترجمة) فقه اللغات السامية لبروكلمان (ترجمة) العربية ليوهان فاك (ترجمة)	
لغتنا والحياة	د/ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي)
اللهجات العربية في القراءات القرآنية	د/ عبده علي الراجحي
محاضرات في اللغة - اللغة والتطور أصوات اللغة العربية ولهجاتها - دراسات نقدية في النحو العربي	د/ عبد الرحمن أيوب
دراسات لغوية - في التطور اللغوي المنهج الصوتي للبنية العربية العربية الفصحى لهنري فليش (ترجمة) - في علم اللغة العام	د/ عبد الصبور شاهين
الاشتقاق	د/ عبدالله أمين
المعاجم العربية	د/ عبد السميع محمد أحمد
علم اللغة ومناهجه	د/ عبدالله ربيع محمود
مناهج البحث في اللغة والمعاجم علم اللغة بين القديم والحديث	د/ عبد الغفار حامد هلال
المعاجم العربية	د/ عبدالله درويش
مقدمة لدرس لغة العرب	د/ عبدالله العلايلي
القراءات واللهجات	د/ عبد الوهاب حمودة
المعجم العربي بين الماضي والحاضر	د/ عدنان الخطيب
نشأة اللغة عند الإنسان والطفل	د/ علي عبد الواحد وافي
علم اللغة وصناعة المعجم	د/ علي القاسمي
قضايا لغوية - دراسات في علم اللغة علم اللغة العام (الأصوات)	د/ كمال محمد علي بشر
مقدمة لدراسة فقه اللغة	د/ محمد أحمد أبو الفرج
دراسات في فقه اللغة	د/ محمد الأنطاكي
فقه اللغة وخصائص العربية	د/ محمد المبارك
علم اللغة العربية - مدخل إلى علم اللغة اللغة العربية عبر القرون	د/ محمود فهمي حجازي

وفي كل هذه المؤلفات كان اهتمام الباحثين منصباً على دراسة المفردات دون الجمل ، أو التراكيب ، حتى جاء القرن الرابع الهجري بثقافته المتسعة ، وعلومه الكثيرة ، نتيجة امتزاج الثقافة العربية بالأجنبية ، مما سهل على علماء العرب أن يحصلوا على كتب الأجانب ، وأن يطلعوا عليها بما فيها من دراسات في الفلسفة ، والنجوم ، والرياضيات ، والفلك ، والطب ، فوسع ذلك فكرهم ، وأوقد عقولهم ، وسارت دراسة اللغة إلى نحو جديد يتناسب وحاجات العصر ومناهجه ، فظهرت في العصر الحديث والمعاصر بحوث قيمة ، ومؤلفات جلييلة في اللغة ، قام بها مستشرقون وعلماء عرب - قام معظمها على دراسات وصفية تعني بدراسة البحوث السابقة (١) .

لماذا علم اللغة ؟

جاء الإسلام ، وامتدت فتوحاته ، واختلط العرب بالعجم ، ففشا اللحن ، وبدأ يتسرب إلى السنة المتكلمين بالعربية ، فتم وضع القواعد النحوية التي تقي اللسان من الخطأ . ولأن لقاء العربية بلغات البلاد المفتوحة أوجد تشوهاً في أصواتها وطريقة أدائها ، مما أدى إلى إهمال بعض الألفاظ العربية ولا شك أن العربية صرعت لغات البلاد المفتوحة ، وبدت آثار هذا الصراع على العربية بذويوع اللحن ، والفساد ، وشمل ذلك الأصوات ومعاني الكلمات والأساليب والقواعد التي فسد منها ما فسد ، ودخل عليها ما دخل ، مما دفع المهتمين بالعربية للحرص والمحافظة عليها ، فقاموا بجمع وتدوين ألفاظها ، وطرائقها في التعبير ، خوفاً من طمس معالمها ، فهي لغة القرآن الكريم ، مفجر علوم اللغة في التراث العربي . لذا قامت حولها الدراسات اللغوية المتعددة ، واستنبط القواعد العربية منها في المفردات والتراكيب والأسلوب والدلالة ، وبيان الأصل منها والدخيل ، والاهتمام بشرح القرآن الكريم وجمع الحديث ، وعلوم الدين واللغة العربية .

كل تلك الدراسات قامت حفاظاً على كتاب الله ، والوصول إلى ما يحتويه من أحكام ، فكانت أبحاثهم العملية عن طريق قراءة القرآن عن طريق التلقي والعرض أسبق من وضع كتب تحدد منهج القراءات ، وكان الفقه أسبق من الأصول .

إذن الدراسات اللغوية العربية تطورت بحيث نراها بادئة بما هو عملي من حيث جمع الألفاظ وضبطها ، ثم دراسة التراكيب اللغوية قبل الوصول إلى منهج عام في درس اللغة ، فمعالم النشأة للحياة العلمية العربية تنبع من داخلها ، وليس من خلال تأثيرات خارجية أغلبها مزعوم

(١) هكذا توالى التأليف في متن اللغة وفقهها .

أو ليس له القدرة على أن يصمد أمام النقد العلمي الصحيح ، فالعلوم العربية نشأت متصلة مترابطة منذ البداية ، ثم تطورت بعد ذلك في مناخ عقلي عام صنعتها حياة العرب .
وأريد أن أقول : إن فهم المنهج العربي في علومهم العربية يجب أن يلتمس من داخل الحياة العقلية العربية ، والمناخ العقلي العام الذي نشأ وتطور وتأصل في ظل النص القرآني .
وأقول أيضاً : إن هناك فرقاً بين علم يسعى (لفهم) النص ، وعلم يسعى (لحفظه) من اللحن فلو كان الثاني لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس اللغوي ، أما محاولة الفهم هي التي حددت مسار المنهج ؛ لأنها ربطت درس اللغة بكل المحاولات الأخرى التي تسعى لفهم النص ، وما من كتاب إلا وينبئ في مقدمته إلى امتلاك أدوات الدرس ، وأولها علوم العربية **ولذا أرى الثعالبي ،** يقول : " والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين ، وسبب إصلاح المعاش والمعاد ، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها ، والوقوف على مجاريها وتصاريقها ، والتبحر في جلائها ودقائقها إلا قوة اليقين في إعجاز القرآن ، وإثبات النبوة لكفى بها فضلاً يحسن أثره ، ويطيب في الدرين ثمره" (١) .

ويقول الإمام السيوطي : " ولا شك أن علم اللغة من الدين ، لأنه من فروض الكفايات ، وبه تعرف ألفاظ القرآن والسنة

ويقول سيدنا عمر (رضى الله عنه) : " لا يقرء القرآن إلا عالم باللغة "

ويقول الفارابي :

" القرآن كلام الله وتنزيله ... ولا سبيل إلى علمه ، وإدراك معانيه إلا بالتبحر في علم هذه اللغة **وعلم اللغة هو :** الطريقة العلمية المنظمة لدراسة اللغة في ضوء الواقع والاستخدام الفعلي للتراكيب اللغوية ، بهدف وصفها وتحليلها والكشف عن حقيقتها ، وبيان وظائفها المختلفة ، مع مراعاة أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، وعلى ذلك فهذا العلم يعد من العلوم الاجتماعية ، وله مكانته المتميزة بين هذه العلوم نظراً للتقدم الكبير الذي أحرزه في السنوات الأخيرة .
بمعنى أن علم اللغة الحديث لا يجري وراء تصحيح الكلام ، أو الكشف عن أخطائه ، وليس من وظيفته المباشرة وضع قواعد ، أو أحكام عامة ، للتمييز بين الجيد والرديء منه ، وإنما وظيفته دراسة اللغة ذاتها ، دراسة تشمل كل ظواهر الكلام الإنساني في القديم أو الحديث ، عند الأمم المتحضرة أو البدائية ، وتتحقق في أشكال لغات كثيرة ، ولهجات متعددة ، وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني ، فعلم اللغة - إذا - لا يقف عند حدود لغة معينة بل يتجاوز اللغات الحية

(١) انظر: فقه اللغة للثعالبي - ص ٢ ، القاهرة ، ط سنة ١٢٨٤ هـ ، وفقه اللغة - د/ عبده الراجحي - ص ٣٥ ط .

إلى اللغات الميتة ، كما يهتم بدراسة كل أشكال التعبير اللغوي لوضع نظرية عامة في اللغة الإنسانية تكشف عن طبيعة اللغة .

وعلم اللغة يعد أحدث العلوم الإنسانية ، فقد ظهر في منتصف القرن الـ ١٨ ، وعلى الرغم من تناول قدماء الإغريق والهنود والعرب لموضوع اللغة إلا أن علم اللغة الحديث تناول اللغة بشمول أعم وبمنهجية جديدة حتى وصل إلى حقائق لم تدر في خلد القدماء ، وأن يكشف عن مبادئ ونتائج أدق وأعمق من تلك التي عايشوها دهرًا طويلًا .

أما علم اللغة ، أو علم اللغة العام **General linguistic** ، فقد أدخل للجامعات العربية حديثًا ، ويعالج قضايا اللغة مجردة من الارتباط بأية لغات من لغات العالم ، حيث يبحث هذا العلم في اللغة ذاتها من أجل ذاتها كما يرى العالم السويسري (دوسوسير) (١) .

كان لمحاضرات (دي سوسير) في علم اللغة العام ، والتي نشرت عام ١٩١٦م - أكبر الفضل في تطور الدراسات اللغوية مما يجعله يقف الموقف المؤسس الحقيقي لعلم اللغة الحديث .

” علم اللغة عند علماء اللغة وعلماء الاجتماع ”

علم اللغة فقد عرفه العالم (زاده) (ت ٩٦٨هـ) بأنه : ” علم يبحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية ، وغايته الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية والوقوف على ما يفهم من كلام العرب ” .

وقد عرفه ابن خلدون بأنه : ” بيان الموضوعات اللغوية ”

وعرفه الفارابي بأنه : ” علم الألفاظ الدالة عند كل أمة على قوانين تلك الألفاظ ” (٢) .
وعرفه الدكتور / حلمي خليل بأنه :

” العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية ويهتم بدراسة اللغات من أجل ذاتها والحصول على معلومات عن طبيعة اللغة بشكل عام (٣) .

وقد عرفه د / محمود السعران بأنه : ” العلم الذي يتخذ اللغة موضوعًا له ”

وعرفه د / محمود فهمي حجازي بأنه : ” دراسة اللغة على نحو علمي ”

وعرفه العالم اللغوي (ماريو باي) بأنه :

” الدراسة العلمية للغة واللغات (١) ويعنون بذلك استخدام المناهج العلمية في دراستها ، دراسة تتسم بالوضوح والدقة والنظامية والموضوعية والشمول واليقين

(١) انظر : دراسات في علم اللغة - د/ كمال بشر ، وعلم اللغة - د / السعران .

(٢) انظر : مقدمة ابن خلدون ، وإحصاء العلوم - للفارابي - تحقيق د / عثمان أمين - ط ثانية ١٩٤٩م - القاهرة - ص ٤٥ : ٦٣ .

(٣) أي أن علم اللغة : علم معياري يبحث عن الصواب والخطأ في استعمال الألفاظ من حيث الدلالة والاشتقاق والتركيب ، وضبط اللغة ، ويبحث في نشأة اللغة وأصل اللغة وجمع وتدوين ورواية الألفاظ ، والبحث في دلالة واشتقاق الألفاظ ودراسة جوانب صوتية وصرفية ، وعمل المعاجم اللغوية ، وكل ذلك يهدف إلى ضبط اللغة ، أي : الاحتراز من الخطأ في استعمال كلام العرب أو الخروج عن سنن العربية في الكلام .

وعرفه بعض المحدثين بأنه العلم الذي يبحث في أي لغة إنسانية ، ويتخذها موضوعاً له ،
ويدرسها من النواحي الوصفية والتاريخية والمقارنة ، وما بينها من علاقات ، كما يدرس العلاقة
بين اللغات ووظائفها وأساليبها ونظمها الاجتماعية المختلفة (٢) .

✽ **وهكذا نرى أن علم اللغة** يستقي مادته من النظر في اللغات على اختلافها ، محاولاً الوصول
إلى فهم الحقائق والخصائص التي تجمع اللغات الإنسانية كلها ، في إطار واحد .
والعالم اللغوي : هو الشخص الضليع في علم اللغة ، ويهتم بدراسة مفردات اللغة وجمعها ،
وإخراج أو عمل المعاجم اللغوية ، واللغوي شأنه ينقل ما نطق به العرب ، ولا يتعداه ، وهو
الشخص الحاذق في استعمال اللغات ، وهو الذي يبرع في لغات أخرى بجانب لغته الأصلية (٣)
وعلى اللغوي : أن يقتصر على ملاحظة الحقائق اللغوية ، ويكتفي بوصفها وصفاً موضوعياً ، ولا
يتجاوز ذلك بأن يصدر أحكاماً بالصواب أو الخطأ ، كما أن عليه أن يدرك أن عمله ينحصر في :
" وصف الحقائق لا أن يفرض القواعد " فلا يعنى نفسه بترقية اللغة أو السمو بها ، أو
تقويم ما فيها من خطأ ، ولا يشغل نفسه بأمور التربية أو تعليم اللغة .

✽ **ثم إن العالم اللغوي** ليس من يتقن عددًا من اللغات " متعدد اللسان " فقد يجيد لغات جمّة ولا
معرفة له بطبيعة اللغة ، فالمزارع مجيد للزراعات وأصناف النباتات لكن ذلك لا يجعله في زمرة
علماء النبات ، وهكذا ، فالعالم اللغوي يتقن لغته الأصلية فقط ، لكنه يقدم دراسة لغوية قيمة
لحضارة أو ثقافة أصيلة .

أما الطرق التي يستخدمها اللغوي في ملاحظة الظواهر المدروسة فكثيرة ، فمنها :
السمع ، أو التدوين الصوتي ، أو الأجهزة التي تسجل المادة أو تستخدم في تحليلها ، نحو :
راسم الندبات ، أو جهاز رسم الأطياف ، أو الكيمو جراف .
وقد يعتمد الباحث إلى الإحصاء ، أو استخدام الرموز ، والمعادلات ، وبعد الملاحظات تأتي مرحلة
الفروض التي تفسر هذه الظواهر ، ثم تأتي مرحلة القوانين ، والقواعد كجزء من المنهج تصف
سلوك عملي في تركيب اللغة .

” موضوع علم اللغة ”

موضوع علم اللغة : هو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها
واللغة تدرس في إطار علم اللغة في المجالات الآتية :

(١) انظر : علم اللغة د / محمود السعران - ص ٥١ - وعلم اللغة - د / محمود حجازي - ص ٣١ ، وفي علم اللغة - د /
سيد شرف ، وأسس علم اللغة - لماريو باي - ص ٢٩ .

(٢) انظر : المدخل إلى علم اللغة - د / رمضان عبد التواب - ص ٧ .

(٣) وقد ميز - عبد اللطيف البغدادي اللغوي من النحوي بقوله : " اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطق به العرب ولا يتعداه
، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما نقله اللغوي ، ويقيس عليه ، مثلهما كالمحدث الذي ينقل الحديث برمته ، والفقيه يتلقاه
ويتصرف فيه ، ويبسط علله ، ويقيس عليه الأمثال والأشباه " .

الأصوات

بناء الكلمة (الصرف)

بناء الجملة (النحو)

المفردات ودلالاتها (المعجم)

ودراسة هذه الخصائص اللغوية صوتيا وصرفيا ونحويا وداليا قد أطلق عليها منذ القرن ال ١٩ علم اللغة أو علم اللغة العام .

الفرق بين (فقه اللغة ، وعلم اللغة)

أولاً: أن كلمة (فقه) تعني : إدراك الشيء والعلم به والفهم له (١) .
قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ (٢) .
، والمراد : ليكونوا علماء به ، يفهموه ، ويقفوا على القوانين التي يسير عليها العلم ، وفي دعاء الرسول ﷺ : " اللهم علمه الدين ، وفقهه التأويل " ، والمراد فهمه .
وفي الصحابي لابن فارس : أن فقه الشيء هو كل ما يتصل بفلسفته وفهمه ، والوقوف على ما يسير عليه من قوانين ، فقيل : الفقه : فهم الشيء ، وقيل : كل علم لشيء فهو فقه^٣ لذا فعلم اللغة عند القدماء العرب هو فقه اللغة .

ثانياً: شاع مصطلحا (فقه اللغة - علم اللغة) في مجال الدراسات اللغوية ، وإن تغلبت التسمية الأولى في العصر الحديث على فروع هذه الدراسات ، كما كانت التسمية الثانية أكثر شيوعاً في مجال الدراسات العربية قديماً ، ولم يفرق قدامى العربية في الاستعمال بين المصطلحين .
فعلم اللغة عندهم هو فقه اللغة ، لما ورد في كتبهم من قولهم : (كل علم لشيء فهو فقه) ، ويفضل المحدثون استخدام مصطلح (علم اللغة) ، لأنه يركز على اللغة نفسها (منطوقة) كلام ، أو (مكتوبة) نصوص ، كما يركز على دراسة خصائصها .

ويرى - د / صبحي الصالح بأن المصطلحين كلاهما علم بالكلام ، أي معرفته وفهمه ، وفي مصطلح " فقه اللغة " فهم عميق ، وبحث دقيق ، وقد سمي به كثير من علماء العربية القدامى كتبهم ب " فقه اللغة كالثعالبي " مثلاً ، ويرى د / صبحي الصالح أيضاً :
أن التفرقة بينهما تفرقة تافهة لا وزن لها ، هذا بالإضافة إلى أن مصطلح علم اللغة يقترب من مصطلح " فقه اللغة " عند الفرنجة (٤) .

(١) انظر : لسان العرب - لابن منظور - باب الهاء فصل الفاء مادة (ف ق ه) ، والمصباح المنير للفيومي مادة (ف ق ه)

(٢) ومقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس - ٤/٤٢٤ - تحقيق عبد السلام هارون - مطبعة الحلبي بالقاهرة - ١٣٩٠ هـ

(٣) سورة التوبة : ١٢٢ .

(٤) انظر : الصحابي - لابن فارس - ط بيروت .

(٥) انظر : دراسات في فقه اللغة - د / صبحي الصالح - ص ١٩ وما بعدها .

✽ ورأى بعض العلماء أن الخط ، والتعميم بين المصطلحين كما فعل د / صبحي الصالح في كتابه دراسات في فقه اللغة - فهو خلل يضر أكثر مما يفيد ، ومصطلح فقه اللغة لا يدل على ما يقصده المحدثون مما يسمونه الدراسة العلمية للغة رغم صلاحية للدلالة على ما قصده القدماء فالأحسن أن يقتصر على ما استخدمه له القدماء ، وأن نطلق مصطلح علم اللغة على المعنى الأوسع الذي يشيع لدى المحدثين وإن كان الدكتور / صبحي الصالح يحث على استخدام مصطلح (فقه اللغة) (١) .

بينما يرى أستاذي الدكتور / كمال بشر : أن (فقه اللغة) حلقة من حلقات الدروس في علم اللغة وأنه يمكن الاكتفاء بالمصطلح العام (علم اللغة) ، ولا مانع من الاحتفاظ بمصطلح (فقه اللغة) لأنه يرتبط بتاريخ طويل ، وتقليد ممتد عبر القرون في الدرس اللغوي العربي والسامي بوجه عام .

فأشار بعض الباحثين المحدثين إلى ما يعنيه - ابن جني - المفكر اللغوي الإسلامي الكبير - حين فرق بين علوم اللغة وعلم اللغة أو فقه اللغة ، فعلوم اللغة هي العلوم الموازين الحاوية للقواعد ، والقوانين التي تبين الخطأ من الصواب ، أما علم اللغة ، وفقه اللغة فهما من المباحث التفسيرية الفلسفية الوصفية التي تنبني على درس العلاقة بين الفكر والتعبير ، ودرس التطور التاريخي للغة ، واستقراء الظاهرة اللغوية خلال النصوص ومقارنة الظواهر بعضها ببعض (٢) .

رابعاً : هذا ولم يفرق بين المصطلحين عدد كثير من المتخصصين المحدثين ، حيث فهموا أن علم اللغة : دراسة الصرف أو النحو أو الاشتقاق ، ومعرفة حواشي الكلام ، والفصيح وغير الفصيح على نحو ما ورد في مزهر السيوطي ، أو فقه اللغة للثعالبي ، أو على غرار ما عرضه (ابن جني) في خصائصه ، أو على أنه علم المعجمات . هذا وقد خلط بعض المستشرقين الذين درسوا في كلية الآداب - جامعة القاهرة - بين (علم اللغة ، وفقه اللغة) معنيين به في الأغلب دراسة العلاقات التاريخية بين العربية ، وبين سائر اللغات

(١) وأعتقد : أن هذه الكلمة (فقه) قد انتقلت من بيئة الفقهاء إلى بيئة اللغويين مع ما انتقل من مصطلحات فقهية إلى ميدان الدراسات اللغوية غير أن كلمة (فقه) استعملت هنا بمعنى فهم الشيء فهماً دقيقاً ، أو التعمق في دراسة اللغة العربية ومعرفة خصائصها وأسرارها بشكل عام ، لأننا لا نكاد نجد موضوعات محددة أو منهجاً واضحاً يدرس به القدماء ما أطلقوا عليه فقه اللغة . انظر : فقه اللغة د / صبحي الصالح .

وفقه اللغة عند سائر المعاجم هو علم اللغة ، ولا فرق بينهما لغوياً ، كما يرى د / صبحي الصالح أ، هـ من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين العلمين لتداخل مباحثهما لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب ، قديماً وحديثاً ، والفرقة بينهما تافهة ولا وزن لها . انظر : فقه اللغة - د / صبحي الصالح .

(٢) انظر : اللسان والإنسان - د / حسن ظاظا - ص ٤٣ بتصرف .

السامية ، أو دراسة المفردات على أساس تاريخي ، وقد سار على ذلك النهج جيل من أساتذة معهد اللغات الشرقية بالجامعة .

ورأى البعض أنه يوجد تقارب بين المصطلحين ، فكلاهما يعني : فهم اللغة ومعرفة خصائصها و أسرارها ، وأن علماءنا القدامى لم يفرقوا بين المصطلحين ، لاتحادهما في المعنى، ومعناهما يدخل أساسًا في (علوم اللغة العربية)
ويختلفان عن مصطلحات العلوم العربية الأخرى من نحو وصرف وبلاغة وأدب ، كما أنه لا يستغنى أحدهما عن الآخر مطلقًا .

وعلم اللغة هو علم ينقل الألفاظ الدالة على المعاني المفردة ، وضبطها ، وتمييز الخاص منها بذلك اللسان الدخيل فيه ، وبيان الألفاظ المتباينة والمترادفة والمشاركة ، والمتشابهة .
كما جعلوا علم اللغة مرادفًا للمصطلح القديم (متن اللغة) ناظرين لاستعماله التقليدي بمصطلح علم اللغة الوارد ذكره بهذا المعنى بكثرة في كتب اللغة العربية ككتاب الصاحبى لابن فارس ، والمزهر للسيوطي ، وبعض المؤلفات الحديثة .
ويقول الشيخ / حمزة فتح الله " اعلم أنه يقال لعلم اللغة (علم متن اللغة) " (١) ويطلق على دراسة دلالات المفردات اللغوية ، وهو ما يعرف بالمعجمات العربية .

وأعزرت الكتب في متن اللغة ، وبيان اشتقاقها ، ومجازاتها ، والمعرب منها " المخصص لابن سيدة (ت ٤٥٨ هـ)

وبعد هذه الإشارة إلى مفهوم (فقه اللغة - وعلم اللغة)

فإن بعض العلماء يرى أن هناك فوارق تميز أحدهما عن الآخر ذكروا منها ما يلي : -

١- علم اللغة هو دراسة اللغة دراسة علمية من حيث أصواتها أو مفرداتها أو تراكيبيها ودلالاتها ، وفقًا لمنهج اللغة الوصفي أو التاريخي أو المقارن ، كما يدرس قضايا اللغة الإنسانية العامة ، أما فقه اللغة فهو العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللغة وقوانينها، ومعرفة سر تطورها ودراسة ظواهرها المختلفة تاريخيًا من جانب ، ووصفيًا من جانب آخر .
وهو بهذا المدلول يشكل كل قضايا اللغة التي تبحث في نشأة اللغة الإنسانية الأولى ، واحتكاك اللغات ببعضها ، والبحوث الخاصة بالأصوات والألفاظ ودلالاتها ، ودراسة العلاقة النحوية بين مفرداتها ، كما يهتم بدراسة خصائص اللغة (لغة معينة) من أجل تصحيح أخطائها ، وتقويم المعوج منها ، فيهتم ببيان الأساليب الفصيحة والجيدة والرديئة المستعملة والمهملة .

(١) أطلق علماءنا القدامى (علم اللغة - وفقه اللغة) على (متن اللغة) ويتناول هذا العلم جمع ألفاظ اللغة وشرحها ، ودراسة

دلالات المفردات اللغوية ، ودراسة بعض قضايا اللغة العربية ك : التعريب ودلالة الألفاظ كالمشترك اللفظي والتضاد والمترادف والفصيح وغيره كما ورد في كتاب (فقه اللغة) للثعالبي .

انظر : دراسات في علم اللغة - د / كمال بشر - القسم الثاني - ص ٤٠ ، ٤١ ، والمواهب الفتحية - للشيخ حمزة فتح الله ٢٠١/٢١ ، وعلم اللغة - د / محمود السعران - ص ١٢ .

٢- علم اللغة يدرس اللغات المنطوقة أو المسموعة أو الحية وفقاً للدراسات الوصفية ، أما فقه اللغة فيميل بدراساته إلى اللغات المكتوبة أو القديمة أو الميتة أو الفصيحة ونصوصها وفقاً للدراسات التاريخية .

٣- يدرس منهج فقه اللغة اللغة على أنها وسيلة لدراسة الحضارة أو الأدب ، ويدرس منهج علم اللغة اللغة بذاتها ، أي وسيلة وغاية في ذاتها .

٤- ميدان (فقه اللغة) أوسع وأشمل فيتناول دراسة الأدب والحضارة والحياة العقلية ، وتقسيم اللغات ومقارنة اللغات ، وشرح النصوص القديمة وتحليلها ، بينما يركز (علم اللغة) على التحليل لتراكيب اللغة ووصفها .

٥- أن مصطلح (فقه اللغة) أسبق زمانياً من مصطلح (علم اللغة) .

٦- يعني (فقه اللغة) بما حول اللغة أو ما يتصل بالشكل اللغوي ، بينما يعني (علم اللغة) بالشكل فقط ، أي هو تركيبى أو شكلي ، بينما (فقه اللغة) مقارن .

٧- لم يوصف (فقه اللغة) بأنه علم ، بينما وصف (علم اللغة) منذ نشأته بكون علمًا .

٨- عمل فقهاء اللغة عمل تاريخي مقارن في أغلبه ، بينما عمل علماء اللغة فوصفي تقريرى .

٩- (علم اللغة) لم ينتشر إلا في أواخر القرن الـ ١٩ بينما (فقه اللغة) علم تاريخي غايته معرفة الحضارات الماضية بوساطة الوثائق المكتوبة التي تركتها ، والتي تساعدنا على فهم تلك الحضارات وتفسيرها ، بينما عرف العرب (فقه اللغة) في أواخر القرن الرابع الهجري حين ألف أحمد بن فارس والثعالبي كتابيهما (الصاحبى ، فقه اللغة) ولم يفرقا بين مفهوميهما في الاستعمال .

١٠- ويرى (ماريوباي) أن موضوعات " فقه اللغة " (فيولوجي) هي دراسة اللغة والثقافة والأدب ، أما علم اللغة فيدرس اللغة نفسها مع إشارة عابرة للثقافة أو التاريخ ، وكلاهما لا ينفصل عن الآخر ، ولا يستغنى أحدهما عن الآخر (١) .

بينما يرى (لومل) أن علم اللغة يساعد في دراسة (الفيولوجي) ، وبالتالي فهو علم قائم بذاته ، والعلاقة وثيقة بين العلمين إلى درجة أن الاستعمال الشائع للكلمتين لا يكاد يفرق بينهما .

١١- يدرس علم اللغة اللغة على أربعة مستويات :-

أ-الصوتي : لدراسة الأصوات ، وصفاتها ، ومخارجها .

(١) انظر : أسس علم اللغة - لماريو باي - تحقيق د / أحمد مختار عمر ص ٣٥ .

ب-الصرفي: (مورفولوجي) ، ويدرس الصيغ اللغوية والوحدات الصرفية ، ويدرس بنية الكلمة وأصولها وصيغها واشتقاقها ، وتصريفها ، لأن معرفة أصل الكلمة يوقفنا على تطور ودلالة الأصوات ، وإلى كشف قوانين هذا التطور .

ج- النحوي: (السينتاكس) ، ويدرس الجملة : عناصرها ، وتراكيبها .

د- الدلالة: (السيمانتيك) ، ويدرس المعاني ومشكلاتها ، كما يدرس معاني الجمل والعبارات والمفردات .

١٣- وينقسم علم اللغة حسب المنهج إلى : تاريخي ، ووصفي ، وعام ، ووظيفي ، وبنائي ، وتطبيقي ، ومقارن ، فيقوم (علم اللغة) الوصفي بدراسة لغة معينة في فترة معينة ، ويقوم التاريخي بدراسة لغة معينة من حيث تطورها وتغييراتها خلال التاريخ ، وهو منهج حركي ، ثم تكمل بالمنهج المقارن .

١٤- لم يعتن علماء العربية كعلماء (فقه اللغة) بإعادة تشكيل اللغات القديمة الأصلية .

١٥- درس علماء العربية لغتهم باعتبارها لغة حية منطوقة ، بينما درس العلماء المحدثون فقه اللغات .

١٦- لم يهتم لغويو العرب كعلماء (فقه اللغة) بدراسة التطور الدلالي ولا بدراسة اللهجات ، بل قصروا درسهم على اللغة الفصحى المشتركة التي نزل بها القرآن الكريم .

١٧- التسمية بـ (فقه اللغة) أكثر شيوعاً في مجال الدراسات العربية القديمة ، مقابلة للكلمة الأوروبية philology ، وأصل الكلمة مركب من philos ومن معانيها الحب أو الصداقة ، ومن logos بمعنى الكلام ، والمعنى الكلي هو : حب الكلام أو اللغة الذي يدفع إلى فقهاها أو علمها ، فالكلمة إغريقية الأصل تعني معرفة الأدب الجميل ودراسة نصوصه ، ودراسة لغة معينة بالتحليل النقدي لنصوصها (١) .

١٨- (فقه اللغة) ، و (علم اللغة) ميدانان من البحث متميزان أحدهما عن الآخر ، وإن تداخلا أحيانا واستعان كل منهما بالآخر دائماً (٢) .

١٩- يغلب مصطلح (علم اللغة) حديثاً على فروع الدراسات اللغوية في أية لغة من اللغات الإنسانية كلها ، أما مصطلح (فقه اللغة) فيكثر استعماله ويشيع ذكره في كتب العربية قديمها وحديثها على فروع الدراسات اللغوية في اللغة العربية وحدها .

(١) انظر : في علم اللغة العام - د / عبد الصبور شاهين - ص ٥ ، ٦ مكتبة الشباب - ط ٣ .

(٢) انظر : اللسان والإنسان - د / حسن ظاظا - ص ١٤ .

الفصل الثالث

علم اللغة

(بحوثه - فروعہ - مناهجہ ، ومستوياته)

تمهيد :

تعرضنا فيما مضى لتعريف اللغة ، طبيعتها ووظيفتها وأهميتها ، والآن نعرض لبيان علم اللغة : مفهومه وموضوعه ومناهج البحث فيه ، ومجالات فروعه ، وعلاقته بالعلوم الأخرى ، وغيرها من الموضوعات المتعلقة به .

وقد اختلفت وجهات النظر حول ماهية علم اللغة باختلاف مناهج الباحثين فيه ، وتعدد جوانبه ، فهو العلم الذي يدرس موضوعات اللغة دراسة علمية ، ويدرسها من النواحي : الوصفية ، والتاريخية ، والمقارنة ، كما يدرس العلاقة بين اللغات أو مجموعة منها ، كما يدرس وظائف اللغة ، وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة ، أي أنه يدرس البنية الصوتية والصرفية والنحوية للغة ، كما يدرس مفرداتها ودلالة التراكيب ، وما يصيبها من تغيير وما تتعرض له من انقسام إلى لهجات خلال رحلتها الطويلة ، ويعمل على تحديد بيئة اللغة وعلاقتها بالبيئات اللغوية المجاورة ، ويرصد ظواهر اللغة المختلفة ، كظاهرة التأثير والتأثر ، وعوامل غناها وفقرها ، وسعتها وضيقها ، وعظمتها وضعفها ، ونموها وانقراضها ، كما يدرس اللغة دراسة علمية مستخدماً في دراستها المناهج العلمية ، مقدماً لنا نظريات تفسر اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة تستخدمها كل المجتمعات لأداء وظائف محددة ، وبناء هذه اللغات يتألف من أصوات تنتظم في كلمات ، والكلمات تتألف منها الجمل ، والناس يستخدمون هذه الجمل والأصوات في التعبير عن أفكارها وتوصيلها إلى غيرهم ، كذلك في قضاء حاجاتهم ومصالحهم

✽ وعلم اللغة العام يقوم برسم الأسس المنهجية لتحليل اللغوي من جوانبه المختلفة : الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية .

واللغة تدرس في إطار علم اللغة في المجالات الآتية : -

الأصوات

بناء الكلمة (الصرف)

بناء الجملة (النحو)

المفرد ودلالاتها (المعجم) .

✽ ويهدف من وراء هذه الدراسات إلى فهم كامل ، ووعي شامل بهذه الظاهرة المعروفة باللغة وقد تابع الخليل على ذلك تلميذه (سيبويه) (ت ١٨٠ هـ) في الكتاب تلك القضايا مع الدقة في التحليل والتفصيل ، كما درس الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) الاشتقاق في العربية ، والجوهري (ت ٣٩٣ هـ) في كتابه : تاج اللغة وصحاح العربية .

ثم بدأت بشائر (فقه اللغة) تظهر عندما ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) بعض المسائل ، كدراسته أصوات اللغة من حيث مخرجها وصفاتها ، وشرحه لمعاني الألفاظ والمفردات التي جمعها في كتابه (العين) ، والذي اهتم أيضاً بدراسة قضايا اللغة وظواهرها ، كالإبدال

والإدغام ، والقلب ، وكلها ظواهر لغوية تقوم على امتزاج الأصوات ، وطرق ائتلافها ، نظرًا لما بينها من تقارب أو تباعد .

فكان الكتاب معجمًا نبراسًا ، وهديًا لعلماء اللغة والنحو والصرف والعروض ، والعلوم اللسانية بصفة عامة كما ذكر محقق كتاب العين بالمقدمة .

✽ **بدأ العلماء العرب** يدونون علوم اللغة أوائل العصر العباسي ، وضمت التآليف البحوث المتعلقة باللغة من نحو وصرف ، وبلاغة ، وأدب ولغة ، وكانوا يقبحون التخصص آنذاك (١) . يضاف إلى ما سبق : اهتمام العلماء بالعربية فأرادوا أن يثبتوا براعة ورقي العربية على غيرها من اللغات ، وأنها صالحة للحياة والحضارة ، فألفوا مؤلفاتهم العربية ترغيبًا فيها ، وكشفًا عن أسرارها في بنيتها وأسلوبها ، وقواعدها ، وخصائصها وسر صناعة إعرابها لابن جني اللغوي العبقرى ذي الأصل الرومى ، الذي بهر سحر العربية وجمالها فقال : " لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة ، وما فيها من الغموض والرقّة والدقة لاعتذرت من اعتراف بلغتها ، فضلًا عن التقديم لها ، والتنويه منها .

ويشرح ابن جني منهجه في خصائصه قائلاً : " إنه ليس مبنياً على حديث وجوه الإعراب ، وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام ، وكيف بدىء ،

إلام نحى (٢) كما أشار (ابن فارس) إلى أنه يوجد فرع وأصل لعلم العرب ، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات ، كقولنا رجل وفرس ، وطويل وقصير ، والأصل الوقوف على موضوع اللغة وطرائق العرب في مخاطبتها وافتنانها (٣) .

ويتضح لي من دراستي لكتب علم اللغة أن للعلماء العرب طرائق خاصة في البحث ، مستمدة من ثقافتهم ، والظروف الداعية والباعثة لهم على الدرس ، وهي طرق واضحة في أبحاثهم العلمية عن العربية ومبادئها وسلوكها التعبيري معتمدين في ذلك كله على الذوق والعقل ودقة الملاحظة راسمين حدودهم في إطار الدراسات القرآنية ، مما جعلهم يتميزون بشخصيتهم المستقلة ، وبحوثهم اللغوية الخادمة للدين ، ولم يكن لديهم الآلات أو المعامل التي يجرون فيها تجاربهم اللغوية كما هو متوافر عند علماء الغرب ذوي البحوث المتسعة والراقية ، وتقدم علومهم وفنونهم (٤) .

(١) انظر : ضحى الإسلام - الأستاذ / أحمد أمين ٢٩٨/١ ، وفقه اللغة - د / ناجح عبد الحافظ مبروك .

(٢) انظر : الخصائص - لابن جني ٢٤٢/١ .

(٣) انظر : الصحابي - لابن فارس - ص ٢٩ - ط بيروت ، وعلم اللغة - د / عبد الغفار حامد هلال - ص ٢٠ : ٣٠ - ط ثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(٤) وأيا ما كان الأمر فإن بحوث العرب هي الأساس الأول الذي بنى عليه الغربيون أبحاثهم في مجال الدراسات اللغوية المختلفة ، ففيها الأصل العربي .

❖❖ **مما سبق نلاحظ** أن السبب القوي لنشأة الدراسات اللغوية عند العرب هو الحفاظ على كتاب الله ومبادئ الإسلام ، نتيجة الاختلاط بين العرب وغيرهم من العجم ، فقام - لغويو العرب - بجمع اللغة من العرب الخالص ، دون دراسة لغوية ، فالمهم عندهم هو جمع وضبط الألفاظ وتدوينها في موضوعات خاصة كما ورد ذلك في : رسائل الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) ، وأبي حنيفة الدينوري (٢٨٩ هـ) ، وألغاز ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ، والألفاظ الكتابية للهمذاني (ت ٣٢٧ هـ) .

❖ **وبعد** أن توافرت المادة اللغوية من الألفاظ بدأت المدارس اللغوية في دراستها وشرحها وتفسيرها ، كما فعل المبرد (ت ٢٨٦ هـ) ، والأصمعي ، وأبو علي القالي (٣٥٦ هـ) فقد اشتملت كتبهم على الكثير من هذا الذي يشتمل على بيان المفردات اللغوية وما يتبعها من قصص تاريخية وأخبار عربية ، ومباحث أدبية .

إذا كان الهم الأكبر في هذه الفترة حتى نهاية القرن الثالث هو إحدى طرق أربع : الإملاء والإفتاء والتعليم والرواية ، واتجاه البحث إلى المفردات وما يتصل بها من أخبار ، ولم يكن ينظر إلى الجمل أو التراكيب .

هذا وقد اتسعت الثقافات وكثرت العلوم بمجيء القرن الرابع الهجري ، نتيجة امتزاج الثقافة العربية بالأجنبية من فلسفة وطب ونجوم ورياضيات وفلك ، وزاد من دراسة اللغة تقرب العلماء إلى الملوك والرؤساء واهتمامهم بالدراسة اللغوية ، فبرز لون جديد من البحث اللغوي هو القلب ، ووضع الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) كتابه تهذيب اللغة ، وابن دريد (٣٢١ هـ) كتابه جمهرة اللغة ، والجوهري في معجمه تاج اللغة ، كما ناقش هؤلاء العلماء مادة اللغة ومشكلاتها النحوية والمعجمية .

❖ **وفي القرن الخامس** ظهر كتاب الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) : فقه اللغة الحاوي للكثير من معاني الألفاظ العربية ، والمعربة عن الفارسية والرومية ، كما ظهر المخصص لابن سيدة (ت ٤٥٨ هـ) في أبحاث فقه اللغة كالمشترك اللفظي والتضاد ، والترادف والمجاز والمعرب والإبدال ، والتذكير والتأنيث ، وكان من الأفضل أن يسمى هذا الكتاب ومثله ب (فقه اللغة) .
وطهر في القرن السادس كتاب (المعرب من الكلام الأعجمي) للجواليقي ، وأساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) .

❖ **وفي القرن السابع** ظهر (لسان العرب) لابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ) ويعد عمدة الباحثين في متن ومواد اللغة العربية ، ثم البشبيشي (ت ٨٢٠ هـ) .

❖ **وجاء القرن العاشر** بكتاب (المزهر في علوم اللغة) للسيوطي (ت ٩١١ هـ) مليئاً ببحوثه اللغوية من دلالة الألفاظ والأصيل والدخيل ، والصحيح والمعلول ، والتداخل والتوافق في اللغات ، والقلب والإبدال والنحت ، والتصحيح والتحريف .

❖ وفي القرن الحادي عشر ظهر كتاب (شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل) لشهاب الدين الخفاجي ، وبين فيه الدخيل والأصيل من الكلمات المعربة ، وشروط وإمارات التعريب ، وهو من أهم الكتب التي تميز بين العربي والأجنبي من الألفاظ .

وأرى : أن معظم هذه المؤلفات نقل عن السابقين وجمع لآرائهم ، وكلها دراسة للألفاظ والمعاني واستعمالاتها في اللغة العربية، وكلها مفيدة، تلبى حاجات العصور المتتابعة .

وجاء القرن الثالث عشر بكتاب " سر الليالي في القلب والإبدال " لأحمد بن فارس الشدياق ، واستمرت البحوث اللغوية عند العرب وهي لا تزال تجد كل يوم من أجل النهوض والارتقاء بلسان الأمة (لغتها) التي تمثل عقيدة الأمة ، وتقاليدها ، وشئونها العلمية والاجتماعية والسياسية ، وقد صدق قول الحكيم في أمة العرب :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) ، فقد برز سعى

علماء العربية في دراساتهم المتنوعة.

وكانت أهم البحوث اللغوية عند العرب ، هي :-

١- جمع الألفاظ : من الأعراب الفصحاء في البادية البعيدة عن الاختلاط بالعجمة ، كما فعل الخليل والأصمعي ويونس بن حبيب الضبي (ت ١٨٢ هـ) وآخرون . و منها ألفاظ خاصة ببعض الموضوعات كأسماء الوحوش ، والغابات والشجر والإبل والخيل والسلاح والنبات والمطر واللبن والجرائم والغرائز ، وغيرها .

ألفاظ موضوعة لمختلف المعاني كالألفاظ التي تدل على مراحل خلق الإنسان .

الألفاظ المجموعة على نظام معجمي دقيق وشرحها شرحاً وافياً ، وعرفت فيما بعد (

بالمعاجم) ، كما في " العين " للخليل ، و " تهذيب اللغة " للأزهري ، والقالي في بارعه والمحكم لابن سيدة ، " والجمهرة " لابن دريد " والصاحح " للجوهري ، " والقاموس " للفيروز ابادي ، " ولسان العرب " لابن منظور " والمقاييس " لابن فارس ، " والأساس " للزمخشري ، وغيرهم من أرباب المعاجم الحديثة ، متبعين طريقة التقلبات الصوتية ، أو طريقة القافية ، أو الأبجدية العادية .

٢- وضع القواعد : وقاية اللسان من العثرات ، وحفاظاً على طبيعة السليقة العربية من اللحن ، فوضعوا " علم النحو " خاصاً بالكلمات والجمل والتراكيب ، ووضعوا " علم الصرف " مختصاً ببنية مفردات اللغة .

وقامت المدارس اللغوية المتعددة بمناهجها الفكرية المختلفة في بعضها والمتفقة في بعضها الآخر ، طبقاً لظروف بيئاتهم ، ونباهة عقولهم ، وكلها لا تدخل في نطاق " علم اللغة " بقدر ما تقوم بإصلاح الأخطاء ، وتقويم اللسان .

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

ومن أهم علماء القواعد الخليل البصري ، وأبو جعفر الرؤاسي الكوفي (ت ١٦٧ هـ) ، وسيبويه ، وابن جني ، ومن المتأخرين : الزمخشري في " المفصل " ، وابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) في " الكافية ، والشافية " ، وابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) في " التسهيل " ، والألفية ، وابن هشام (ت ٧٦١ هـ) في قطر الندى ، وشذور الذهب ، وأوضح المسالك ، ومغنى اللبيب .

٣- الاهتمام بالقراءات القرآنية :

ابتدأ من القرن الثاني الهجري ، وذلك لمعرفة أصواته ، وظهر عدد من القراء في الأمصار الإسلامية ، ومنهم :

ابن مجاهد ، وابن السراج ، البزاز ، وأبو منصور الأزهري ، وابن خالويه ، وأبو علي الفارسي ، وابن جني ، وابن سعيد الداني ، وأبو القاسم الشاطبي ، وابن الجزري .
وهذه الدراسات حفظت للعربية أصواتها عبر هذه القرون ، ومن خلالها درست اللهجات العربية ، والصراع اللغوي ، واختلاف النطق ، وتطور اللغات وكلها من أهم فروع علم اللغة .

٤- الدراسات البلاغية :

وتتمثل في فصاحة الألفاظ ، والأساليب ومناسبتها لمقتضى الحال ، ودراسة الإيجاز والإطناب ، والحقيقة والمجاز ، والعلوم البلاغية (المعاني - البيان - البديع) .
ويعد أبو عبيدة (ت ٢٠٩ هـ) صاحب كتاب " مجاز القرآن " ، والجاحظ في " إعجاز القرآن " ، وابن المعتز في " البديع " ، وأبو هلال العسكري في " الصناعتين " ، وعبد القاهر الجرجاني في " دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة " ، والسكاكي في " مفتاح العلوم " والخطيب القزويني في " تلخيص المفتاح "

ويعد كل هؤلاء من أئمة علم الدراسات البلاغية التي عرفت بعلم الأسلوب التعليمي عند الغربيين .

٥- الدراسات الأدبية والنقدية :

وهي تمثل أهم ثروات العرب اللفظية ، لأنها تعبر عن فكرهم وحالتهم الاجتماعية ، وتاريخهم عبر العصور ، إذن لابد أن تنهض ، لما لها من أهمية لدى العرب فظهر علم الأدب : شعره ونثره ، حاكياً ألفاظهم ، وأساليبهم ، وعاداتهم وتقاليدهم ، وأخبارهم وحوادثهم الاجتماعية وأحوالهم ، ومستواهم الفكري والحضاري .

وظهر علم " تاريخ الأدب " يتناول دراسة أهل الأدب من شعراء وكتاب وخطباء ، موازناً بينهم أدبياً وفنياً على مر العصور ، مما أثرى الحركة الأدبية بمؤلفات عدة ، تكفل للغة العربية النمو ، وسرعة الحركة والتجدد ، والقوة وعمق التأثر والتأثير .

والحقيقة أنها محاولات كثيرة ، وخطوات مشكورة - تمهد الطريق للباحثين ، وتؤدي إلى الاستمرار في بذل الجهد بعد أن أصبح الطريق واضحاً ، والوسائل الحديثة ، والمعرفة واجبة ، والعلماء ماضون - بعون الله تعالى - لما يرجوه من قوة للأمة العربية ولغتها العربية .

ومع ذلك فمما يؤسف له أن كثيرًا من المؤرخين لعلم اللغة ، لا يذكرون فضل العرب ، وما أسدوه من جهود في هذه السبيل ، على الرغم من باعهم الطويل في الدرس اللغوي قديمًا وحديثًا - ومع كل ذلك الجحود والإنكار أو التجاهل الذميمة للدور العربي في هذا الشأن ، إلا أننا لا نعدم أن نجد بعض المنصفين الذين يعترفون بالسبق والأستاذية ، ويقرون بالفضل للعرب في فكرهم وحضارتهم .

فقد قام العرب بوصف أصوات اللغة وجهاز النطق وطبيعة الأصوات وصفًا دقيقًا جديرًا بالثناء والإكبار ، كما وضعوا قواعد دقيقة لهذه اللغة على مستوى الكلمة وعلى مستوى التركيب ، وتناولوا قضايا اللغة الهامة كقضية نشأة اللغة ، وقضايا خاصة كالدلالة ، وإن كانت مبعثرة حتى خصص لها علم مستقل هو علم الدلالة semantics، كما تناولوا قضايا الترادف والمشارك اللفظي ، والتضاد ، وكذلك دور العرب في مجال المعجم .

اهتم علماء اللغة العربية بدراسة لغتهم العربية حين اختلط العرب بالأعاجم ، وشاع الفساد على الألسنة ، فوضع العلماء القواعد والقوانين ، وقاية للسان من العسرة ، والوقوع في الخطأ بعد أن استشرى فساد تحريف أصوات بعض الكلمات ، وتغيير معاني بعضها الآخر ، وإماتة كلمات وتراكيب عربية ، وحلول أخرى أعجمية محلها .

٦- حيث قام علماء العربية بدراسة اللغة :

نصوصها ، ومتونها ، وقواعدها النحوية والصرفية والصوتية ، والبلاغة والعلوم العربية التي تخدم النص القرآني الكريم ^(١) ، معتمدين في ذلك على الذوق ، والعقل ، ودقة الملاحظة ^(٢) فكانت للإمام أبي الأسود الدؤلي جهوده في وضع قواعد النحو العربي بعد تفشي ظاهرة اللحن ، وكذلك جهود النحاة من علماء العربية ، وعلماء القراءات من أمثال :

عبد الرحمن بن هرمز ، ويونس بن حبيب ، وعنبثة الفيل ، وميمون الأقرن ، ونصر بن عاصم ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي ، والخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه ، والعالم اللغوي

" ابن جني " ^(١) وغيرهم كثير وكان كل من هؤلاء العلماء لغويًا وراوية ، ونحويًا ، وأدبيًا ، وقارئًا ، وصوتيًا ، ورياضيًا ، وموسيقيًا ، وشاعرًا ، وناقداً ، ومحللاً دقيقًا ، وفلكيًا ، وطبيبًا ، وفيلسوفًا .

(١) كما فعل الإمام / عبدالله بن مسعود في تصديده لتفسير القرآن ، وأسئلة الصحابة ، وكذلك ما أطلق عليه (سؤلات نافع بن الأزرق) التي أوردتها السيوطي في إتقانه .

انظر : الإتيان للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ط ثانية ١٩٣٥ - ص ١٢٠ وما بعدها .

(٢) وهذا يعكس لنا ما كان لدى الغرب من آلات ومعامل حديثة ، ومجهزة مكنتهم من إجراء البحوث التجريبية التي توصل إلى حقائق معينة ، كما أدت إلى تقدم العلوم والفنون ، ولكن الفضل لمن بدأ الطريق الشاق وهم العرب ، فرغم قصور إمكاناتهم ، فقد كانت بحوثهم الأساس الذي بنى عليه الغربيون مباحثهم في الدراسات اللغوية.

وما كان اهتمامهم بدراسة اللغة العربية إلا للمحافظة على الدين الإسلامي وكتابه المقدس وإثبات براعة العربية وصلاحتها للحياة والحضارة ، وإحساس العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة ، كما أن الدراسات اللغوية مفيدة في نواحي الحياة ، وشتى شئون المجتمع الإسلامي (٢) . وقد اعترف المستشرق الألماني (أ . شاده) بجهود العلماء العرب في الحضارات الإنسانية بما قدموا لدراسة اللغة من اسهامات لم يسبقوا إليها في ميادين النحو والصرف ، والأصوات والمعاجم .

ولا ينكر أحد خضوع منهج اللغة الحديث للغة المناهج الأوروبية ، وأنه اتبع طريقتها في البحث ، ولا ينكر أحد أيضًا اتباع الأوروبيين لمناهج المسلمين إبان عصر النهضة ، حتى وقفوا على أقدامهم ، ولكل منهم وجهة نظر في مختلف العلوم ، فكانت الحضارة الأوروبية نتاج الامتزاج بين عطاء العقل الإسلامي والعقل الأوربي .

٧- أما دراسة اللغة في الغرب فقد مرت بمراحل ثلاثة متوالية ، منها :

٨- مرحلة علم النحو :

وهي مرحلة تميز الصحيح وغير الصحيح من القواعد ، وإن كانت مرحلة ضيقة الأفق .

٩- مرحلة علم الفيلوجيا (فقه اللغة) :

وقد اهتمت هذه المرحلة بتوثيق النصوص ونشرها ، والتعليق عليها ، كما اهتمت بدراسة التاريخ والأدب والأخلاق ، والأنظمة .

١- مرحلة مقارنة اللغات فيما بينها ، وتسمى (مرحلة علم النحو المقارن) .

وفيها ظهر كتاب (تصريف السنسكريتية) ل (بوب) الذي أدرك أن العلاقات بين اللغات

المتقاربة يمكن أن تكون مادة علم قائم بذاته ، ودرس المقارنة بين اللغات .

كما يعتبر كل من : ماكس مولر ، ووج كيريتوس ، وأوجست شليشر ، والروماني ديبز ، برجمان

واستوف ، وبراون ، وسيفرس ، أصحاب الفضل في وضع نتائج المقارنة في وضعها التاريخي

وربط الأحداث اللغوية في نظامها الطبيعي ، وارتباطها بالتطور الاجتماعي .

البحوث اللغوية وما يدخل منها تحت علم اللغة :-

(١) صاحب كتابي : (الخصائص ، و سر صناعة الاعراب) ، وقد بلغ الدرس اللغوي القمة بهذين العملين الكبيرين ، بالإضافة

لمعجم " العين " للخليل ، " لسان العرب " لابن منظور ، كما يعتبر - د / إبراهيم أنيس رائدًا للدراسات اللغوية الحديثة ، فهو

يمزج بين المنهج الحديث والتراث القديم ، ثم تلاميذه : د / تمام حسان ، وعبد الرحمن أيوب ، وكمال بشر ، وحسن عون ،

والبدراوي زهران (مصر) ، ود / محمد المبارك (سوريا) ، ود / صبحي الصالح (لبنان) ود / إبراهيم السامرائي (العراق

انظر : في علم اللغة العام ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) يقول الأستاذ عباس العقاد : " للأمم في تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها كثيرة ، ومعظمها دعوى لا

دليل عليها ، أنانية قومية تشبه أنانية الفرد في حبه لنفسه ، وإثاره لصفاته بغير حاجة إلى دليل ، ولكن الفصاحة العربية في

دعوة أهلها مفخرة لا تشبه هذه المفاخرة في جملتها لقوة دليلها العلمي الثابت في النطق بها ، وحسن الاستماع إليها "

انظر : اللغة الشاعرة - الأستاذ محمود عباس العقاد - ص ٥٤ ، ٥٥ بتصرف .

أولاً: البحوث المتعلقة بنشأة اللغة الإنسانية ، من مرحلة التعبير الأولى حتى مرحلة الأصوات ، وكيفية وضع الإنسان للكلمات ، وتعيين مدلولاتها ، ونشأة اللغة في النوع الإنساني ، وقد أطلق على هذا النوع من البحوث اسم : أصل اللغة أو نشأة اللغة .

ويرى البعض : إخراج هذا النوع من نطاق علم اللغة ، لعدم اتفاق منهج البحث فيه مع مناهج البحث في العلوم، ويرون وجوب إلحاقه بالبحوث الفلسفية الميتافيزيقية .

ثانياً: البحوث المتعلقة بحياة اللغة ولهجاتها ، وما فيها من غنى وفقر وسعة وضيق ، وعظمة وضعة ، ثم تحول اللغة إلى لهجات ، وتحول اللهجات مع مرور الزمن إلى لغات مستقلة ، متعددة المظاهر ، متنوعة الاستخدام ، ويطلق على هذا اسم " حياة اللغة " .

ومن أهم فروع هذا البحث وأوسعها نطاقاً فرع يسمى " الديالكتولوجي " ، أي علم اللهجات : ويقوم بدراسة الظواهر المتعلقة بانقسام اللغة إلى لهجات ، تختلف باختلاف البلاد أو باختلاف الجماعات الناطقة بها .

ثالثاً: دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة وبيان أقسامها وفصائلها ، وخواص كل قسم ومخارجه وما تعتمد عليه من أعضاء النطق وطريقة إحساس السامع بها ، وحروف النطق وخواصها .

ويطلقون على هذا البحث اسم " الفوناتيک " (phonetic) ، أي علم الصوت ، ويقوم بدراسة اللغة من حيث دلالتها أي من حيث إنها أداة للتعبير عما يجول بالخاطر ، ويطلق عليه اسم " السمانتيك " (semantique) أي علم الدلالة ، ومن الفونتيك والسيمانتيك (علم الصوت و علم الدلالة) يتألف أهم فرع من فروع علم اللغة وأدقها وأكثرها نضجاً .
وينتظم علم الدلالة بكوناً كثيرة أهمها :

- ١- البحث في معاني الكلمات ومصادر هذه المعاني ، واختلافها في لغة ما باختلاف عصورها ، والأمم الناطقة بها ، وموت بعض معاني الكلمة ونشأة معان جديدة ، وما يترتب على ذلك من قوانين وظواهر لغوية ، ويطلق عليه " ليكسيكولوجيا " (lexicologie) ، أي علم المفردات
- ٢- البحث في قواعد المتعلقة باشتقاق الكلمات وتصريفها وتغير أبنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك ، ويطلقون عليه اسم " المورفولوجيا " (Morfhologie) ، أي علم البنية .
وهو ثلاثة أنواع :-

- أ- المورفولوجيا التعليمي (علم البنية التعليمي) :
ويدرس قواعد اللغة لمجرد جمعها وترتيبها وتنسيقها ، حتى يسهل تعلمها وتعليمها ، ومراعاتها في الحديث والكتابة ، ومن هذا النوع : علم الصرف في اللغة العربية .
- ب- المورفولوجيا التاريخي (علم البنية التاريخي) :

ويدرس قواعد اللغة دراسة تاريخية تحليلية ، حيث يدرس أشكالها التي كانت عليها في أقدم مراحل هذه اللغة ، وما طرأ عليها من تغيير في مختلف العصور والأمم ، وعوامل ونتائج تطورها ، والقوانين التي تسير عليها في مختلف مظاهرها .

ج-المورفولوجيا المقارن (علم البنية المقارن) :

ويدرس قواعد اللغة دراسة تاريخية وتحليلية ومقارنة في فصيلة من اللغات الإنسانية ، أو في جميع اللغات ، فهو يوازن بين اللغات فيما يتعلق بقواعد البنية في كل منها .

هذا والقسمان (ب ، ج) هما اللذان يدخلان في نطاق علم اللغة ، أما القسم (أ) فليس من بحوث علم اللغة ، وإنما هو من بحوث القواعد التعليمية .

وإبعاً : البحث في أقسام الكلمات (اسم وفعل وحرف) وأنواع كل قسم ووظيفته في الدلالة وأجزاء الجملة وترتيبها .

وأثر كل جزء منها في الآخر ، كتأنيث كلمة أو تذكيرها ، أو تثنيتهما أو جمعها ، وعلاقتها ببعضها أو ربطها بغيرها ، وعلاقة الأجزاء ببعضها ، وتقسيم العبارة إلى جمل ، وطرق فصلها أو وصلها ، وهو ما يطلق عليه اسم (السنتكس) (syntax) ، أي علم التنظيم ، وينقسم كما انقسم المورفولوجيا (علم البنية) إلى : تعليمي ، وتاريخي ، ومقارن (١) .

خامساً : البحث في أساليب اللغة واختلافها باختلاف فنونها (الشعر والنثر والخطابة والكتابة والمسرح) ، وباختلاف العصور والأمم الناطقة بها ، وهي طرق تطوير الأساليب وقوانينها ، وهو ما يسمى (الستيلستيك) (stylistique) ، أي علم الأساليب . وفيه ثلاثة أنواع :

أ- علم الأساليب التعليمي : لجمع القواعد المتعلقة بأساليب اللغة ، ومنه أبواب المعاني والبيان والبديع في اللغة العربية .

ب- علم الأساليب التاريخي : لدراسة الأساليب في لغة ما دراسة تاريخية في مختلف مراحل هذه ، وفي مختلف الأمم .

ج-علم الأساليب المقارن : لدراسة الأساليب في عدة لغات دراسة تاريخ وتحليل ومقارنة .

والقسمان (ب ، ج) يدخلان في نطاق علم اللغة ، أما القسم (أ) فليس من بحوث هذا العلم ، بل هو من بحوث علم البلاغة .

القسمان (ب ، ج) يعدان من فروع علم اللغة ، أما القسم (أ) فليس من بحوث هذا العلم ،

(١) أ- السنتكس التعليمي : أي علم التنظيم التعليمي ، ومنه بعض أبواب النحو والمعاني في اللغة العربية ، وهو العلم الذي يدرس قواعد التنظيم في لغة لمجرد جمعها وترتيبها وتنسيقها حتى يسهل تعلمها وتعليمها في الحديث والكتابة .

ب- السنتكس التاريخي : أي علم التنظيم التاريخي ، وهو الذي يدرس قواعد التنظيم في لغة ما دراسة تاريخية تحليلية .

ج- السنتكس المقارن : أي علم التنظيم المقارن ، ويدرس قواعد التنظيم دراسة تاريخ وتحليل ومقارنة في فصيلة من اللغات ، أو في جميع اللغات .

هذا ومن المورفولوجيا ، والسنتكس ، أي علم البنية وعلم التنظيم ، يتألف ما يسمونه (الجرامير) (grammarie) أي القواعد ، وتكون دراسته تعليمية وتاريخية ومقارنة .

سادساً : البحث في أصول الكلمات (الايتيمولوجيا) ، في لغة ما ، وهذا البحث يدرس أموراً جزئية ، وليس من شأن دراسته الوصول إلى القوانين كما يفعل علم الأصوات (الفونيتيك) ، أو كما يفعل علم الدلالة (السيمانتيك) ، وإن كانت الصلة بينه وبينها وثيقة ، وذلك أن معرفة أصول الكلمات يساعد كثيراً على الوقف على تطور الأصوات والدلالات ، وكشف القوانين العامة الخاضع لها هذا التطور في مظهره : (الأصوات والدلالة) ، ومنه نصل إلى معرفة أصول الكلمات . هذا ومن أهم أقسام (الايتيمولوجيا) قسم يسمى (الأونوماستيك) للبحث عن أصول الأعلام المختلفة : أعلام الأشخاص والقبائل والعشائر والجبال والأنهار والأمصار ، ومن فروعها ما يسمى (بالتونوماستيك) للبحث عن أصول أسماء الأماكن على اختلاف أنواعها .

سابعاً : بحوث اجتماعية : تبين العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية ، وأثر المجتمع وحضارته ونظمه وتاريخه وتركيبه وبيئته الجغرافية في الظواهر اللغوية المختلفة .

ثامناً : بحوث نفسية تدرس العلاقة بين الظواهر اللغوية والنفسية بمختلف أنواعها من : تفكير وخيال وتذكر ووجدان ونزوع .

ولهذه البحوث أثرها في دراسة اللغة كغيرها من البحوث الاجتماعية السابقة ، ولا يخلو منها بحث لغوي ، لذا عنى علماء النفس بهذه البحوث وجعلوها موضع فرع مستقل من علمهم سموه (علم النفس اللغوي) .

تاسعاً : بحوث في الفيولوجيا ، وهي بحوث غير محددة ، لاختلاف مدلول الكلمة باختلاف العصور والأمم ، وقد تطلق على كل البحوث السابقة ، وتطلق أحياناً على دراسة قواعد وتاريخ وأدب ونقد ونصوص لغة أو لغات ، كما تطلق ويراد بها دراسة الحياة العقلية في أمة ما ، أو في طائفة من الأمم ، وبهذا ترادف ما يسمى (أدب اللغة وتاريخ الأدب) .

❖ **ويطلق على جميع البحوث السابقة عدا (الفيولوجيا ، والمورفولوجيا التعليمي ، والسنتكس ، والاستليستيك التعليمي) اسم (علم اللغة) .**

هذا وقد وضع مؤلفو العرب بحثاً في الصرف والنحو والبلاغة وأدب اللغة وتاريخ أدب اللغة لبحوث من فصيلة المورفولوجيا والسنتكس والاستليستيك التعليمي ، وبعض أنواع الفيولوجيا .

❖ وكل هذا ليس من علم اللغة في شيء ، أما علم اللغة نفسه فقد درس مؤلفو العرب بعضه تحت أسماء مختلفة ، أشهرها (فقه اللغة) .

والفقه : فهم الشيء ، وقيل : كل علم لشيء فهو فقه .

” أغراض علم اللغة ”

- يهدف علم اللغة من دراسته للظواهر اللغوية ، إلى أغراض وصفية تحليلية ، منها :
- ١- الوقوف على حقيقة الظواهر اللغوية ، وعناصرها وأسسها القائمة عليها (الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية) .
 - ٢- الوقوف على الوظائف التي تؤديها اللغة في مظاهرها المختلفة ، ومجتمعاتها الإنسانية المتنوعة .
 - ٣- الوقوف على العلاقات التي تربطها بعضها ببعض ، أو بما عداها من الظواهر الاجتماعية والنفسية والتاريخية والجغرافية والطبيعية والفسولوجية والأنثروبولوجية .
 - ٤- الوقوف على أساليب تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور .
 - ٥- كشف القوانين التي تخضع لها في جميع نواحيها : في تكوينها ونشأتها وأدائها لوظائفها وعلاقاتها المتبادلة ، وعلاقاتها بغيرها ، وتطورها .
 - ٦- فهم الكثير من جزئيات اللغة وحل الكثير من مشكلاتها .
 - ٧- تعليم اللغات القومية ، وتقديم وصفًا دقيقًا لأصوات اللغة يستفيد منها الطلاب على النطق السليم للغة .

” علم اللغة بين العلوم الأخرى ”

يحتاج علم اللغة في دراسته إلى تخصصات علمية مختلفة ، وهناك ظواهر لغوية لا يستطيع عالم اللغة أن يسهم فيها بشيء ، وإنما يستشير العلوم الأخرى المتخصصة ويطلب منها العون ، فمثلا دراسة اللغة من الناحية الصوتية - يتوافر على دراستها :

” علم وظائف الأعضاء ” (physiology) ، ويقوم بدراسة أعضاء النطق عند الإنسان ، ويعاونه في ذلك

” علم التشريح ” (Anatomy) ، ويدرس الصوت بعد خروجه من فم المتكلم وانطلاقه في الهواء

” علم الفيزياء ” (physics) ، ويدرس الأمواج الصوتية في الهواء فيما بين المتكلم والسامع وبيان أثرها ، وتحديد الخصائص الفيزيائية للصوت ، وكذلك (هندسة الاتصالات) التي تهتم بالصوت تحسينًا وتكبيرًا وتوصيلًا عبر الأثير إلى مسافات بعيدة ، عن طريق إرسال الموجات الصوتية مع موجات أخرى كهرو مغناطيسية تسير في أغوار الفضاء .

المهم أن مثل هذه العلوم لا يستغنى عنها علم اللغة ، بل لابد أن يبسط إليها يده يلتمس منها العون ، فتمده بما تملك من خلاصة تجاربها التي تساعد في محاولة تفسير الظاهرة اللغوية . وهناك فروع أخرى من المعرفة النظرية يربطها بعلم اللغة برباط وثيق فهناك علم الاجتماع الذي يدرس اللغة على اعتبار أنها من أهم مقومات المجتمع البشري ، وكذلك (علم النفس) الذي

يدرس اللغة وعلاقتها بالعقل الإنساني ، وهناك (الأنثروبولوجيا) الذي يدرس اللغة وعلاقتها بالثقافة .

أي أن علم اللغة يضم من الناحية النظرية فرعين كبيرين هما :-

١ - علم اللغة الاجتماعي .

٢ - علم اللغة النفسي .

أولاً : علم اللغة الاجتماعي :

لا تحيا اللغة إلا في ظل مجتمع إنساني ، وهي مؤسسة تؤدي وظائف اجتماعية ، فهي ذات صلة وثيقة بكل أشكال السلوك الاجتماعي في المجتمعات الحديثة ، ويتمثل هذا عند استحضار تاريخ هذا المجتمع أو تجاربه الماضية ، أو عند الاتصال المباشر بالأحداث أو بالتجارب اليومية ، أو عند مباشرة العمل ، وتوجيه القائمين به ، فكان علم اللغة وثيق الصلة بعلم الاجتماع ، لأنه علم يستكشف العلاقة بين اللغة والمجتمع ، ووجوه التأثير المتبادل بين الحياة الاجتماعية وظواهر اللغة المختلفة ، ويسمى ذلك (بعلم اللغة الاجتماعي) ، الذي يعد من أكثر المجالات التي أحرزت تقدماً سريعاً في الدراسات اللغوية الحديثة، وهو يهتم بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي ، ويدرس طرق تفاعل اللغة مع المجتمع ، كما يهتم علم اللغة الاجتماعي بموضوعات كثيرة ، من أهمها :-

١ - **اللهجات (Dialects)** المختلفة في المجتمعات المختلفة (مدينة - قرية - بادية) وكل مجتمع منها يتحدث بلهجة تختلف اختلافاً ضئيلاً عن لهجة المجتمع الصغير المجاور له ، فلو رأينا نجد أن العالم العربي مقسم إلى وحدات سياسية مختلفة ولكنها تتحدث لغة واحدة ، ويغلب في هذه الحالة أن يكون لكل وحدة سياسية لهجة خاصة تميزها عن غيرها .

أي أن كل دولة من الدول تتميز عن سواها بلهجة خاصة تعرف بها : نحو : الإنجليزية فهي مختلفة عنها في أمريكا وفي استراليا ، وفي نيوزيلندا ، وفي

أفريقيا فكل قطر من هذه الأقطار يتكلم لهجة مختلفة من لهجات اللغة الإنجليزية.

٢ - **اللهجات الفردية (Idiolects)**، بمعنى أن لكل فرد في المجتمع لغته الخاصة التي تميزه عن غيره ، كما أن هناك خصائص في لغة الفرد تشير إلى طبقاته الاجتماعية ، وفيها ما قد ينبئ إلى المهنة ، كذلك لوازم فردية يعرف الشخص بها كترداده لكلمات أو عبارات معينة بصفة مستمرة كقوله في نهاية كل أو عدة جمل : خليك معايا - أنت فاهم - سامع -خلي بالك

كما أن هناك سلوكيات لغوية مرضية في لغة المتكلم تميز الأفراد بعضهم عن بعض ، فنجد الثأثة ، والفأفأة ، كما نجد من لا يعتني بمخارج الحروف ، أو من يتكلم بسرعة ، أو يتكلم ببطء شديد ، أو بصوت عال ، أو لا يكاد يسمع صوته .

ولا تتصف اللهجة الفردية بالثبات ، فالفرد يظل طوال حياته يكتسب اللغة ، ويعدل أو يبدل فيها ، والنمو الثقافي ، وتغير المراكز الاجتماعية ، والانتقال من طبقة لأخرى ، فيحدث ذلك تغيرات كبيرة في لغة الفرد سواء في طريقة الكلام أو في المفردات والتراكيب .

يقول (وليم لايوف) (Wiliam labov) :

" إن شعور الناس بالنسبة للانتقال أو التحول الاجتماعي له أثر كبير للغاية على الأشكال اللغوية التي يختارونها ، فمثلا الناس الذين يرغبون في الانتقال إلى الطبقة الاجتماعية العليا عن طبقتهم يتخذون لغة تلك الطبقة " .

٣- دراسة التغيرات اللغوية الاجتماعي : -

تتغير الأساليب اللغوية التي يستخدمها الفرد بتغير الموضوع من جهة ، والمشاركين في الحديث أو المستمعين له من جهة أخرى، كما تتغير بفعل عوامل بعضها اجتماعي أو نفسي أو كلاهما معا ، واللغويون - في الوقت الحاضر - يهتمون بنوع هذا التغيير أو الانتقال من أسلوب إلى آخر وأسباب هذا الانتقال ، ويتعاون معهم في ذلك علماء الاجتماع وعلماء النفس للتوصل إلى أنواع الأساليب المختلفة التي يستعملها الفرد في المقامات والمناسبات المختلفة .

٤- دراسة اللغة وأثر الجنس فيها : -

حيث الفرق الواضح بين أصوات النساء وهي أكثر حدة وأعلى طبقة من أصوات الرجال كما أن النساء أكثر وضوحاً في النطق من الرجال ، كما أن للنساء كلمات خاصة بهن لا يستخدمها الرجال ، نحو الألوان : الموف ، والبيج ، واللبنني ، ويكثر في لغة النساء الصفات التي تعبر عن جيشان العاطفة .

وتزداد هذه الفروق في المجتمعات المغلقة التي تحافظ على تقاليد الأصيلية فلا تسمح بالاختلاط بين الرجل والمرأة ، وتقل أو تتلاشى في المجتمعات المفتوحة التي تبيح الاختلاط بين الجنسين في شؤون الحياة المختلفة .

٥- دراسة الكلام المحظور اجتماعياً : -

كل مجتمع له أعرافه الاجتماعية التي تجعل هذا المجتمع يرفض استعمال كلمات معينة ، مثل الكلمات التي تدل على الموت أو الأمراض الخبيثة ، أو الأشباح والجن ، والكلمات التي تشير إلى عورات الجسم الإنساني ، أو غيرها من الكلمات المبتذلة التي ينفر منها المجتمع .

ثانياً : علم اللغة الأنثروبولوجي : -

العلاقة بين هذا العلم وعلم اللغة علاقة تاريخية ، ومن أهم الموضوعات التي يدرسها : العلاقة بين اللغة والثقافة ، فميدان (الأنثروبولوجي) هو دراسة المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها وتتابع نموها وتطورها ، ودراسة الثقافات البشرية وأدائها لوظائفها في كل زمان ومكان ، باعتبار أن اللغة انعكاس لثقافة المجتمع الذي يتكلمها ، وتعبير عن اهتماماته ومجالات نشاطه ، واهتم هذا العلم بالعلاقات بين لغة شعب من الشعوب وبقية جوانب ثقافته ، كما يدرس الكيفية التي

ترتبط بها لغة جماعة معينة بمكانة تلك الجماعة أو وضعها الاجتماعي ، والرموز اللغوية المستخدمة في الشعائر والاحتفالات ، واختلافها عن الكلام العادي اليومي .
كما يهتم بدراسة العمليات التي تنتقل بواسطتها اللغة من جيل إلى جيل ، وكيفية نقل المعتقدات والمثل العليا والتقاليد إلى الأجيال التالية ، ودراسة اللغة على أساس أنها مرآة تنعكس على صفتها حياة ونشاط مجتمع ، وباعتبارها الأداة التي تقوم بتشكيل ثقافة المجتمع وطريقة تفكيره ، وقد ذهب إلى ذلك (هردر - وهمبولت) في أوروبا ، و (سابير) في أمريكا .
ويقول (سابير) : " البشر لا يعيشون في العالم المادي وحده ، ولا في عالم النشاط الاجتماعي بالمفهوم العادي ، ولكنهم واقعون تحت رحمة اللغة المعينة التي اتخذوها وسيلة للتفاهم في مجتمعهم ، إنه لوهم كبير أن نتخيل أن فردا ما يتكيف مع الواقع دون استخدام اللغة " .
وحقيقة الأمر أن العالم الحقيقي مبني إلى حد كبير على العادات اللغوية لمجتمع معين كما أنه ليس في العالم لغتان تتشابهان تشابهاً كبيراً إلى درجة اعتبارهما تمثلاً لنفس الواقع الاجتماعي ، إن العوالم التي تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم مختلفة لا مجرد عالم واحد نسميه بأسماء مختلفة .

ويقول (وورف) (Worf) تلميذ سابير : " إن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار ، بل هي نفسها التي تشكل هذه الأفكار " .
وأرى أن نمط اللغة المتكلمة لدى مجتمع ما لا يمكن أن يحدد نوعية الثقافة التي يتلبس بها ذلك المجتمع ، لتباين المجتمعات في الأعراق والثقافة وإن كانت تتكلم لغات تنتمي إلى نمطية واحدة ، كالحضارة الإسلامية التي شارك فيها العرب والفرس والروم .

ثالثاً : علم النفس اللغوي :-

اللغة مظهر من مظاهر السلوك الإنساني ، فقد اهتم بها علماء اللغة و علماء النفس ، فعلماء النفس يهتمون بالظاهرة اللغوية ليوضحوا السلوك بصفة عامة .
كما يهتم علم النفس بمعظم نواحي اللغة مما له علاقة بالعقل والنفس البشرية ، بينما يهتم اللغويون باللغة ليعينوا السلوك اللغوي بصفة خاصة تظهر العلاقة الوثيقة بين العلمين في مجال التحليل النفسي ، كما يحدث لدى المحلل النفسي في دراسة الأحلام للكشف عن بعض العقد أو الأمراض أو الأزمات النفسية لدى شخص معين ، فإنه يطلب منه أن يتكلم لغة ، فيقوم المحلل بدراسة الألفاظ والتعابير لا الأحلام في حد ذاتها ، الدراسة اللغوية تقوم على دراسة القوى النفسية الكامنة ورائها ، كما تقوم الدراسة النفسية بالاستعانة بمعطيات علم اللغة ، ومن ثم حدث امتزاج بين العلمين ، مما تمخض عنه نشوء (علم اللغة النفسي) .
وقد ذهب (تشومسكي) إلى أن دراسة اللغة يجب أن يقوم أولاً على دراسة العقل الإنساني ، ويرى أنه من الأوفق أن يكون علم اللغة فرعاً من فروع علم النفس الإدراكي ، وإن كان هذا الرأي لا يوافق عليه معظم علماء اللغة .

أقسام علم اللغة العام

ينقسم إلى موضوعات مترابطة ومن أهمها :

علم اللغة الوصفي :-

إذا كان علم اللغة العام يهتم بدراسة اللغة العامة ، فإن علم اللغة الوصفي يقوم بدراسة لغة أو لغات معينة ، أو يهتم بوصف لهجة معينة من لهجات لغة معينة كوصفه ولهجة محلية أو إقليمية أو اجتماعية لطبقة أو فئة معينة ، وذلك في فترة زمنية أو فترات زمنية محددة ، مستعملاً نوعاً خاصاً من اللغة " كلغة الصحافة ، أو السياسة ، أو الدبلوماسية أو لغة الصوفيين " أو لغة رجال القانون ، أو الكتاب ، أو الأغنياء والفقراء ، أو الجائع والشبعان .

بمعنى أن (علم اللغة الوصفي) يتناول بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة في زمن بعينه ومكان بعينه ، فيبحث المستوى اللغوي الواحد من جوانبه : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية والمعجمية ، بحثاً وصفيًا ، أو تاريخيًا ، معتمداً على الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية ، ولا يهدف إلى وضع قواعد يفرضها على المتكلمين باللغة .

علم اللغة التاريخي :-

ظهر علم اللغة التاريخي في أوروبا في القرن ال (١٨) في أثر دراسة اللغات المختلفة واتصال الأمم بعضها ببعض^(١) ، ويعد " جريم " من أوائل المؤسسين لهذا العلم^(٢) ، ويهتم بدراسة اللغة في فترات زمنية مختلفة لرصد التغيرات والتطورات التي أصابت هذه اللغة في نظامها ، وعلى مستوياتها المختلفة من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، أي أن علم اللغة التاريخي يبحث في تطور اللغة الواحدة عبر القرون ، وما أصابها من رقي أو انحطاط أو قوة أو ضعف .

فتطور النظام الصوتي للعربية الفصحى وتطور الأبنية الصرفية ، ووسائل تكوين المفردات في العربية على مدى القرون ، وتطور الجملة الشرطية ، أو جملة الاستفهام في العربية الفصحى مما يدخل في الدراسة الصوتية والصرفية والنحوية والتاريخية والمعاجم التاريخية .

كما يتناول هذا العلم تطور اللغة وحياتها في المجتمع وظروف انتشارها ووظيفتها ، فدراسة مستويات الاستخدام اللغوي المختلفة في حياة كل لغة وأثر ذلك في بنيتها وأهميتها الحضارية ومكانتها بين اللغات مما يدخل في إطار علم اللغة التاريخي .

علم اللغة المقارن :-

يهتم هذا العلم بدراسة مقارنة بين لغتين أو أكثر أو لهجة خلال مرحلة أو أكثر من مراحل

(١) انظر : محاضرات في علم اللغة - د / سيد شرف ، ود / عبد الهادي السلمون - ص ١١٠ ، نقلاً عن فقه اللغة العربية -

د / محمد مبارك - ص ٢٩ - ط٣ .

(٢) انظر : مدخل إلى علم اللغة - د / محمد حسن عبد العزيز - ص ٢٨٥ .

تاريخية مختلفة مظهرًا أوجه الاختلاف والاتفاق بينهما وليبين التطور التاريخي للغة أو اللهجة ، وقد تكون المقارنة بين لهجتين أو أكثر ، أو يقارن بين اللغة العامة المشتركة ، أو اللغة النموذجية وبين لهجاتها المتفرغة منها .

موضوع علم اللغة المقارن :

دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة ، أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية الواحدة ، ويهتم بتصنيف اللغات إلى أسر أو فصائل بمقارنة هذه اللغات ، وبيان العلاقات التاريخية بين هذه اللغات التي تكون فرعًا لغويًا واحدًا أو أسرة لغوية واحدة هو مجال البحث في علم اللغة المقارن ، هذا العلم يقارن بين لغتين أو أكثر من أجل الوقوف على أوجه الشبه وصلات القربى كالمقابلة بين العربية الفصحى و إحدى لهجات الفرنسية ، وعلم اللغة المقارن يعتمد على المنهج الوصفي ، لأنه يتطلب القيام بدراسة وصفية مستقلة لكل لغة يتم مقارنتها بلغة أو بلغات أخرى ، والدراسة المقارنة هي شكل من أشكال الدراسة التاريخية ، لأن تشعب اللغة الأم أو الأصل إلى لغات إنما هو تطور تاريخي .

علم اللغة العام (النظري) :

ويشمل كل فروع البحث اللغوي ، ويدرس اللغة الإنسانية عامة ، ويدرسها في ذاتها ، ولذاتها ، ويهتم بوضع واستنباط قوانين اللغة ومناهجها وبحوثها الوصفية والتاريخية والمقارنة ، ودراسة مسائل وقضايا علم اللغة ، كما يدرس الصراع اللغوي وعوامل انتشار اللغات ، واللهجات ، والازدواج اللغوي ، وانحطاط ورفي اللغة الإنسانية عامة .

ويرى (ماريو باي) أن علم اللغة العام ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

علم اللغة الوصفي ، أو التركيبي : ويركز على أساس الدراسات الصوتية والفونيمية

وعلم اللغة التاريخي : ويركز على ماضي اللغة وتطورها التاريخي

وعلم اللغة الجغرافي : ويعد فرعًا للفرعين السابقين ، وإن لم يعط العناية الكافية من جانب الباحثين رغم خصوصيته .

علم اللغة التقابلي :

وهو حديث ، ويقوم بالمقابلة بين لغتين أو أكثر ليست من أسرة لغوية واحدة كالعربية والإنجليزية ، فهما من أسرتين مختلفتين ، أو بين لغتين أو لغة ولهجة ، ويهدف هذا العلم إلى بيان أوجه الخلاف بين اللغتين أو اللغات المختلفة ، وهو عكس هدف علم اللغة المقارن .

علم اللغة التطبيقي :-

يهتم بدراسة اللغة ذاتها ، والمسائل المتصلة باللغة كما هي اللغة ، وعملها ، والسمات المشتركة بين اللغات وما هي اللغات الخاصة والمماثلة والمخالفة بين اللغات ، والتطور التاريخي للغات ، وبالإضافة لاهتمام علم اللغة التطبيقي بهذه الجوانب ، فإن هناك عددًا من مجالات الدراسة التي يمكن أن تتناولها هذه الدراسة التطبيقية مثل :

علم اللغة النفسي ، و علم اللغة الاجتماعي ، و هندسة الاتصالات - والأسلوب -
وتعليم اللغة عمل المعاجم ، والعناية بالظواهر اللغوية كالنبر والتنغيم ودراسة عيوب النطق والكلام
وأسبابها وعلاجها ، و منفصل على وجه السرعة هذه الجوانب التي تتناولها الدراسة التطبيقية .
علم اللغة النفسي :-

يهتم عالم أو باحث اللغة في هذا المجال بقضايا ومسائل علم النفس من كيفية اكتساب اللغة من
المجتمع والعوامل المؤثرة في ذلك ، كما يهتم علم اللغة النفسي بدراسة طرق تعلم اللغات الأجنبية
واكتسابها ، ويهتم أيضاً بدراسة عيوب النطق والكلام و أسباب ذلك وطرق علاجها ، وغير ذلك
من المسائل المشتركة بين علم اللغة و علم النفس .

وقد ترجع العلاقة بين العلمين إلى طبيعة اللغة باعتبارها أحد مظاهر السلوك الإنساني ، فعلم
النفس : يعني بدراسة السلوك الإنساني ، و علم اللغة يهتم بدراسة السلوك اللغوي ، كما يهتم علم
اللغة بالعبارات المنطوقة عند صدورها من الجهاز الصوتي للمتحدث ، وأثناء مرورها في الهواء ،
وعند تلقي الجهاز السمعى للمخاطب لها، بمعنى أن العلاقة بين الجهاز العصبي والجهاز النطقي
من اهتمام علم النفس ، وأن العمليات العقلية السابقة على صدور العبارات المنطوقة من اهتمام
علم النفس أيضاً ، أما علم اللغة فيضع اهتمامه في الظاهرة الصوتية التي تصدر عن المتحدث
وتمضي في شكل موجات صوتية فتصل المتلقي (اللغة) أو الرموز الصوتية .

❖ وقد أفاد علماء النفس المحدثين من مناهج التحليل اللغوي في بحثهم للسلوك اللغوي ، ولكن
هذا لا يمنع من تحديد مجال اختصاص كل من الفريقين .

وهكذا نرى أن علماء اللغة ركزوا جهودهم على اللغة كنظام صوتي يحتاج إلى تحليل ووصف ،
وهنا يحتاج عالم اللغة إلى علم النفس لدراسة الدوافع النفسية لدى المتكلم ، وقد أصبحت اللغة
بذلك أداة مهمة لعلماء النفس لفهم النفس البشرية ، كما أن الدراسة النفسية أصبحت تقدم
للغويين مزيداً من المعرفة عن جوانب هامة متصلة باللغة لم تكن معروفة لهم من خلال الحدث
اللغوي المادي وحده .

❖ هذا وقد تطورت الدراسات اللغوية والنفسية في العشرين عاماً الماضية لتجعل من جوانب
اللقاء بين علم النفس و علم اللغة فرعاً مستقلاً بذاته هو علم اللغة النفسي
psycholinguistics أو علم نفس اللغة ، أو علم النفس اللغوي .

٢- علم اللغة الاجتماعي :-

اللغة ظاهرة اجتماعية حضارية ، تتأثر بالمجتمع وتؤثر فيه ، فهي تنمو وتنقرض ، وتوضح
وتغمض ، وتنحط وترقى ، وتوحد وتنقسم ، وذلك كله يتأثر بالمجتمع ونظمه وتقاليده وعاداته

وعقائده، واتجاهاته ، ودرجة ثقافته ، كما تنتقل الأمة من حياة البدائية والتخلف والحوشية والبساطة والجلافة إلى الرقي في الألفاظ والتهذيب في الأسلوب .
فاللغة كذلك مرآة لأخلاق الأمة ، تتأثر بالاستقرار والاضطراب ، والسلم والحرب ، فنتيجة الصراع قد ينقسم المجتمع وتنقسم اللغة إلى لهجات أو العكس ، وقد يحدث غزو عسكري يتبعه غزو لغوي فتشيع ألفاظ جديدة ، وتنقرض ألفاظ أخرى - كتأثر اللغة العربية بعد الفتوحات الإسلامية بالفرنسية واليونانية والقبطية ، وتأثرها حديثاً بعد احتكاكها بالغرب (إنجلترا وتركيا و إيطاليا) . ونتيجة لذلك وعلاقة اللغة بالمجتمع وتأثرها به خصص العلماء فرعاً لغوياً مستقلاً سموه (علم اللغة الاجتماعي) ، لدراسة الطرق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع .
كما يدرس اللهجات الاجتماعية والازدواج اللغوي والتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع (١) ، وعلى جانب آخر خصص علماء الاجتماع فرعاً آخر من فروع علم الاجتماع سموه (علم الاجتماع اللغوي) (Sociology of language) وظيفته : دراسة اللغة كوثيقة هامة للغاية لتفسير الظواهر الاجتماعية كما تصورها .

وهذا العلم يدرس اللغة وعلاقتها بالظواهر الاجتماعية ، وعلى ذلك فالعلاقة وثيقة بينهما ، أي يصح أن أقول : دراسة اللغة من منطلق اجتماعي ، أو دراسة المجتمع من منظور لغوي .
وهناك عدة تسميات أطلقت على جوانب اللقاء بين علم اللغة ، والعلوم الاجتماعية في بحثها للغة ، وتعددت هذه التسميات بتعدد أسماء العلوم الاجتماعية ومدارسها المختلفة ، ولا داعي أن نخوض فيها الآن .

والمهم أن الباحثين فالعلوم الاجتماعية أفادوا من نتائج البحث اللغوي في دراسة اللغة كمظهر مهم من مظاهر السلوك الاجتماعي، ومن أوضح سمات الانتماء الاجتماعي للفرد ، كما أفاد اللغويون من الدراسات الاجتماعية ، فدراسة الألفاظ ودلالاتها على نحو دقيق لا تتم إلا في إطارها الاجتماعي والحضاري ، والتغير اللغوي لا يفسر إلا في ضوء الظروف الاجتماعية والحضارية وغير ذلك من القضايا اللغوية التي تحتاج في وضوح معالمها كاملة بالتعاون بين الدراسات اللغوية والاجتماعية والحضارية (٢) .

٣- علم اللغة الآلي :

يهتم بدراسة اللغة وإمكانية تطويعها لتقديمها إلى العقل الالكتروني ومدى الاستفادة من هذا التقدم العلمي الهائل في مجال الترجمة الآلية والفورية خاصة ، والدراسات اللغوية عامة .

٤- علم وضع وصناعة المعاجم :-

(١) انظر : معجم علم اللغة الحديث - د / كمال بشر وآخرون - ص ٨٤ .

(٢) انظر : في التطور اللغوي - د / عبد الصبور شاهين - ص ٨ وما بعدها - ط ١٩٨٨م - مكتبة الشباب ، ودراسة القضايا اللغوية في ضوء العلوم الاجتماعية ، وأصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الأنثروبولوجية - عالم الفكر د / محمود فهمي حجازي - ص ١٨٠ : ١٥١ - ١٩٧٢م - ومقدمه في علوم اللغة ص ١١٧ ، ١٧٨ .

يهتم هذا العلم بإعداد المعاجم ووضعها ، ومناهجها وطرقها سواء كان إعداد المعاجم في مجال اللغة الواحدة كالمعجم العربية : كالمعجم الوسيط أو المنجد ، أو بين لغتين مختلفتين كما في المعاجم - عربي - إنجليزي والعكس ، أو القواميس متعددة اللغات - مثل : عربي - إنجليزي - فرنسي .

وهناك أيضاً اهتمام علمي دقيق بصنع وإعداد المعاجم المتخصصة في مجال فن معين أو علم معين ، مثل : القاموس اللغوي ، والفلسفي ، والهندسي ، حيث يقوم هذا العلم بكيفية جمع المواد اللغوية وترتيبه وتنسيقها .

” مناهج علم اللغة ”

تاريخ علم اللغة الحديث يبدأ باكتشاف اللغة السنسكريتية (sanscrit) وحل رموزها على يد (السيرووليام جونز) الإنجليزي في سنة ١٧٨٦م ، حيث اقتصرت الدراسات اللغوية قبل ذلك على درؤاسة فيولوجيا اللغتين اللاتينية والإغريقية ، ولم يكن هناك نصيب من الدراسة للهجات الشعبية أو للغات غير الأوروبية ، وكان أس الدراسة الذي يدور حوله اللغويين هو البحث في أصل ونشأة اللغة ، وتقويم اللغات من حيث الأسلوب أو الثروة اللفظية أو ضخامة التراث أو التاريخ الأدبي للغة .

وهذه البحوث وشبهها قد نبذها علم اللغة الحديث وراء ظهره ، لأنها ميتافيزيقية أو ذاتية يعتمد الرأي فيها على التخمين ، ثم بدأ علماء اللغة بعد ذلك يبحثون اللغة بمناهج مختلفة مستمدة كلها من طبيعة اللغة نفسها ، فاستخدموا :

[المنهج الوصفي ، ثم المنهج التاريخي ، ثم المنهج المقارن] (١) .

أولاً : المنهج الوصفي :

يُعد (دو سوسير) أول من دعا إلى تطبيق (المنهج الوصفي) في دراسة اللغة ، وأول من وضع الأسس العلمية الدقيقة لهذا المنهج ، وقد أطلق على هذا العلم اسم (سايكروني) بمعنى علم اللغة التزامني ، أي في الزمن ، وقد أطلق عليه مصطلح آخر هو (علم اللغة التركيبي) ، لأنه يهدف إلى وصف تركيب البنية اللغوية ، وكان اللغوي السويسري " دوسوسير " أول من أبرز إمكان بحث اللغة ، أو اللهجة بالمنهج الوصفي ، وكان المنهج المقارن هو السائد حتى القرن التاسع عشر .

(١) انظر : مقدمة في علوم اللغة - ط ثانية - ١٩٧٩ - دار المعارف بمصر - ص ١٩١ ، ١٩٢ ، (والمنهج) : هو الطريقة التي يسير عليها الباحث عند بحثه لقضية من القضايا ، أو معالجة ، ومناقشة موضوع ، أو نظرية تتعلق بعلم من العلوم بهدف الوصول إلى غاية (هدف) ، وطرق البحث تختلف باختلاف أهداف الباحثين ، وباختلاف العلوم ، والمناهج .

❖ والمنهج الوصفي يهتم بدراسة وتحليل البنية اللغوية لأية لغة أو لهجة ، لذا نرى أن أية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية ، أو دلالية لإحدى اللهجات القديمة ، أو الوسيطة ، أو الحديثة تعد دراسة وصفية ،

❖ وهناك مجالات كثيرة لبحث النقوش والنصوص العربية القديمة بالمنهج الوصفي ،

❖ ودراسة الأبنية الصرفية المنتمية إلى مستوى لغوي واحد تعد دراسة صرفية بالمنهج الوصفي

❖ ودراسة جوانب بناء الجملة في مستوى لغوي واحد تعد دراسة نحوية بالمنهج الوصفي ، وإعداد المعاجم الصغيرة كلها تتم بالمنهج الوصفي .

❖ ويقوم هذا المنهج على وصف اللغة المنطوقة المعينة في حالة الثبات ، حيث يقوم الباحث بوصف اللغة وتسجيل مظاهرها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية المتزامنة ، وليس من تخصصه تفسير الظاهرة ، أو الحكم عليها بالصواب ، أو الخطأ ، وإنما حسب تسجيل الواقع اللغوي تسجيلاً أميناً ، وفيه توصف اللغة حسب الشكل الموجود في فترة زمنية معينة وبيئة مكانية محددة حتى لا تختلط اللغات أو لهجات اللغة الواحدة بعضها ببعض ، فهو منهج علمي ساكن ، لا يقتضب الباحث فيه ما هو مفصل ، ولا يبسط ما هو معقد .

❖ والمنهج الوصفي هو المنهج السائد الآن في علم اللغة الحديث ؛ لأن التنظيم الباطني للقواعد الداخلية للغة هو المهم ، وليس تاريخها أو نشأتها ، أو مراحل تطورها هو المهم ، وعلى ذلك فالتناول التاريخي للظاهرة اللغوية ليس تناولاً علمياً ، أما المنهج الوصفي فهو المنهج الصالح لدراسة اللغة على أساس علمي موضوعي وهو يحقق فائدة علمية وهي تعليم الناس اللغات الأجنبية وتعريفهم الطريقة الصحيحة لاستخدام لغاتهم .

ومع ذلك فمن الصعب الفصل بين المنهجين : الوصفي والتاريخي ، فالدراسة اللغوية التاريخية لا يمكن أن تقوم إلا على أساس المنهج الوصفي ، وذلك لأن متابعة التغير التاريخي للغة لا بد من سبقه بوصف المراحل المختلفة التي مرت بها اللغة ، مرحلة أثر مرحلة .

ثانياً : - المنهج التاريخي :

يقوم المنهج التاريخي على : دراسة تطور اللغة الواحدة في مراحلها المختلفة عبر القرون^١ ويعتمد على ما دون - من نصوص ، وهو يتتبع الظاهرة اللغوية من أقدم عصورها التاريخية إلى أحدثها مسجلاً التغيرات التي تلحق بها ، سرها وأسبابها ونتائجها .
أي أن هذا المنهج منهج استرجاعي يستعيد ماضي اللغة ويهتم بتاريخها عن طريق الوثائق القديمة .

(١) انظر : مقدمة في علوم اللغة - د / البدرائي زهران - ص ١٩١ ، ١٩٢ - ط ثانية - ١٩٧٩م - دار المعارف بمصر .

وقد سمي (دو سوسير) علم اللغة التاريخي باسم (دياكروني) بمعنى: عبر أو خلال الزمن .
وعلم اللغة التاريخي أو التطوري يقوم بدراسة اللغة المكتوبة من خلال تغيراتها المختلفة عبر
الزمان والمكان ، فاللغة هي بناء حاضر ، ونتيجة ماض ، وحركة متطورة ، والتغير اللغوي يسير
في كل الاتجاهات :

(في الأصوات والتراكيب الصرفية والنحوية والدلالات) ، ولا يحدث هذا التغير بدرجة واحدة ، ولا
يخضع لنظام معين ثابت ، ويعتمد المنهج التاريخي على اللغة المكتوبة كما يعتمد على
المنهج الوصفي للغة بتتبع تغيراتها ، والدراسة التاريخية تتصف بالحركة ، وعدم الاستقرار ،
ولذلك يقول ماريو باي : " أما علم اللغة التاريخي فهو علم بفاعلية مستمرة فهو يدرس اللغة من
خلال تعبيراتها المختلفة .

ثالثاً : المنهج المقارن

- يركز هذا المنهج على دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية أو الدلالية المشتركة
بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة الأصل ، ولقد استخدم (بوب) في بحثه (نظام
التصريف في اللغة السنسكريتية) المقارنة بينهما وبين الألمانية واليونانية واللاتينية ، وأما
اللثام عما بين اللغات الهندية الإيرانية من جهة ، واللغات الإغريقية واللاتينية والجرمانية من
جهة أخرى من تشابه وسمات مشتركة ، وفعل ذلك علماء كثيرون ،
ونتج عن تطبيق هذا المنهج ، تصنيف اللغات وربطها بعضها ببعض ، واكتشاف ما بين هذه
اللغات من سمات مشتركة ، مما جعلهم يطلقون عليها اسم (فصيلة اللغات السامية) التي تشمل
اللغات الأكادية (الأشورية والبابلية) واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية) ، واللغات الآرامية
واللغة العربية الشمالية والجنوبية ، واللغة الحبشية .
- كما اكتشف اللغويون صلات القرابة التي تربط اللغات الحامية (اللغة المصرية القديمة ،
والقبطية الحديثة ، والبربرية ، واللغات الكوشيتية) .
كل استنتاج قائم على نظم افتراضية ، فعلم اللغة المقارن باستطاعته تحديد تغيرات معينة
خضعت لها لغة ما في مرحلة معينة من مراحل تطورها التاريخي ، أو دراسة لغتين من فصيلة
واحدة ، كالعربية والسريانية مثلاً .

رابعاً : المنهج المعياري

أنكر أصحاب هذا المنهج نظرية التطور اللغوي، ورأوا أن اللغة ظاهرة جامدة ، وأن اللغة
ثابتة ، وأن التغيير في اللغة أمر فاسد يجب التصدي له ، كما يجب وضع قواعد معيارية للغة
ويعتبر الخروج عنها أمر خطأ ، ومن وافقها فهو الصواب .
وقد ساد هذا المنهج عند الإغريق والرومان والمتأخرين من نحاة العرب ، حتى مطلع العصر
الحديث ، حيث تراجع أمام المناهج الأخرى قليلاً .

خامساً : المنهج التقابلي

ويقوم بدراسة الثقافات والحضارات المختلفة بين لغتين من قبيلتين مختلفتين ، كالعربية والإيطالية مثلاً (١) ، أو العربية ، والألمانية ، كما يجب أن تحدد الدراسة مستوى بعينه في اللغتين المدروستين كالفصحى فيهما أو العامية فيهما مثلاً ، وتركز الدراسة التقابلية على جوانب الاختلاف بصفة أساسية في اللغتين موضوع الدرس وتقوم أولاً بدراسة وصفية للظواهر في كل لغة على حده ، ثم تقوم بعد ذلك بدراسة تقابلية تقارن فيها اللغتين ؛ لمعرفة أوجه الاختلاف بينهما فهي دراسة تبدأ وصفية ثم تنتهي تقابلية ، وبجوار هذه المناهج الأساسية والبارزة في مجال البحث اللغوي ، فهناك مناهج أخرى كمنهج الملاحظة ، والاستقراء ، والتجريبي ، والمنهج النفسي والاجتماعي ، ولكل منهج مدارس وعلماءه وباحثوه ، ومؤيدوه ومعارضوه وناقده ، وإن كانت هذه المناهج ذات صلة بعضها ببعض وصولاً للهدف المرجو

” مستويات التحليل اللغوي ”

اللغة الإنسانية هي نظام من الرموز الصوتية ، أو هي نسق من العلاقات ، وهذا النظام أو النسق تتحكم فيه قواعد معينة ، في مجال التحليل اللغوي ، ولتبسيط البحث وتيسيره نعد إلى تجزئ الظاهرة اللغوية إلى مستويات أربعة ، ثم نفحص كل مستوى على حدة في محاولة لبناء نموذج أو صورة للغة لكي نستطيع تفسيرها و إلقاء الضوء عليها ، وهذه المستويات الأربعة هي (٢) :

١- المستوى الصوتي : (phonetics)

ويدرس من خلاله منهجه مواضع النطق وصفات الحروف ، من حيث الجهر والهمس والانفجار والاحتكاك والترقيق والتفخيم ، كما يدرس مخارجها ، ومعانيها ، والنبر والمقاطع والتنغيم في لغة معينة باعتبار الأصوات اللغوية وحدات صوتية مجردة منعزلة عن سياقاتها ، أو باعتبار الصوت اللغوي وحدة في نسق صوتي فتهم الدراسة ببيان الأشكال المختلفة التي يتشكل بها الصوت ، وكذلك بيان وظائفه وقيمه .

(١) انظر : أسس علم اللغة . د / محمود فهمي حجازي - ص ٤١ ، وعلم اللغة التقابلي . د / أحمد ياقوت -

ص ٧ وما بعدها

" الدراسة المقارنة هي تلك التي تعني بإجراء موازنة بين لغتين من أصل واحد كالعربية والعبرية ، أما الدراسة التقابلية فهي تلك التي تجري موازنة بين لغتين من أصليين مختلفين كالعربية والانجليزية " .

(٢) انظر : دراسات في علم اللغة د / كمال بشر ص ١١ وما بعدها ، وعلم اللغة د / علي عبد الواحد وافي ، ومدخل إلى علم اللغة - د / محمود فهمي حجازي ص ٣١ ، ومقدمة في علوم اللغة ص ١٩٥ ، ومقدمة لدراسة فقه اللغة - د / محمد أبو الفرج - ص ١٢٢ وما بعدها ، ومن أسس علم اللغة - د / محمد حبلى - ص ١٣٠ ، والعربية معناها ومبناها - د / تمام حسان - ص ٢٣٩ ، ومدخل إلى علم اللغة - د / محمد حسن عبد العزيز - ص ١٩٩ وما بعدها ط ١٩٩٢م - مكتبة الشباب - القاهرة .

▪ يطلق على هذا القسم من هذه الدراسة (فونولوجي)^(١) ، أما القسم الثاني فيطلق عليه مصطلح (الفوناتيک) ، ويدرس الأصوات (مادة الكلام الإنساني) ، مع بيان صفاتها ، وأقسامها ، وخواصها ، ويدرس جهاز النطق ، وتشريحه ، ومخارج الحروف، والأذن، وتأثير هذه الأصوات في الهواء الذي ينقلها بين السامع، والمتكلم .

٢- المستوى الصرفي : (Morphology)

ويدرس الصيغ اللغوية وبناء الكلمة وطرق تشكيلها من اشتقاق ونحت وإصاق ، والتغيرات التي يطرأ عليها ، ويصنف الصيغ إلى أجناس كالفعل والاسم والأداة ، أو التذكير والتأنيث ، والإفراد والتثنية والجمع ، والتغيرات الصرفية نتيجة الأصوات المتجاورة ، كقولهم : مقال واستقال و إقالة وقول وقلت من مادة (قول)^(٢) .

هذا ويعالج علم الصرف الوحدة المسماة بـ (المورفيم) وهو أصغر وحدة ذات معنى في اللغة المدروسة ، أي الكلمة ، نحو : كلمة (معلمان) نجدها تتألف من مورفيمين هما (معلم) ، و (أن) ولا يمكن تقسيم الكلمة (معلم) أو (أن) إلى أقسام أخرى لها معنى .

٣- المستوى التركيبي أو النحوي (syntacs)

ويدرس نظام الجملة وتحليلها ووضع الكلمات في الجمل ، والعلاقات النحوية التي تربط بين عناصرها المختلفة ، ويدرس أيضاً أنواع الجمل من إثبات أو نفي أو استفهام أو تعجب وغير ذلك ، ونظراً للارتباط الشديد بين علمي النحو والصرف فأطلق عليهما : قواعد النحو ، أو النحو (Grammar) ، واتصلاً بهذه الدراسات ، وانبثاقاً عنها في الدرس اللغوي الحديث ظهرت مناهج جديدة في دراسة التراكيب من بينها المنهج التوليدي التحويلي^(٣) .

٤- المستوى الدلالي (sematics)

علم المعجم وعلم المعاني : ويقوم بدراسة معاني المفردات ، والعبارات ، والعلاقات الدلالية المختلفة ، مثل : الترادف ، والتضاد ، والاشتراك اللفظي ، والتغير الدلالي وأسبابه ، والتطور التاريخي للكلمات وما يلحقها من حياة أو موت ، أو رقي ، أو انحطاط، كما يدرس ربط الكلام بمقام استعماله ومراعاة مقتضى الحال ، كذلك يدرس تاريخ الكلمات واشتقاقاتها .

(١) راجع الفصل القادم كيفية إنتاج الصوت ومراحله الثلاثة : إنتاج وانتقال واستماع ، وأنها تتنوع بتنوع المجرى (والمخرج) ، والخصائص الصوتية من جهر وهمس ، وشدة ورخاوة ، وتفخيم وترقيق ، وإمالة ، فلو نطقت (صفر وسفر) ، (ويصير ويسير) ، (ويمت ويمد) ، و (باد وبات) لما وجدت خلافاً في النطق ، لاتفاقهما في المجرى والمخرج ، والخصائص الصوتية ، وإن اختلفتا في صفة صوتية واحدة كالسابقة .

(٢) أي أنه يهتم بالوحدات الصرفية الحرة (المستقلة) ، أو (المنفصلة) ، كما يهتم بالوحدات الصرفية المقيدة (المرتبطة) ، أو المتصلة غيرها من الكلمات) ، وكذلك بالوحدات الصرفية التتابعية (التي تتابع فيها مكوناتها الصوتية دون فاصل) ، والوحدات الصرفية غير التتابعية) ، كما يدرس الأنماط الصرفية الخاصة بالتحليل اللغوي ، وتختلف الأنماط في بنية مفرداتها .

(٣) انظر : مقدمة في علوم اللغة - د / البدراري زهران - ص ٢٠٠ .

❖ إذن اللغة تخضع إلى مجموعات من الضوابط ، وعديد من النظم التي تقنن ظواهرها ، كما تتعدد مستوياته ، ويتطلب كل مستوى معرفة الروابط التي تنظمه ، والقواعد التي تحكمه ، واللغة وسيلة تعايش بين الفرد والمجتمع ، وبدونها ما كان له أن يعبر من نطاق ذاته إلى الآخرين ، وأن يقيم جسورًا من الصلات بينه وبينهم ، وذلك بنقل الأفكار والمعلومات وتبادل الخبرات ، كما أن اللغة وسيلة للتنفيس عن مشاعر الإنسان إزاء ما يحيط به في حياته وبتنفيسه عن مشاعره ، يعبر في الحقيقة عن مواقفه وطموحه .
وفي هذا الفرع يقول أستاذي الدكتور / تمام حسان (١) :

" اللغة نتاج اجتماعي بلا شك ، ويراعي الكشف عن هذا الجانب الاجتماعي في إبانة المعنى وهو ما يعرف بالمعنى الدلالي الذي هو معنى المنطوق الذي هو نشاط نطقي بخلاف المعنى المعجمي العام الذي هو معنى الكلمة .
وهذه المستويات السابقة الأصوات ، الكلمات ، الجمل) هي مبني للغة ، أي ما يشبه أن يكون روحًا أو عقلاً للغة .

• **والخلاصة :** أن النشاط اللغوي الإنساني ليس عملية سهلة ، لتداخل العديد من المؤثرات في هذا النشاط ، وكذلك لخضوعه للنظم المتعددة ، والتي يخضع الإنسان لها عند ممارسته لهذا النشاط اللغوي .

" أثر السنسكريتية في علم اللغة "

كان الكشف عن اللغة " السنسكريتية " . sanscrit لغة الهنود القدماء ، والذي اهتدى إليها في عام ١٧٨٦م ، " السير وليم جونز " sir.w.jones الإنجليزي ، هو شهادة الميلاد الحقيقية لعلم اللغة الحديث .

فقد كان هذا الكشف حدثًا هامًا في الدراسات اللغوية من نواح عديدة :

- ١- فقد مكن اللغويين من إدراك ما بين اللغات الهندية والإيرانية ، وبين اليونانية واللاتينية واللغات المتفرعة عنهما من صفات التشابه أو التماثل .
- ٢- فقد ألف " فرانز بوب fransbopp " كتاب " نظام تصريف السنسكريتية " وبيّن فيه العلاقات التي تربطها بالجرمانية والإغريقية واللاتينية وغيرها ، فأوحى ذلك إلى اللغويين بفكرة " الفصائل " أو " العائلات اللغوية "
- ٣- كما أن كشف " السنسكريتية " أتاح لغويي الغرب الاطلاع على أقدم ما ألف العقل الإنساني وهو كتاب " بانيني " Panini الذي سماه " سوزا " أي الرموز ، وذلك ما بين عامي ٢٥٠ : ٣٥٠ ق.م ، حيث وصف " بانيني " في كتابه هذه اللغة وصفًا دقيقًا في نظامها الصوتي والصرفي وخواصها التركيبية ، واستعمالاتها النحوية ، وقد شرح " باثانيالي " في القرن الثاني ق.م - كتاب

(١) انظر : اللغة بين المعيارية والوصفية - د / تمام حسان - ص ٢ .

"بانيني" شرحًا مفصلاً ، ووجد أن دراسة اللغة عند الهنود قد اتجهت اتجاهاً "وصفيًا" ، خالية من التعليل والتأويل ، وهو المنهج السائد في الدراسات اللغوية الحديثة ، وذلك مختلف عما قامت عليه دراسة اللغة عند اليونان ، حيث اعتمدت على المنطق تستهديه في وضع النظريات والقواعد بينما اتجهت عند الهنود إلى وصف الأنظمة اللغوية المختلفة .

٤ - كما أن كشف اللغة السنسكريتية أدى إلى نشأة ما يعرف ب (فقه اللغة) بحدوده المعروفة الآن ، ومن درس للنصوص القديمة في أشكالها المكتوبة ومن اتخذ اللغة وسيلة لدراسة الثقافة على العموم .

الفصل الرابع

اللغات الإنسانية

تعددتها وانقسامها إلى أسر لغوية

” الفصائل اللغوية ”

لم يستطع العلماء إحصاء هذه اللغات فقالوا على سبيل التخمين إنها بين رقمي ٢٥٠٠-٣٥٠٠ لغة - وهذا أمر صعب تحديده لاختلاف اللغات باختلاف الشعوب وتنوعها ، ولتفاوت اللغات في الرقي والانحطاط ، أو التأخر عن ركب الحضارة .
اتفق العلماء على إطلاق اسم عائلة أو أسرة لغوية على مجموعة لغات متشابهة أو منحدره من أصل واحد واختلفوا على عددها وعلاقاتها ببعض (١) .

يمكن حصر اتجاهات العلماء في تقسيم اللغات البشرية على أساس

أولاً : أساس ديني :

معتمدين على ما أوردته التوراة ، من أن سكان الأرض غرقوا بالطوفان ، وبقي نوح وأولاده : يافث ، وحام ، وسام ، وبمرور الزمن تحولت لغتهم الواحدة إلى لهجات ولغات تبعاً لعوامل التطور المختلفة ، ومنها : -

اللغة اليافثية (الآرية) : نسبة إلى يافث بن سيدنا نوح عليه السلام ، وموطنها : أرض بابل ، أو أرمينيا

اللغة الحامية : نسبة إلى حام بن نوح

اللغة السامية : نسبة إلى سام بن نوح ، وموطنها غرب آسيا .

ثانياً : على أساس مراحل التطور والارتقاء وأصحابها (شليجل) ، حيث قسمها إلى :

لغات متصرفة ، أو تحليلية : حيث تتصرف ، وتتغير أبنيتها ومعانيها (صرفياً) ، وتمتاز بالربط بين أجزاء جملها (نحويًا) ، وسميت بالمتصرفة ، لتغير أبنيتها بتغير المعاني ، وسميت بالتحليلية ؛ تحليل أجزائها ، وربطها بعضها ببعض بروابط تدل على العلاقات المختلفة

١ - **لغات غير متصرفة (عازلة) :** كلماتها جامدة لا تتصرف لا بتغير البنية ولا عن طريق لصق حروف بالأصل ، و تلزم صورة واحدة ومعنى ثابت ، وتمتاز بعدم وجود روابط بين أجزاء الجملة ، وسميت بغير المتصرفة ، لأن كلماتها لا تتصرف ولا يتغير معناها ، سميت بالعازلة ، لأنها تعزل أجزاء الجملة بعضها عن بعض ، ولا تصرح بما يربطها من علاقات ، وأهمهم اللغات الصينية ، والفيتنامية ، والبرمانية ، وكثير من لغات الشعوب البدائية .

٢ - **لغات لصقية ، أو وصلية :** لأن تغير معاني كلماتها إنما يأتي عن طريق لصق أحرف بأول الكلمة ، أو بنهايتها ، حتى يتم التوصل لربط أجزاء الجملة وبيان علاقة كل جزء منها بالآخر ، ولتوضيح المعنى المقصود .

(١) عنوان النظرية في تصنيف اللغات البشرية ، أو توزيعها على مجموعات ، أو عائلات تتشابه أفرادها تشابهًا كبيرًا في كثير

من الظواهر اللغوية وقد جاءت فكرة هذا التصنيف كثمرة من ثمرات الدراسات اللغوية المقارنة التي ازدهرت بعد كشف اللغة السنسكريتية (اللغة الهندية القديمة) على يد السير (وليم جونز) عام ١٧٨٩م مما يرجع البداية التاريخية لهذه النظرية على الرغم من وجود نظرات علمية حول أساس الفكرة سابقة لها .

وتعرف هذه اللواحق بالسوابق إذا أضيفت قبل الكلمة ، وتسمى اللواحق إذا أضيفت إلى نهاية الكلمة ، وتستخدم اللواحق كمساعد للدلالة على تغير معنى الأصل الذي تلصق به ؛ لأنه ليس لها دلالة مستقلة في حد ذاتها ، ومن أشهر هذه اللغات : اليابانية .

هناك عدة طرق لتصنيف اللغات ومنها (١) .

أ-الطريقة التشكيلية : وهي طريقة وصفية تقوم على أساس وسائل بناء وتوليد الكلمات ، وتهتم بالتركيب الحديث للغة ، فتقسم اللغات إلى أنواع عامة هي :

١ - اللغات التصريفية أو التحليلية : وهي التي تدل على العلاقات النحوية عن طريق السوابق واللواحق والتغييرات الداخلية في بنية الكلمة ، وسميت بذلك لتغير أبنيتها بتغير المعاني ، وإمكان تحليل أجزاء الجملة وربطها بعضها ببعض .

٢ - اللغات اللاصقة : وهي التي تضيف لواحق منفصلة تختلف عن النهايات التصريفية في أنها يمكن أن تتمتع باستقلالها وانفصالها في بعض المواقف والملاحظ أن الحدود بين هذين النوعين ليست واضحة المعالم دائماً .

٣ - اللغات المفردة : وهي التي تستعمل كلمات جامدة لا يمكن أن تنقسم أو تفكك إلى كلمتين ، وتستعمل هذه اللغات ترتيباً معيناً لجمالها ، بحيث يدل على العلاقات النحوية بنظام الجملة المعين .

٤ - اللغات المركبة : وهي التي تتركب أعداداً من الكلمات في شكل عبارة واحدة ، وليس الكلمة منها معنى إذا استعملت بعيدة عن بقية ملازماتها ، وهنا يبدو العبارة وكأنها كلمة واحدة

❖ وهذا التصنيف لا يصلح كوسيلة لربط اللغة العربية جذورها العرقية والتاريخية ، فربما يقطع هذه الجذور ، لأنه يركز على الصورة الحالية للغة دون النظر لما كانت عليه .

❖ كما أنه تقسيم سطحي ، لأنه يجمع تحت فصيلة واحدة عدة لغات يختلف بعضها عن بعض في الروح (٢) ومثال ذلك : اللغة الهندية فإنها يقتضي هذا التصنيف تنتمي إلى نوع اللغات اللاصقة تاركة أمها السنسكريتية ضمن إطار نظام النهايات التصريفية ، بينما تنتمي اللغة العربية بمقتضى هذا التصنيف إلى ثلاثة أنواع مختلفة على الأقل ، ففيها من اللغات التصريفية سوابق المضارعة (الهمزة والنون والتاء والياء) وأيضاً الاشتقاقات المختلفة (كاسم فاعل واسم مفعول والصفة المشبهة) وكلها تقوم على أساس التغيير الداخلي .

❖ وبها أيضاً من الخصائص ما يجعلها تندرج تحت الصنف الثاني ، من خلال الضمائر المتصلة

(١) انظر : أسس علم اللغة - تأليف ماريو باي - ترجمة د / أحمد مختار عمر - ص ٥٥ : ٥٨ " تصنيف اللغات من حيث التطور والارتقاء ، وعلى أساس القرابة اللغوية ، أو على أساس جغرافي .

(٢) انظر : مدخل إلى اللغة - د / محمد حسن عبد العزيز - ص ٥٨ وما بعدها ، ودراسات في اللغة العربية - د / فتحي محمد جمعة - ص ٨ وما بعدها - ط ١٩٨٧ م .

❖ التي من الممكن أن تقع منفصلة ، وفيها من الصنف الثالث (اللغة المفردة) الذي لا يستدل فيه على العلاقات النحوية إلا من خلال ترتيب معين ، نحو : ضرب موسى عيسى - ونعم مصطفى حيث نجد أنه في المثال الأول لا تستدل فيه على الفاعل إلا من خلال الترتيب والتركييب الثاني يتألف من كلمة جامدة ، وأخرى لا تظهر عليها علامات الإعراب .
ونخرج من ذلك إلى أن هذا التصنيف لا يصلح لتحقيق ما نرمى إليه من تأصيل لنشأة اللغة العربية وعلاقاتها بغيرها من اللغات .

❖ كما أن هناك تصنيف جغرافي - وهو الآخر لا يصلح لتحقيق ما نصبو إليه ، بل إن إعماله يؤدي إلى توزيع اللغة العربية على مجموعة من العائلات الآسيوية ، ومنها العائلة الأفريقية ، وهذا التقسيم هو أقل شهرة وأهمية ، وهو يقوم على التقسيم الجغرافي المنطقي .

ب-التصنيف على أساس العلاقة والقرابة اللغوية والثقافية (١)

ويقوم على أساس تاريخي لربط اللغات بأصل معروف أو تخميني حيث يقال عن لغتين أنهما متصلتان جينياً إذا ما ثبت أن إحداهما تنحدر عن الأخرى ، أو يقال إن تشابه لغتان أو أكثر في الأصوات وفي الصيغ وفي التراكيب تشابهاً واضحاً ينبئ عن انحدارها من أصل لغوي واحد .
هذا وبعد هذا التصنيف القائم على الأساس (الجيني) هو أكثر التصنيفات أهمية ، لأنه التصنيف الذي قامت على أساسه دراسة علم اللغة المقارن في القرن التاسع عشر ، فإذا ما قلنا بوجود اتصال بين لغتين أو مجموعة من اللغات فإن الذهن ينصرف إليه ، كما أنه يفيد في التعرف على أكبر قدر ممكن من المعلومات حول نشأة اللغة العربية ، كما يفيد أيضاً في معرفة ما طرأ عليها من تطور حتى آلت إلى ما هي عليه الآن ، وهذا لا يتحقق إلا بالعثور على منطلق تاريخي يشكل صورة ولو جزئية لبدايات تلك اللغة .

❖ ويعتبر العالم اللغوي (ماكس مولر) ، والعالم الألماني (شلوتشر) عام ١٧٨١م ، من

(١) يقوم هذا التقسيم على ما يتوصل إليه فريق من علماء اللغة اللذين استفادوا من المنهج المقارن في دراساتهم وأبحاثهم ، ولا حظوا أن هناك صلات وعلاقات قوية ووثيقة بين مجموعات من اللغات اصطحوها على تسمية كل مجموعة منها بالفصائل اللغوية ، تجمع كل فصيلة من هذه الفصائل علاقة وقرابة لغوية من حيث التقارب أو الاتفاق في أصول الكلمات وقواعد البنية وتركيب الجمل ، ونحو ذلك من الظواهر اللغوية .

انظر : مدخل إلى اللغة - ص ٢٠٨ وما بعدها - ط ١٩٨٨ م .

وفي التراث العربي نجد الخليل ، وابن حزم ، وأبا حيان لمحاو جميعا ما ينشأ من صلات بين اللغات ، وأدركوا العلاقة بين العربية ، والعبرية ، وأحواتها : كالكنعانية والسريانية ، وغيرهما .

وقد نكر ذلك الخليل في العين ، وابن حزم في الأحكام في أصول الأحكام

كذلك أدرك (دانتي) في القرن ال ١٤ من خلال المفردات أن اللغة الفرنسية ، والإيطالية ، والأسبانية ترجع إلى أصل واحد

انظر : كتاب الأحكام - لابن حزم ، وعلم اللغة - / د محمود فهمي حجازي ص ١٢٣ ، وفصول في فقه العربية - ص ٢٩ ، ٣٠ ، ودراسات في اللغة العربية د / فتحي محمد جمعة - ص ٨ : ١٠ .

أوائل العلماء والباحثين الذين لاحظوا وتنبهوا إلى علاقات القرابة ودرجات الصلة بين مجموعات من

❖ اللغات في العناصر اللغوية المختلفة : صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ، وتعتبر نظرياتهم ، وآراؤهم ، ومقترحاتهم من أشهر النظريات ، والآراء ، والمقترحات التي قسمت اللغات البشرية . على هذا الأساس ، وقد أرجعت هذه النظرية اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل (عائلات) لغوية أساسية ، وهي تشبه القرابة بين إنسان وإنسان ، أو أسرة و أسرة ، وكل عائلة مجموعة أسر (فصائل) لغوية بحسب ما يجمع بينها من علائق في مختلف الظواهر اللغوية ، والفصائل اللغوية هي :

- ١ - الفصيصة أو الأسرة الهندية (الآرية) .
- ٢ - الفصيصة أو الأسرة السامية - الحامية .
- ٣ - الفصيصة أو الأسرة الطورانية .

ويندرج تحت كل فصيصة من هذه الفصائل مجموعة من اللغات ، وسأتناول كل فصيصة - بمشيئة الله تعالى - هن هذه الفصائل بشيء من التفصيل .

أولاً : الفصيصة الهندية - الأوربية (الآرية) :

هي أعظم الفصائل اللغوية وأكثرها انتشاراً ، وتضم أشهر اللغات الإنسانية وأوسعها انتشاراً والتي يتكلم بها سكان مناطق كثيرة من بلدان العالم ، وتضم هذه الفصيصة عدة فروع ، منها : الفرع الهندي ، والفرع اللاتيني ، ومن لغاته : الفرنسية والإيطالية ، والأسبانية ، والفرع الجرمانى ، ومن لغاته ، الإنجليزية ، والألمانية ، ومجموعة أخرى .

وأصحاب هذه الفصيصة من اللغات لهم أثر كبير وبارز في الحضارة الإنسانية الحديثة ، وبعض الناطقين بها من أرقى الشعوب حضارة .

وتختلف آراء العلماء حول الموطن الأصلي لهذه اللغات - ولم يعرف على وجه الدقة الوطن الأصلي لهذه الأسرة ، فقول : إنها نشأت في آسيا الوسطى بمنطقة التركستان ، وقيل : في المناطق الروسية بأوروبا الشرقية ، وقيل : في مناطق بحر البلطيق ، والهند وفارس وأفغانستان - وسكان أوروبا والأمريكيتين ، وأستراليا ، وجنوب أفريقيا ، أو بابل ، أو أرمينيا .

وتشمل هذه الفصيصة : اللغات الهندية القديمة (السنسكريتية) ، والفارسية القديمة ، وكثير من اللغات الأوربية ك (اللاتينية واليونانية والجرمانية والسلافية) ، ويلاحظ أنها تشتمل على ثمان مجموعات من اللغات ، وهي :

- ١ - اللغات الهندية الإيرانية (الآرية) ، وتشتمل على شعبتين :

الأولى :شعبة اللغات الهندية (السنسكريتية والبراكريتية ، واللغات الهندية الحديثة) .

- الثانية : شعبة اللغات الإيرانية (الفارسية القديمة ، والافسيتية ، الزند أفستية (١) ، والبهلوية ، والفارسية الحديثة والكردية ، والإسبيتية (٢) ، الأفغانية أو البشتو) .
- لوجوه الشبه المتقاربة والكثيرة بين هاتين الشعبتين اعتبرهما علماء اللغة طائفة واحدة ، سموها (طائفة اللغات الهندية الإيرانية ، أو طائفة اللغات الآرية (٣))
- ٢- اللغات الإغريقية : وتشمل اليونانية القديمة ، وأشهرها : اليونانية - القبرصية - الأتيكية - الدورية ، وتشمل : اليونانية الحديثة (في العصر الحاضر)
- ٣- اللغات الإيطالية ، وأهمها : اللاتينية والرومانية وهي المتفرعة من اللاتينية كالفرنسية والبرتغالية والإيطالية والأسبانية ولغة رومانيا .
- ٤- اللغات الجرمانية وتشمل ثلاث شعب :
- أ-شعبة اللغات الجرمانية الغربية ، وتشمل : الإنجليزية القديمة (السكسونية) ، والإنجليزية الحديثة - والهولندية - والفلامندية (٤) - واللغة الألمانية .
- ب-شعبة اللغات الجرمانية الشرقية : وهي اللغة الجوتية (٥) .
- ج-شعبة اللغات الجرمانية الشمالية ، وهي لغات أيسلندا ، والدانمارك ، والسويد ، والنرويج .
- ٥- اللغات البلطيقية السلافية ، وتشمل شعبتين :
- الأولى : شعبة اللغات البلطيقية : وهي الليتوانية (لغة ليتوانيا) أو البروسية القديمة .
- الثانية : شعبة اللغات السلافية أو الصقلية ، وهي : السلافية القديمة والروسية ، والتشيكية ، والصربية ، والبولندية ، والكرواتية ، والبلغارية الحديثة .
- ٦- اللغات الأرمنية .
- ٧- اللغات الألبانية .
- ٨- اللغات السلتيّة أو الكلتيّة (٦) .

(١) وهي لغة الأسفار المقدسة المسماة (الابستاق) وشروحها المسماة الزند - أفسنا .

(٢) وهي لغة الأسيثيين وهم سكان القوقاز الأوسط .

(٣) أطلق علماء اللغة الأقدمون هذا الاسم على جميع الفصيحة الهندية - الأوربية - من باب التوسع ، ومن قبيل إطلاق الخاص على العام ، ثم عدل علماء اللغة المحدثون عن هذا الاستعمال تجنباً للبس . والآري : لفظ سنسكريتي قديم ، معناه الشرف والنبيل وينتمي معظم المتكلمين بهذه الأسر من اللغات إلى الجنس الآري ، مع أنها تختلف فيما بينها تبعاً لنهوض الشعوب وتقدمها ، كتفوق الألمان والإنجليز على اللغات الصربية والسلافية .

انظر : علم اللغة - د/ وافي - ص ١٨٣ وما بعدها ، ودراسات في فقه اللغة - د / صبحي الصالح - ص ٤٢ وما بعدها ، وفقه اللغة - د / إبراهيم محمد نجا - ص ٣٠ وفي فقه اللغة العربية - د / ناجح عبد الحافظ مبروك - ص ٦٩ وما بعدها .

(٤) وهي لغة مقاقعة الفلاندر ببلجيكا .

(٥) وهي لغة قبائل الجوت ، وهو شعب قديم كان يسكن جرمانيا الشرقية .

(٦) وهي التي كانت لغات شعوب السلتيّة أو الكلتيّة ، ومن بقاياها : لهجات إيرلندية ، وويلزية وغيرها .

من هذا العرض يتضح أن هذه الفصيلة (اللغات الهند الأوربية) هي أكثر اللغات الإنسانية انتشارًا ، وتحتل أماكن كثيرة من مناطق العالم ، إذ يتكلم بها الآن جميع سكان أوربا والأمريكيتين (الشمالية والجنوبية) ، وأستراليا ، وجنوب أفريقيا ، وقسم كبير من سكان آسيا في الهند وفارس وأفغانستان والكرديستان ، والقوقاز الأوسط ، وأرمينيا

▪ وتعتبر هذه الشعوب هي أرقى وأكثر الشعوب مدنية وحضارة وتقدمًا وازدهارًا في العصر الحديث ، وأعظمها نشاطًا ، وأكثرها إنتاجًا ، وأكبرها شأنًا في مختلف مجالات الحياة ، كما أنها تعتبر أعظمها أثرًا في الحضارة الإنسانية الحديثة .

❁ ويرجع الفضل في انتشار هذه الفصيلة إلى عدة عوامل ، من أهمها : الغزو الاستعماري للشعوب المتكلمة بهذه اللغات ، فمثلًا بعد أن غزا الآريون بلاد الهند انتشرت لغاتهم في هذه البلاد وقضت على لغات السكان الأصليين ، ولم يبق من لغات تلك الشعوب المستعمرة إلا آثار ضئيلة - وكذلك بعد استعمار الأوربيين للأمريكيتين ، وأستراليا ، وجنوب أفريقيا - انتقلت إلى هذه المناطق اللغات : الإنجليزية والأسبانية والفرنسية .

❖ والملاحظ أن هذه الفصيلة تمتاز بكثرة شعبها واتساع هذا الخلاف بين لغات هذه الفصيلة حتى أنها انقسمت إلى الطوائف الثمان المذكورة سابقًا ، وانقسام هذه الطوائف إلى شعب ، وكل شعبة إلى لغات ، وأخذت كل لغة في الارتقاء والتطور ، مختلفة عن غيرها من اللغات .
❁ ومن ثم فقد كثرت وجوه الخلاف بينها ، وضعفت وتضاءلت وجوه الشبه لدرجة أنها تبدو غريبة عن بعضها ، ولا تتضح صلة علاقة وقرابة إلا بعد تأمل عميق ، ونظر كبير ، ويرجع السبب في هذا إلى عوامل كثيرة من أهمها :

- اختلاف النواحي والظروف الاجتماعية التي يعايشها الناطقون بكل شعبة وكل لغة منها .
- اختلاف البيئات التي انتشرت فيها هذه الفصيلة .
- ونتيجة هذه العوامل هو ذلك الاختلاف بين كل لغة عما عداها في درجة رقيها وبعدها عن أصولها الأولى .

ثانياً : الفصيلة الهامية - السامية .

تشغل مناطق أقل بكثير من سابقتها ، حيث ينطقها أكثر من مائة وثلاثين مليوناً من البشر ، وذلك في بلاد العرب وشمال أفريقيا وجزء من شرق أفريقيا (أي نحو ٢٠ مليون كيلو متر مربع) داخلها فيها صحراء بلاد العرب وشمال أفريقيا ، كما أن عدد الناطقين بها محدود قياساً بسابقتها ، غير أن مناطق المتكلمين بهذه الفصيلة تكاد تشكل منطقة واحدة متماسكة الأجزاء مستقلة ليس فيها عنصر دخيل ، وهذه تعتبر ميزة كبيرة من مزاياها ، كما تتميز بتلاقي شعوبها في أصول واحدة قريبة ، وأساليب حياة متفقة ، وكذلك في نوع الحضارة والنظم الاجتماعية ، وتشتمل هذه الفصيلة على مجموعتين رئيسيتين من اللغات ، هما :

المجموعة الأولى : وهي مجموعة اللغات السامية ، وتتفرع إلى طائفتين :

١ - الشمالية : وتشمل المجموعة الشرقية ، وتمثلها : اللغات الأكادية (الأشورية - البابلية) ،

٢ - والمجموعة الغربية ، وتمثلها ، اللغات الكنعانية (العبرية ^(١) - الفينيقية) ، واللغة الآرامية

، وأهمها السريانية ، والأجريتية والعربية ، والمؤابية المنسوبة إلى (مؤاب) شرق الأردن ونسل (لوط) بن أخي إبراهيم الخليل ، ويرجع تاريخهم إلى ٩٠٠ ق.م .

٣ - الجنوبية ، وتشمل : العربية ، واليمينية القديمة ، والحبشية السامية (الأمهرية - والجعزية) ، وقد نشأت في شبه الجزيرة العربية .

المجموعة الثانية : وهي مجموعة اللغات الحامية وهي تشمل ثلاث طوائف :

١ - **اللغات المصرية** ، وتشمل : المصرية القديمة ، والقبطية ، وانتشرت في مصر منذ حوالي ٣٠٠٠ ق.م ، واللغة الهيروغليفية (لغة الطبقة العليا) ، واللغة الهيراطيقية (لغة الطبقة المتوسطة) ، واللغة الديموطيقية (لغة عامة الناس) .

٢ - **اللغات الليبية أو البربرية :**

وهي لغات السكان الأصليين بالشمال من أفريقيا (تونس - الجزائر - مراكش - الصحراء - وطرابلس) ، وتشمل اللغات الشاوية (الجزائر) ، والتماشكية (صحراء المغرب) والشلحية (مراكش) .

٣ - **اللغات الحامية الشرقية :**

وتشمل اللغات الكوشية ^(٢) : وهي لغة سكان شرقي أفريقيا الأصليين ، ومن فروعها : البجة بشمال أريتريا - الصومالية - العفر - الجالا- دنقلة - الأجاوا - والسيداما ، ويتألف من الناطقين

(١) العبرية هي لغة العبريين " بني إسرائيل ، وجملة شعو أخرى كبنى مدين ، وأهل مؤاب ، وعمون ، ويبدأ تاريخ هذه اللغة

منذ القرن ١٢ ق.م ، حين دخل بنو إسرائيل أرض فلسطين ، وقد كتب بهذه اللغة العهد القديم (كتاب اليهود المقدس)

التوراة ، وأسفار الأنبياء من بعده من الذين خلفوه على قومه ، وكذلك كتب الحكمة "

انظر : اللغات السامية لوفنسون - ص ٧٧ وما بعدها ، ودراسات في اللغة العبرية د / فتحي جمعة - ص ٢٢ ، هذا وقد مرت

العبرية بطور العتيق (مرحلة ما قبل العهد القديم) ، وطور الفصاحة ، وقد بلغ قمته العليا في عهد داود ، وسليمان ، وطور

الانحدار عندما زحفت الآرامية فتوارت العبرية وذلك في عهد مبكر (في حوالي القرن ال ٦ ق.م) حيث أخذت العبرية تموت على

أسنة اليهود أنفسهم ، فهجروها إلى اللغة الآرامية ، وبقيت العبرية لصلاتهم في المعابد ، أو تعليمها في مدارس المعابد ،

وأحياناً يكون سرّاً بعيداً عن السلطات ثم قامت محاولات لأحيائها في العصور الوسطى ، ثم العصر الحديث حتى عادت إليها

الحياة .

(٢) الكوشية نسبة إلى كوش ، أحد أولاد حام بن نوح (عليه السلام) - انظر : علم اللغة - د / وافي - ص ١٨٥ ، وفي

التطور الصوتي - د / عبد الصبور شاهين - ص ٢٩ وما بعدها ، ومدخل إلى اللغة - ص ٢٠٨ وما بعدها ، ودراسات في فقه

اللغة - د / محمد الأنطاكي - ص ٦٣ ، ودراسات في فقه اللغة - د / صبحي الصالح - ص ٤٣ ، ٤٤ .

بهذه الفصيلة السامية مجموعة شديدة التجانس تتقارب في صفاتها وخصائصها ، وتتلاقى شعوبها في أصول واحدة قريبة ، وتتفق في أساليب الحياة ونوع الحضارة والنظم الاجتماعية .
ويجمع بين اللغات السامية (المجموعة الأولى من هذه الفصيلة) كثير من الصفات المشتركة المتعلقة بأصول الكلمات والأصوات ومخارج الحروف وقواعد الصرف والتركيب وما إلى ذلك .
وقد يحس الباحث بأن هذه الفصيلة مجرد لهجات للغة واحدة ، وذلك لقوة وجوه الشبه بين بعض أفرادها .

أما مجموعة اللغات الهامية : (المجموعة السامية من هذه الفصيلة) فلا يوجد بين طوائفها الثلاث (المصرية والبربرية والكوشيتية) من وجوه الشبه والقرابة اللغوية أكثر ما يوجد بين كل طائفة منها ومجموعة اللغات السامية .

ورغم الاختلاف غير الياسير في كثير من الظواهر بين هذه المجموعات الأربع (السامية - المصرية - البربرية - الكوشيتية) ، إلا أن ما بينها من وجوه الشبه والقرابة اللغوية ما يسمح بجعلها فصيلة واحدة مقابلة للفصيلة الهندية الأوروبية ، كما نلاحظ تغلب مجموعة اللغات السامية على المجموعات الثلاثة الأخرى

فمثلاً : اللغة العربية السامية قد حلت محل اللغات القبطية في مصر ، والبربرية في شمال أفريقيا ، واقتصرت البربرية على مجموعة محدودة كلغة حديث فقط عند القبائل المغربية في مراكش ، وبعض الواحات التابعة لطرابلس كواحة (أوجله) جنوب برقة ، كما تم القضاء على اللغة الكوشية في صراعها مع اللغات السامية .
واحتلت السامية معظم مناطقها ، ولم يبق منها الآن إلا بعض لهجات قليلة في بلاد الحبشة ، وبعض المناطق المتاخمة لها .

واللغات السامية دخلت في صراع بعضها مع بعض ، كصراع الآرامية مع اللغات الأكادية والكنعانية ، فتم القضاء على الآكادية في أوائل القرن الرابع ق. م ، ثم تم القضاء على العبرية أيضاً في أواخر القرن الرابع ق. م ، وتغلبت السامية أيضاً على الفينيقية في القرن الأول ق. م ، وكذلك حدث صراع بين العربية وأخواتها ، فقد اشتبكت في صراع مع اللغات اليمينية القديمة ، وقضت عليها قبل الإسلام إلا مناطق محدودة قد احتفظت بلهجاتها القديمة حتى العصر الحاضر ، وربما لأنها تقع في مناطق نائية منعزلة ساعدها على النجاة ، ثم قضت العربية على الآرامية في الشرق والغرب في حوالي القرن الثامن الميلادي .

وامتد أثر العربية إلى الأمم الآرية والطورانية التي اعتنقت الدين الإسلامي مثل الفرس والهنود والأتراك ، فاحتلت العربية لدى تلك الشعوب مكانة سامية مقدسة ، وتركت آثاراً عميقة في كثير من لغاتها ، واتسعت بذلك مناطق نفوذها .

وزاد عدد الناطقين بها ، والمتأثرين بسطانها ، كما ترجع أهميتها إلى أنها تضم لغات هامة للغاية في تاريخ الحضارة الإنسانية وعلى رأسها العربية لغة القرآن الكريم ، ودستور المسلمين ،

فضلاً عما أسدته اللغة العربية للحضارة الإنسانية ، ولم تزل إلى اليوم ، كما أن هذه الفصيلة شغلت وحدة جغرافية واحدة متماسكة .

ثالثاً : الفصيلة الثالثة : اللغات الطورانية :

الطورانيون من أقدم الأجناس البشرية في شرق وشمال شرق آسيا وينتمون إلى الجنس الأصفر ، وتطلق على طائفة من اللغات الآسيوية والأوروبية التي لا تدخل تحت إحدى الفصيلتين السابقتين (الهندية - الأوروبية - والحامية والسامية) وذلك مثل : (اللغات التركية والمغولية والصينية والتركمينية والفلمندية ، واليابانية ، والمنشورية والغينية) ❖

ويعد أول من أطلق عليه هذا الاسم هو العالم ماكس مولر وهذا التقسيم ليس كسابقه ، فهو لم يقيم على أساس درجة صلة أو القرابة اللغوية بين هذه اللغات بل هي مجموعات من اللغات لا تدخل في إحدى الفصيلتين السابقتين .

ولقد عدل علماء اللغة المحدثون عن هذا التقسيم وعن استعمال كلمة (اللغات الطورانية) وقسموها إلى مجموعات صغيرة من الفصائل اللغوية التي تربطها أواصر القرابة اللغوية.

❁ أما جمعية علم اللغة بباريس فقد قامت بأحدث نظرية تقوم على أساس تقسيم جميع اللغات الإنسانية الخارجة عن الفصيلتين الأولى والثانية قسموا - اللغات - إلى تسع عشر فصيلة منها (١) :-

فصيلة اللغات اليابانية - الكورية - الأنيو - الصينية التبتية - الأسترالية الآسيوية - الدرافيدية - القوقازية - الهند الحمر بأمريكا - السودان - الملايوية - الآسيوية القديمة - التركية والمغولية والمنشورية - الغينية - والباسك - والهيريبرية - البنطوية - البوشيمان والينجربين - الأمريكية - لغات سكان استراليا الأصليين .

رابعاً : فصائل لغوية أخرى :

وقد وضع علماء اللغة فصائل لغوية أخرى أهمها : -

أ-فصائل اللغات الصينية التبتية : -

وتنتشر في الصين وهضبة التبت والهملايا وبورما ، وأهم لغاتها : الصينية والتبتية والبرمية واللوية ، وأهمها الصينية من حيث الانتشار ، وهذه اللغة لها أدب غني وتتميز بألفاظها الأحادية المقطع ، والتنغيم الذي يخصص معنى الكلمة ، ولهذه اللغة عدة لهجات ، واللهجة الرسمية هي لهجة العاصمة (بكين) .

ب-فصيلة اللغات السودانية - الغينية : -

وأهمها :

(١) عرض د / على عبد الواحد وافي لهذه الفصائل في كتابه " علم اللغة " .

١ - النوبية - في جنوب مصر ما بين أسوان ووادي أبريم وفي وادي حلف ودار سكوت ودنقلة وكردفانن ودارفور بالسودان .

٢ - الهوسا - وتنتشر بين نهري النيجر والفولتا .

ج- **فصيلة لغات البانتو** : - جنوب خط الاستواء ومن أهم لغاتها الزولو - واللغة السواحلية في مناطق ساحل زنجبار ، وتحتل مركزاً مرموقاً في التعليم بمدارس كينيا والكونجو ، وتكتب بحروف عربية .

د- **لغات المحيط الهندي** : - ومن أهمها اللغات الأندونيسية والملاوية واللغات الأسترالية .

هـ- **فصيلة اللغات الأورالية** - وتضم : الفنلندية والثامودية ، ، وفصيلة اللغة الألتائية وتضم اللغة المنشورية والمنغولية و التركية .

وبعد فهذه أهم الفصائل اللغوية المهمة التي يتكلم بها عدد كبير من الناس ، وهناك فصائل كثيرة صغيرة كلغات الأسكيمو والهنود الحمر والقوقازيين حول بحر قزوين ، ولغات مفردة لا أصل لها كلغة الباسك في فرنسا و أسبانيا وهي لا تشبه أي لغة معروفة لنا .

الأسرة اللغوية الأفرو آسيوية : -

تكون هذه اللغات أسرة لغوية واحدة تعتبر من أكبر الأسرات اللغوية قديماً وحديثاً ، فهي تضم عدة أفرع لغوية : السامي والمصري القديم والبربري ، والتشادي ، والفرع الكوشي ، وأدرك الباحثون أوجه الشبه والاختلاف والعلاقة بين اللغات من حيث القرابة بينها ، مما جعل اللغوي الأمريكي " جرينبرج " هذه الأسرة بأنها الأسرة الأفرو آسيوية ، وهي تشترك في عدد من الخصائص البنيوية ، وأميزها ما يلي : -

١ - **التمييز بين المذكر والمؤنث** في الصيغ الصرفية المختلفة دليل على انتماء اللغة موضع البحث إلى اللغات الأفرو آسيوية ، فاللغات الهندية الأوروبية تميز بين المذكر والمؤنث والمحايد كما في الألمانية ، أما اللغات الأورالية ، فلا تعرف هذا المعيار في التصنيف ، كما يقوم التصنيف في عدد من الأسرات اللغوية وفق معايير أخرى بعيدة عن الجنس النحوي ، أي ليس في معيارها التذكير والتأنيث ، أما اللغات الأفرو آسيوية فتستخدم التاء لتمييز المؤنث عن المذكر ، فهي تتفق من ناحية بدأ التصنيف ومن ناحية الوحدة الصرفية الدالة على التأنيث .

٢ - هناك لغات كثيرة ، تستخدم السابقة M في تكوين صيغ اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل وتدخل في الأسرة الأفرو آسيوية ، فنجد في اللغات السامية والتشادية ومنها لغة الهوسا ، فمثلاً في العربية اسم المكان " موضع " من المادة وضع ، واسم الآلة " منشار " من المادة نشر ، واسم الفاعل من الفعل " مقيم " من الفعل أقام ، وشبيه بهذا أبنية اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل ، وفي لغة هاوسا وغيرها من اللغات التشادية .

اللغات السامية ، وخصائصها (١)

- ❖ يعد العالم الألماني " شلوتس " وزميله " ايكهورن " أول من استعمل وأطلق مصطلح " السامية
- ❖ في نهاية القرن ١٨ من علماء أوربا ، وذلك لأن شعوب هذه اللغة في الغالب ينتمون لذرية سام بن نوح ، وهو أحد ثلاثة إخوة هم : سام ، حام (الذي تنسب إليه الفصيلة الحامية) ويافت ، ومن أولاد سام بن نوح : عيلام وآشور ، وأرفكشاد ولود وآرام .
- ❖ وقد لاحظ الباحثون أن ما جاء في العهد القديم مبني على أساس عنصري ، حيث استبعد الكنعانيين ونسبهم السامي ثابت لا شك فيه ، ويرجع هذا الاستبعاد إلى العداوات والاحقاد التي كانت بين الساميين والكنعانيين .
- ❖ والمهم أن الباحثين ارتضوا على جعل كلمة الساميين اسما لمن تجمعهم بسام بن نوح علاقات ثابتة ، بعيداً عن نظرة العهد القديم السياسية التي ترتب حسب العلاقة الحسنة أو السيئة ببني إسرائيل وهذا أمر موضوعي فقد اعتبر الكنعانيين من الساميين واعتبروا الليديين والعيلاميين من غير الساميين .
- ❖ كذلك ارتضى الباحثون مصطلح " اللغات السامية " اسماً لمجموعة اللغات التي يتكلمها هؤلاء الساميون .
- ❖ وهنا نتوقف قليلاً أمام قصة كشف العلاقة بين بعض اللغات السامية على أيدي بعض الباحثين القدامى :
- حيث لاحظوا التشابه الواضح بين العبرية والكنعانية في وجود علاقة مشتركة بين هاتين اللغتين ، كما لاحظوا كذلك منذ القرن " العاشر الميلادي " تشابهاً عن سابقه بين العبرية والعربية ، ولاحظوا علاقة بين اللغة الكنسية بالحبشية وبين العربية .
- ولم ينتصف القرن ١٧ حتى تكونت لدى المستشرقين فكرة واضحة عن صلة القرابة بين اللغات السامية ، قبل أن يهتدي " بوب " إلى صلة القرابة بين اللغات الهندية الأوروبية .
- ❖ ومع بداية القرن ١٩ كانت فكرة المستشرقين عن القرابة اللغوية بين لغات الفصيلة السامية قد اكتملت ، فقد اكتشف الخط المسماري في هذا القرن حيث دونت به الكتابة على الآثار الآشورية ، وعثروا على بعض الوثائق المدونة .
- باللغتين (٢) الكنعانية واليمنية القديمة فوضحت الفكرة عن هذه اللغات ، فعكفوا على دراستها

(١) وتشمل : الآشورية ، والبابلية ، والآرامية ، والفينيقية ، والعبرية ، والسريانية ، والحبشية السامية ، والعربية الجنوبية والشمالية ، انظر في فقه اللغة - د / محمد علام محمد - كلية اللغة العربية - أسيوط .

(٢) الكنعانية نسبة إلى كنعان أحد أولاد سام بن نوح ، وهي لغة القبائل النازحة من جنوب غرب جزيرة العرب ، مستوطنة فلسطين وسوريا وبعض جزر البحر المتوسط عام ٢٠٠٠ ق.م وكونت لها حضارات وممالك زاهرة ومن أشهرها مملكة قرطاجنة شمال أفريقيا .

ومقارنتها بعضها ببعض ، ومحاولة معرفتها تاريخياً لاكتشاف حركة الخط البياني في انشعابها بعضها من بعض .

” الموطن الأصلي للغة السامية ”

أما عن الموطن الأصلي للغة السامية ، فيصعب تحديده رغم اتفاق هذه اللغات في أصول الكلمات والأصوات والمخارج ، وقد قبلت آراء كثير لهؤلاء نذكر منها (١)

١- القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ، وهو أصح الآراء ، لخروج أمم كالأكاديين والآراميين والكنعانيين من هذه الجزيرة ، وغلبة صفات البداوة على هذه الأمم السامية .
وأول من نادى بهذا الرأي العالم الألماني (شريدر) عام ١٨٧٣م ، (شيرنجر) عام ١٨٧٥ م ، والهولندي (ديمويه) عام ١٨٨٢ م .

٢- أرض بابل حيث تقول التوراة إنها أقدم ناحية عمرها " نوح عليه السلام " .

٣- أرض أرمينية بالقرب من كردستان ، كما رآه العالم الفرنسي (دينان) .

٤- بلاد كنعان .

٥- بلاد الحبشة ، ومنها نزح الساميون للقسم الجنوبي ببلاد العرب عن طريق باب المندب ، ثم انتشروا من هذا الجزء في شبه الجزيرة العربية .

٦- بلاد شمال أفريقية : ومنها نزح الساميون إلى آسيا عن طرق برزخ السويس ، وقد اعتمد (نولدكه) على القرابة بين السامية ، والحامية .

هذه هي الأماكن المختارة وحولها اختلافات كثيرة في تحديد الموطن الأصلي للساميين فمثلاً : يرى إسرائيل ولفنسون : للتوراة نظرية خاصة عن أقدم ناحية عمرها بنو نوح وهي أرض بابل وهي المهد الأصلي للحضارة السامية و إلى هذا الرأي يذهب " جويدي " واستدل على دعواه بسرد قائمة من الكلمات المألوفة في اللغات السامية ، كجبل - خيمة - شيخ - صبي - أسود وادعى أن أول من استعمل هذه الكلمات هي أمم تلك المنطقة ثم أخذها عنهم جميع الساميين .

ويرى آخرون أن القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للساميين ومال إليه الكثيرون من قدامى المستشرقين ومحدثيهم مثل : رينان الفرنسي ، وبروكلمان الألماني ورأى د / على عبد الواحد وافي أن هذا الرأي هو أصح الآراء وأقواها سنداً وأكثرها اتفاقاً مع آثار هذه الأمم وحقائق التاريخ ، وقدم د / وافي مجموعة أدلة على صحة ما ذهب إليه ، ومنها أولاً : من القسم الجنوبي (بلاد اليمن ونجد والحجاز) خرجت موجات متلاحقة من الهجرات ، ومنها :

انظر : فقه اللغة - د / وافي - ص ٣٤ ، ودراسات في فقه اللغة - / صبحي الصالح - ص ٥٠ - وفي فقه اللغة د / ناجح

مبروك - ص ٨٤ ، ٨٥

(١) انظر : فقه اللغة - د / عبد الواحد وافي ص ٧-١١ - وفي فقه اللغة - د / ناجح مبروك ص ٧٩ وما بعدها .

- ١- في حوالي ٣٦٠٠ ق.م خرجت موجة من الساميين توجهت من هذا القسم إلى جنوب العراق ، وغزا السومريين وقضوا عليهم ، وأنشأوا مملكة (بابل) .
- ٢- وفي حوالي ٢٦٠٠ ق.م : نزح بعض الساميين إلى الشمال ، فتكونت من سلالتهم الشعوب
- ٣- الكنعانية ، ويظهر أنه قد تخلف منهم في شمال الحجاز قبائل ثمود المعروفة .
- ٤- وفي حوالي ١٦ ق.م : حدثت هجرة إلى العراق وتولى الساميون زمام الحكم في معظم بلاد العراق ، وأسسوا الدولة الكلدية الخامسة ومن ملوكها " حمورابي " .
- ٥- نزح أولاد إسماعيل (عليه السلام) " قبائل الإسماعيليين " من بلاد الحجاز إلى الشمال وذلك في القرن ١٦ ق.م ، ومنها قبائل " بنو قيدار " الذين انتقلوا من الحجاز إلى يثرب ومنها إلى مدائن صالح حيث تركوا بعض النقوش ثم هاجروا إلى خليج العقبة شمالاً ، ثم إلى وادي موسى ، وكذلك قبائل " بنو ثابت " " المعروفين " " بالنبط " الذين نزحوا مع بني قيدار من الحجاز إلى الشمال ، واستقروا في منطقة خليج العقبة ، وكونوا مملكة عظيمة ، وتركوا آثاراً كثيرة وظهر فيهم الخط المعروف بالخط النبطي .
- ٦- ومن هذا القسم نزحت القبائل المعدية (من الحجاز) إلى الشام في (أوائل التاريخ الميلادي ، كذلك بعض القبائل القحطانية (من اليمن) إلى الشمال والشرق ، فنزلت خزاعة بمكة ، والأوس والخزرج بيثرب ، وغسان بالشام ، ولخم بالعراق .
- ثانياً: دليل آخر يقدمه د / وافي يتلخص في دعوى أصبحت شائعة لدرجة أنها تكاد تنضم إلى جملة الحقائق والمسلمات ، وهذه الدعوى تقول :
- " إن العقلية السامية القديمة عقلية أساسها المحس المشاهد ، لا المعنوي المتخيل ... وعقلية هذا طابعها في التفكير وفي اختيار الكلمات لا يمكن أن تكون نشأتها إلا في ربوع الصحراء ، حيث ثبات وجمود الطبيعة " .
- ولعلنا نوافق على ما رآه د / وافي من أن الموطن الأصلي للساميين هو القسم الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، وذلك لوجود دليل الهجرات التاريخية من شبه الجزيرة العربية حيث استقر الساميون ، ومع ضيق الأرض ، وقلة مصادر الرزق كانت هجرتهم أملاً في إيجاد مقر لها ، فنزلوا بمواطن أخرى .
- ومع هذا الميل لهذا الرأي إلبا أننا لا نعتبر ميلنا أكثر من أنه افتراض لا يرقى بحال إلى مستوى الحقيقة ، ومع عجزنا عن القطع بالموطن الأم للساميين لما فيه من غموض ، فإن من الصعب الإجابة عن السؤال القائل : -
- هل هناك لغة سامية أم لا ؟
- وهل هناك لغة إنسانية أولى ؟
- يقرر (إسرائيل ولفنسون) أنه من العسير أن نتخيل ما كانت عليه اللغة السامية الأصلية ، ومقدار كلماتها ، بل من العبث إطالة البحث في أمر غامض مجهول نشأ ونما في عصور سبقت

العصور التاريخية : مما يجعل من الصعب الوصول إلى ماهية اللغة السامية الأم ، وأن الوسائل المتاحة حاليًا وأن الحفريات والنقوش تعجز عن تحقيق هذا الغرض ، ولن ما يعرف الآن أن هناك وشائج أخوية قوية تربط لغات هذه الفصيلة .

والمعروف لدينا أيضًا أن الفرع السامي يضم من اللغات الأفرو آسيوية عددًا من اللغات القديمة والحديثة التي لها دور واضح في الحضارة الإنسانية وتعد اللغات السامية من أقدم اللغات الإنسانية التي وصلت إلينا مدونة ، فاللغة الأكادية في أرض النهرين (العراق) قد دونت منذ ٢٥٠٠ ق.م ، وهي بهذا من أقدم اللغات المدونة ، ومن أهم اللغات السامية الحية العربية والأمهرية ، ومنها العبرية الحديثة واللهجات الآرامية الحديثة، والمهرية، والتجرية . وكل هذه اللغات قد نشأت عبر مراحل من التغير عن لغة واحدة مشتركة لم تصل إلينا نصوص منها ، وهي اللغة التي يسميها الباحثون باسم اللغة السامية الأولى .

” اللغات السامية وكيف انحدرت منها اللغة العربية (١) ”

أولاً: قسمت اللغات وهي كثيرة ومتعددة ومختلفة فيما بينها إلى فصائل وعائلات إما تقسيمًا مستندًا إلى ما جاء في التوراة (في سفر التكوين الإصحاح العاشر) من أن الطوفان عندما اجتاح سكان الأرض ، لم ينج منه سوى نوح وأولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ، وما حمل معه في سفينة من كل زوجين اثنين فنوح هو الأب الثاني بعد آدم (عليه السلام) ، للشعوب البشرية ، وعن ولاده الثلاثة تفرعت هذه الشعوب إلى سامية وحامية وآرية (يافثية) ، ومن الباحثين من صنفا اللغات البشرية ناظرًا إليها نظرة طبيعية ، فقسم الأجناس على أساس اللون والتركيب الجسمي ، وأخذ فريق آخر معيار التطور والارتقاء أساسًا للتقسيم ، فقسم اللغات الإنسانية إلى ثلاثة فصائل مختلفة في درجة رقيها وهي : اللغات غير المتصرفة أو العازلة (وتشمل الصينية والبرمانية والتبتية) ، واللغات اللصقية أو الوصلية (وتشمل التركية والمنغولية والمنشورية واليابانية والإغريقية والجرمانية والعربية والعبرية) .

(١) واختلف الباحثون في تعيين الوطن الأصلي للغة السامية ، فمنهم من رآه الجنوب الغربي من شبه الجزيرة (اليمن) ، لخصبه ولأن الهجرات القديمة كانت من الجزيرة العربية إلى البلاد الأخرى ، وقيل: جنوب العراق مستندًا إلى نص التوراة على أن أقدم ناحية عمرها بنو نوح هي أرض بابل ، ولخصوبة أرض العراق وقدم التاريخ ، وأن اللغات السامية تشترك في كثير من الألفاظ التي تتعلق بالعمران والحيوان والنبات ، وقيل: بلاد كنعان هي المهد الأصلي للأقوام السامية بدليل أن هذه الأقوام كانت منتشرة في البلاد السورية القديمة منذ أزمنة متوغلة في القدم ، وقيل : إن الساميين نشأوا في أرمينية ، لوجود جبال أرارات فيها ، وهو المكان الذي رست فيه سفينة نوح علي الأرجح ، وقيل : إن الحبشة أو شمال أفريقيا هي موطن المسلمين الأول وذلك لوجود صلات لغوية قوية بين اللغات السامية والحامية .

وكما اختلفوا في بيان مهد السامية الأول ، فقد اختلفوا في بيان (تعيين) اللغة السامية الأولى ، فقيل : العبرية هي اللغة السامية الأم ، بل هي أقدم لغة في العالم ، وقيل : الآشورية البابلية ، وقيل : اللغة العربية هي أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة .

أم اللغات السامية فتطلق على جملة اللغات التي شاعت في آسيا وأفريقية منذ أزمان بعيدة ، وبعضها حي لا يزال يتكلم به ملايين البشر ، ويحمل كنوزاً غنية من الثقافة والأدب ، وبعضها ميت عفت آثاره بذهاب الأيام ، وأول من أطلق هذه التسمية (اللغات السامية) هو الألماني (شلوزر) ، مستنداً إلى التقسيم الخاص بالتوراة .

فانياً : ومن المعروف أن اللغة السامية الأم ، انقسمت إلى مجموعتين من اللغات : وتشمل اللغة السامية الغربية الشمالية : اللغة الكنعانية ، والفينيقية ، والعبرية القديمة التي تعد أهم اللهجات الكنعانية وأوسعها انتشاراً ، وأكثرها استعمالاً في الدين والأدب والتاريخ والفلسفة والعلوم . والفينيقية سادت في المدن الساحلية لبلاد الشام ، مثل : جبيل وصور وصيدا ، وانتشر في قرطاجنة شمال أفريقيا من القرن الـ ٦ ق.م ، واستمرت هناك حتى الفتح الإسلامي . أما المؤابية فتنسب إلى مؤاب - شرق الأردن ، وترجع إلى منتصف القرن الـ ٩ ق.م . أما اللغة الآرامية فهي : إحدى اللغات السامية الغربية الشمالية ، ويمثلها الشعب الآرامي المهاجر من الجزيرة إلى أرض بابل و آشور وسوريا وفلسطين حوالي القرن الـ ١٥ ق.م . ثم انقسمت مواطن الآرامية إلى قسمين :

أحدهما في الشمال الغربي على حدود البلاد الكنعانية . والأخرى في الشرق على حدود باب و آشور بالعراق ونذكر منها : آرامية النقوش ، وآرامية الدولة ، وآرامية العهد القديم (اليهودية ، وتسمى هذه بالآرامية القديمة ، ثم الآرامية الشرقية (آرامية التلمود البابلي - وآرامية الصابئة أهل كتاب - واللغة السريانية) ، ثم الآرامية الغربية (النبطية ، والتدمرية ، والمسيحية ، ونصاري فلسطين) ، وقد اشتبكت الآرامية مع لغات سكان المناطق الأصلية وانتصرت عليها ، واستفادت من آدابها وثقافتها وصناعاتها .

واقتمت الآرامية على الأكادية وقضت عليها في منتصف القرن الـ ٤ ق.م ، كما اشتبكت مع لغات الكنعانيين ، وقضت على العبرية في القرن الـ ٤ ق.م ، وعلى الفينيقية في القرن الأول ق.م . وذلك دليل على قوة اللغة الآرامية .

ونظراً لاتساع المناطق التي استقرت فيها الآرامية فقد تفرعت إلى عدة لهجات ، منها :

١- من أهم اللهجات الشمالية الغربية : اللهجة التدمرية ، والنبطية (١) والآرامية الفلسطينية الحديثة .

(١) النبطية : لغة النبط ، أو الأنباط ، والنبط شعب عربي يعيش في أقصى شبه الجزيرة العربية ، وفي جنوب بادية الشام ، وقد عرفت لغتهم من خلال نقوش تمتد حتى أواخر القرن الثالث الميلادي ، ويذكر التاريخ دورهم في الحضارة العربية فهم أول شعب عربي كتب ، وإنهم طوروا الكتابة الفينيقية من حروف منفصلة إلى متصلة ، فقد أراحوا الكتاب من كتابة كل حرف على حده ، أو وضع خطوط رأسية ، أو علامات لتحديد حدود كل كلمة ، أو ترك مسافات بيضاء بين كل كلمة وأخرى ،

٢- من أهم اللهجات الشرقية : الآرامية اليهودية جنوب العراق في بابل ، وشمال العراق في حران ، وهي أهم مراكز الثقافة الآرامية .

وتشمل اللهجات الشرقية ، اللغة السريانية في شمال حران ، وعرفت عند العرب ب"الرها " وهي من أهم مراكز الثقافة المسيحية في القرن الثاني الميلادي .
والشرقية تضم اللغات البابلية الآشورية أو الأكادية أو المسمارية ، نسبة إلى بلاد أكاد ، أو لأنها كتبت بالخط المسماري ذي الزوايا ، ولغات غربية تفرعت منها الآرامية والكنعانية والعربية ، ثم انقسمت العربية إلى عربية جنوبية وعربية شمالية ، وانقسمت العربية الجنوبية إلى لغات : معينية ، وسبئية ، وحضرية ، وقتبانية ، وحبشية (١) .
فانياً : اللغة السامية الغربية الجنوبية : وتشمل :

اللغة العربية ، واليمانية القديمة وهي تشمل "المعينية ، والسبئية ، والحميرية " واللغات الحبشية السامية وتشمل : اللغة " الجعزية ، واللغة الأمهرية ، واللغة التيجرية ، واللغة الجوارجية ، واللغة الهررية (٢) وكلها في الحبشة وما تاخمها .
وانقسمت العربية الشمالية إلى : عربية بائدة ويتكلم بها عشائر عربية (شمال الحجاز) ، وتشمل اللغات اللحيانية والثمودية والصفوية (٣) ، وقد بادت هذه اللهجات قبل الإسلام .
وعربية باقية وتشمل : لغة تميم ، ولغة الحجاز ، ولا تزال تستخدم في كل الوطن العربي كلغة أدب وكتابة وتأليف ، وقد انتشرت هذه اللغة في الحجاز ونجد واليمن وفلسطين والعراق ولبنان وبلاد المغرب والسودان وبلاد الشام ومصر وغيرها .

❖ وكلمتا (عربي ، وأعرابي) نجد أن المعاجم تفرق بينهما فتخص الأولى بسكان المدن ، والثانية بسكان البادية ، وإن كان ذلك قد حدث في عصر قريب من الإسلام لكن قبل ذلك كانت كلمتا (

انظر : دراسات في اللغة العربية - د / فتحي محمد جمعة - ص ٣٢ ، ٣٣ نقلًا من كتاب اللغة العربية - د / محمود فهمي حجازي - ص ١٨١

(١) السبئية : هي لغة مملكة سبأ المذكورة في القرآن الكريم ، وهي أكثر لهجات اليمن انتشارًا ، والمعينية : هي لغة منطقة معين باليمن ، وترجع نقوشها إلى ما قبل الميلاد والقتبانية : نسبة إلى مملكة قتبان ، في وادي بيجان ، وحريب ، والحضرية : نسبة إلى حضرموت .

(٢) الجعزية : هي اللغة السامية في الحبشة ، ومن لهجاتها :

أ- الأمهرية : وهي اللغة الرسمية في الحبشة ، وهي الآن لغة الصحف ، والكتب المدرسية ، ويتكلم بها أكثر من ثلاثة مليون مواطن
ب- التجرينية : وتعد أقرب لغات الحبشة من لغة الجعر القديمة ، وقد أعلنت كلغة رسمية في دستور أريتريا ١٩٥٢ م ، ويتكلم بها نحو مليون

ج- اللغة الهررية ، ويتكلم بها سكان مدينة هرر ، وكلهم من المسلمين .

(٣) اللحيانية وهي : اللهجة المنسوبة إلى قبائل لحيان التي كانت تسكن منطقة العلا ، وشمال الحجاز ، ويرجع اكتشافها ما بين ٤٠٠ ، ٢٠٠ ق.م ، والصفوية هي اللهجة المنسوبة إلى منطقة الصفاة (شرقي دمشق والخط الصفوي شبيه بالخط الثمودي والثمودية : نسبة إلى قبائل ثمود وقد عثر على حوالي ألفي نقش من هذه اللهجة معظمها في الحجاز ونجد ، وعثر على بعضها في الصفاة (شرقي دمشق) وسيناء .

عَرَب ، أو عُرْب) تطلق على نوع خاص من القبائل بالبادية وهو نوع متنقل تبعًا لمساقط الغيث ومنابت الأعشاب والكلأ ، وأن لفظ (عربي) لم يكن يدل على لغة العرب ، بل على قبائل معينة ، ثم لما شاعت لغة شمال الجزيرة التي كان أغلب عناصرها من الأعراب سميت اللغة باسم هذه الطوائف البدوية في العصور القريبة من الإسلام .

وقيل : إن كلمة (عرب) كانت مستعملة في اللغة العربية القديمة لتدل على أهل العربية (أي الصحراء) ، في حين كان لأهل المدن أسماء أخرى ، كلمتا (عبري ، وعربي) مشتقتان من ثلاثي واحد (عَبَرَ) وتؤديان المعنى نفسه (١) .

ويرى المستشرق " إسرائيل ولفنسون " أن من الخطأ تقسيم اللهجات العربية إلى لهجات شمالية وأخرى جنوبية على أساس أنه ليس تقسيمًا جغرافيًا صحيحًا ولا تاريخيًا دقيقًا ، فلا فواصل ولا حدود تفصل شمال الجزيرة عن جنوبها ، ويرى من الأصوب تقسيم اللهجات العربية إلى بائدة وباقية ، ولكن المهم في النهاية أن نصل إلى نتيجة واحدة ، وهي أن اللهجات العربية القديمة انقسمت إلى عربية بائدة ، وهي ما تسمى " عربية النقوش " (٢) .

❖ هذا وقد دلت الدراسات التي أجريت على هذه النقوش أن هذه اللهجات أقرب لهجات العربية البائدة إلى العربية الفصحى ، وأن خطوطها قريبة من الخط المسند ، أو مشتقة منه ، وأن خطنا العربي الشمالي المستعمل حتى الآن مشتق من الخط النبطي ، كما دلت عليه نقوش " أم الجمال الأول (منتصف القرن ٣ م) والنمارة (٣٢٨ م) ، وزيد (٥١٢ م) ، وحران (٥٦٨ م) ، وأم الجمال الثاني (القرن السادس الميلادي) .

وتشترك اللغات السامية بعدة مميزات عن سائر مجموعات اللغات ومن أهمها : -
اعتمادها في الكتابة على الحروف الصامتة دون الصائتة ، وتشابهها في تكوين الاسم من حيث عدده ونوعه ، وفي تكوين الفعل من حيث زمنه وتجرده وزيادته وصحته وعلته ، كما ترجع معظم كلماتها إلى أصل ذي ثلاثة أحرف ، وتختص بالحرفين الحلقيين : الحاء والعين ، وبحروف الإطباق : الصاد والضاد والطاء والظاء ، وتكاد تخلوا من الأسماء المركبة تركيبًا مزجيًا إلا في ألفاظ العدد ، نحو : خمسة عشر ، بخلاف اللغات الآرية ، كذلك تتشابه في الضمائر وطريقة

(١) انظر : تاريخ اللغات السامية - لإسرائيل ولفنسون - ص ١٤٦ : ١٦٥ ، وفقه اللغة العربية وخصائصها - د / إميل بديع يعقوب - ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) حيث وصلتنا عن طريق نقوش عثر عليها ف شمال الحجاز ، وقد صبغت هذه اللهجات العربية الجنوبية البائدة بالحضارة الآرامية ، فاستعملت حرفًا قريبًا من الخط المسند حيث إن حروفه تستند إلى أعمدة ، ويمتاز بالتناسق الهندسي الجميل ، ودونت تاريخها بتاريخ بصري " يبدأ هذا التاريخ سنة ١٠٦ للميلاد ، وهو تاريخ دمار مملكة النبط وقد أرخ شاهد قبر " أمريء القيس بن عمرو " ، كما دونت بحرب النبط وحرب الفرس والروم ، كما ظهر من خلال النقوش أن لهجات العربية الشمالية البائدة تأثرت بالحضارة النبطية ، فكتبت بخط نبطي أو خط قريب منه ، ومن هذه اللهجات : الثمودية والصفوية واللحيانية ، وقد تحدثت عنها من قبل بإيجاز .

اتصالها بالأسماء والأفعال والحروف ، وفي صوغ الجمل وتركيبها ، وفي المشتقات ، وفي كثير من المفردات وبخاصة الدالة على أعضاء الجسم ، وصلة القرابة ، والعدد وبعض الأفعال ، وهذا يدل على وحدة أصلها .

ومع شدة القرابة بين اللغات السامية فإنها تختلف عن بعضها في بعض الأمور ومنها :

١- أن (أل) وهي أداة التعريف في العربية وتوضع في أول الاسم ، وفي العبرية (الهاء) في أول الاسم ، وفي الآرامية حرف (آ) في آخر الكلمة ، أما في اللغة الآشورية والحبشية فلا توجد أداة تعريف مطلقاً ، وفي السبئية حرف (النون) في آخر الكلمة .

٢- علامة الجمع في العربية (واو ، نون) لجمع المذكر السالم في حالة الرفع ، و(الياء ، والنون) لهذا الجمع في حالة النصب ، وتحذف هذه النون عند الإضافة ، كما توضع (الألف والتاء) لجمع المؤنث السالم ، أما علامة الجمع في العبرية فهي حرفاً (يم) للمذكر ، و (واو ، تاء) للمؤنث ، وفي الآرامية علامة الجمع حرف (ين) .

٣- أن الأصوات العربية ، ذ ، غ ، ظ ، ض ، لا وجود لها في العبرية ، والصوتين العبريين ، (ب - أ) ، (ف ، ڤ) لا وجود لهما في العربية ، ولا وجود لأصوات : (ع ، ق ، س) في البابلية ، وأغلب ما يأتي في العبرية بالسين يأتي في العربية والحبشية بالشين ، والعكس بالعكس (١)

لذا ذهبت بعض النظريات إلى أن اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية في اللغة السامية الأم ، وهي أرجح النظريات جميعاً لدى الباحثين ، لأنها احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأم أكثر مما احتفظت به الساميات الأخرى ، ففيها من الأصوات ما ليس في غيرها من اللغات السامية ، وفيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل ، وفيها صيغ كثيرة لجموع التكسير ، وغير ذلك من ظواهر لغوية ، يؤكد لنا الدارسون أنها كانت رائدة في السامية الأولى التي انحدرت منها كل اللغات السامية المعروفة لنا الآن (٢) .

(١) انظر : فقه اللغة - د / علي عبد الواحد وافي - ص ٢٢ .

(٢) انظر : في اللهجات العربية ، د / إبراهيم أنيس - ص ٣٣ - ٣٤ - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٢م .

الخصائص المشتركة في اللغة السامية ؟

تتفق السامية في مجموعة من الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، وأهم هذه الخصائص :

١ - وجود مجموعة أصوات الحلق : (العين والحاء والغين والحاء والهاء والهمزة) في اللغات السامية ، وهذه المجموعة بشكلها موجودة في اللغة العربية ، وقد حدثت بعض التغيرات أدت إلى تداخل بعض هذه الأصوات ، كما في العبرية حيث حل فيها صوت العين محل العين والغين ، أي أن الصوتين تحولوا في العبرية إلى صوت واحد ، بمعنى أن الكلمات التي توجد في العبرية يمكن أن يقابلها في العربية من الناحية الاشتقاقية كلمات تضم صوت العين أو صوت الغين .
كذلك وجود مجموعة أصوات الأطباق ، مثل : (القاف والضاد والطاء) وهذه الأصوات الحلقية . أو أصوات الأطباق كونها في اللغات السامية تكون وحدات صوتية متميزة ، فإذا وجدت في غير السامية فهي مجرد وسيلة نطقية لإبراز نطق الحركة .

٢ - وتتشترك هذه الأصوات (المطبقة) من الناحية النطقية في ارتفاع اللسان درجة أثناء النطق بها مع اتخاذه شكلاً مفعراً ، والأصوات المطبقة في العربية هي : (الصاد والطاء والضاد والطاء) وقد عرفت السامية الأم على نحو وجودها في العربية والعربية الجنوبية القديمة ، والعربية الشمالية ، أما في اللغات السامية الأخرى فتوجد أصوات الأطباق في عدد أقل ، فالعبرية تعرف الصاد في نطقه مقابلاً اشتقاقياً لثلاثة أصوات عربية هي : الصاد والضاد والطاء ، وبذلك حل صوت واحد في العبرية محل ثلاثة أصوات في العربية ، ونفس الوضع في الأكادية ، وتحولت الضاد في العربية إلى قاف ثم إلى عين في اللغة الآرامية ، ومع ذلك فإن أصوات الأطباق الموجودة في العربية تعد امتداداً مباشراً لأصوات الأطباق الموجودة في اللغة السامية الأولى ، وهذه التحولات تسمى ب (القوانين الصوتية) .

٣ - يقوم بناء الكلمة في اللغات السامية على أساس الصوامت والوزن ، فمثلاً : الكلمات : (فعل ، وفعل ، وفاعل) يرتبط معناها الأساسي بالفاء والعين واللام ، والكلمات : (كتب ومكتب وكتابة) يرتبط معناها بالكاف والطاء والباء ، والكلمات : (علم وعالم وعلم) يرتبط معناها بالعين واللام والميم ، أما الوزن : فاعل فيحدد المعنى الدقيق للكلمة حيث يدل على من قام بالفعل - وعليه نجد اتفاقاً بين الكلمات : كاتب ، وضارب ، وعامل ، لاتفاق وزنها .

وهكذا يقوم بناء الكلمة في اللغات السامية على أساسين متكاملين : المادة اللغوية والوزن .

٤ - كما تصنف الأسماء في اللغات السامية وفق معايير ثابتة كالعدد (أفراد وتثنوية وجمع) ، وكالحالة الإعرابية (رفع ونصب وجر) ، وكالجنس (مذكر ومؤنث) ، ولا يعكس هذا التقسيم في العربية مثلاً منطلقاً عاماً يسري على كل اللغات ، فهناك لغات تصف الأسماء إلى أربع

صيغ، فكل لغة نمطها الخاص بذلك^(١) .

٥ - كما تصنف اللغات السامية الفعل إلى : ماض ومضارع وأمر كما في العربية واللغات السامية القديمة في الشام والحبشة ، وفي الأكادية أكثر من ذلك... وإن كان للعربية القدرة على التعبير عن الزمن متنوعة ، فيعبر الفعل الماضي عن الحاضر أو المستقبل ، كجملة الشرط : إن كتب كتبت ، والمضارع يعبر بالصيغ المركبة عن الحدث الذي استمر في الماضي ، مثل كان يكتب .

٦ - تشترك اللغات السامية في عدد كبير من المفردات الأساسية المشتركة ويمكن تقسيم هذه المفردات إلى المجموعات التالية : -

- ألفاظ خاصة بجسم الإنسان (رأس - عين - يد - رجل - شعر) .
- ألفاظ خاصة بالنبات والحيوان (قمح - سنبله - كلب - ذئب) .
- بعض الأفعال الأساسية (ولد - مات - قام - زرع) .
- الأعداد الأساسية (من اثنين حتى عشرة) .
- حروف الجر الأساسية (من - على - في) .

وإن كانت تختلف في دلالتها من لغة وأخرى ، ولكن المقصود أن هذه الألفاظ ترجع إلى أصل اشتقاقي واحد في اللغة السامية الأولى .

فمثلاً : " هك " في العربية تدل على الذهاب إلى العالم الآخر ، وهالك في العبرية تدل على مطلق الذهاب : للمدرسة ، للعمل... إلخ ومع اختلاف الدلالة فإن كلا الفعلين يرجع إلى المادة السامية المشتركة (ه ل ك) ، ولكن ثمة خلافاً بين معانها في اللغتين .
وكلمة (لحم) في العربية تختلف عن معنى لحم في العبرية ، فهي في العبرية بمعنى الخبز ، رغم أن الاشتقاق من أصل واحد .

وفوق هذا فإنه من الممكن للباحث في اللغات السامية التعرف على المواد اللغوية المشتركة في كل هذه اللغات ، والتي قامت اللغات السامية المختلفة بالإفادة منها لتكوين كلماتها الكثيرة المتجددة .

إن المنهج المقارن يفترض أن الظواهر المشتركة في كل اللغات السامية أو في أكثر اللغات السامية ظواهر موروثية عن اللغة السامية الأولى ، يصدق هذا على الأصوات وعلى الأبنية الصرفية وعلى أبنية الجمل وعلى المفردات أيضاً ، فتلك الظواهر المشتركة ميراث سام قديم ، أضافت إليه كل لغة من اللغات السامية على مر الزمن .

وليس من المفيد كثرة الجدل حول مهد هذه اللغة السامية الأولى التي سبقت اللغات السامية المختلفة في الوجود ، وكذلك الآراء التي قيلت في ذلك والتي تتلخص في افتراض أن الساميين

(١) انظر : علم اللغة العربية - د / محمود فهمي حجازي - ص ١٤٤ - ط ١٩٩٢ - دار الثقافة بمصر .

عاشوا في اليمن ، أو في شمال جزيرة العرب ، أو في العراق ، أو في الحبشة ...
والغالب أن أبناء اللغة السامية الأولى كانوا في بيئة تعرف قدرًا من الزراعة ، وقدرًا من الرعي ،
لوجود قدر كبير من الألفاظ الزراعية والرعية المشتركة في اللغات السامية .
وإذا صح لنا أن نفترض كما ذكرت من قبل أن الجماعة اللغوية السامية الأولى قد عاشت في
شمال الجزيرة العربية وبادية الشام والعراق فإن الهجرات التي خرجت من مهد الساميين قد اتجهت
في موجات تاريخية متتالية إلى منطقة الوافدين وإلى أرض الشام وإلى اليمن والحبشة ، وفي هذه
المناطق تكونت اللغات السامية المختلفة ، ولا شك أن درجة التقارب بين اللغات السامية المختلفة
تجعلها تشكل فرعًا واحدًا في إطار الأسرة الأفرو آسيوية ، ومعنى هذا أن اللغة العربية أقرب إلى
اللغة العبرية أو اللغة الأكادية منها إلى لغة الهوسا .
فالعربية والعبرية والأكادية من الفرع السامي ، ولغة الهوسا من الفرع التشادي ، والفرع السامي
والفرع التشادي يدخلان في الأسرة الأفرو آسيوية .

ومما سبق نستخلص ما يلي :-

١- أن اللغات السامية قسمت في القرن ١٩ على أيدي اللغويين الأوربيين مجموعات أسرية
فهناك أسرة اللغات الهندية - الأوربية التي تضم عددًا كبيرًا من اللغات المنتشرة في منطقة
شاسعة من الهند وإيران إلى أوربا ... وهناك الأسرة السامية التي تنتمي إليها اللغة العربية ،
وأسرات لغات كثيرة أخرى ، ويقوم تصنيف هذه اللغات إلى أسرات على أساس أوجه الشبه بين
هذه اللغات من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية التي قد تتغير من لغة لأخرى تبعًا
لقانون التطور عن اللغة الأم التي انحدرت عنها ، وقد يسجل اللغويون هذا التغير في قوانين
تفسر التغير الصوتي ، وتسمى (القوانين الصوتية) كذلك بالنسبة للتغير الصرفي والدلالي ،
وهنا تكون المقارنة بين اللغات في الأسرة الواحدة موضوعًا من موضوعات البحث المقارن .
٢- أن تصنيف اللغات إلى أسرات يعني أن اللغات المندرجة في أسرة لغوية واحدة ترجع إلى
لغة واحدة وتفرعت هذه اللغات عن هذه اللغة باعتبارها الأصل ، فالعربية والآرامية - مثلًا -
لغتان ساميتان - أي أنهما من أصل واحد وأنهما تطورتا عن لغة واحدة هي اللغة السامية الأولى
، وإن كان وجود هذه اللغة في عصور مفرقة في القدم لتفسير انتماء اللغات العربية والآرامية
والحبشية إلخ إلى أسرة لغوية واحدة .

أما إذا ذكر الباحثون أن اللغتين العربية والفارسية من أصلين مختلفين فالعربية سامية ،
والفارسية هندية - أوربية فيعني أن كليهما تطورتا عن أصل مستقل و أنهما في ذلك من أسرتين
لغويتين مختلفتين ، وتكون الفارسية مع عدد من اللغات في الهند و أوربا أسرة لغوية كبيرة هي
الأسرة الهندية - الأوربية ، ومن هنا أدت الدراسة اللغوية المقارنة في القرن ال ١٩ إلى تصنيف
اللغات على أساس أوجه الشبه بينها ، وكلما زادت أوجه الشبه بين لغتين أو أكثر ، عدت هذه
اللغات الأكثر تشابهًا فرعًا لغويًا في إطار الأسرة اللغوية الواحدة - وبهذا المعنى يذكر الباحثون

العربية الشمالية والجنوبية ، واللغات السامية في الحبشة باعتبارها تكون الفرع الجنوبي من أسرة اللغات السامية ، لأن هذه اللغات أكثر تشابهاً ، وتتشرك في صفات أكثر من الصفات التي تشترك فيها مع باقي اللغات السامية ، وتنقسم الأسرة الهندية - الأوربية بدورها إلى عدة أفرع ، وقد أمكن عن طريق مقارنة اللغات الأقدم في كل فرع من أفرع هذه الأسرة إثبات أن هذه اللغات من أصل واحد هو اللغة الهندية - الأوربية الأولى ، وكانت مهمة البحث بعد ذلك بيان أوجه الاختلاف بين هذه اللغات وتفسير ذلك بقوانين تاريخية (١) .

٣- يقوم علم اللغة المقارن على دراسة مجموعة اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة ، وبحث هذه اللغات ، وهنا لا بد من ضرورة معرفة الباحث المقارن بكل اللغات موضع المقارنة ، فعليه أن يبحث بنية ومعجم هذه اللغات بهدف إيضاح العلاقات التاريخية التي تربط لغات الأسرة الواحدة ، وأن يفسر هذه العلاقات بقوانين ثابتة مطردة .

٤- أما عن العرب واللغات الأجنبية ، فإنه وفق إطار الحضارة العربية الإسلامية كان كثير من النحويين واللغويين يؤلفون بالعربية ، ويعرفون الفارسية أو التركية ، فسيبويه صاحب أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي كان يعرف الفارسية ، والسيرافي مؤلف أقدم شرح وصل إلينا على كتاب سيبويه نشأ أيضاً بيئة لغوية فارسية ، وأبو الفرج بن العبري (ت ٢٨٦ م) فقد كان عارف بالعبرية ، مؤلفاً بالسريانية والعربية ، وكان مؤرخاً ولغويًا اهتم بجهود النحاة العرب ، ودرس " المفصل " للزمخشري ، وألف في النحو السرياني على غرار المفصل ودرس النحاة اليهود في الأندلس الإسلامي النحو العربي ، وألفوا نحوًا للعبرية على أساس معرفتهم بمنهج التحليل النحوي عند العرب .

وإلى جانب هؤلاء جميعاً كان النحوي العربي " أثير الدين بن حيان " رائد التأليف في النحو التركي ، وربما كان أيضاً أول مؤلف في النحو الحبشي وفوق هذا فقد عرف ابن " حزم " القرابة اللغوية بين العربية والعبرية ، وللسريانية وشبه هذه القرابة بقرابة لهجات اللغة الواحدة . هكذا أتيح لبعض النحاة والمفكرين في الدولة الإسلامية أن يعرفوا لغات متشابهة ومن أصل واحد مثل العربية والعبرية والسريانية ، وأن يعرف بعضهم إلى جانب العربية لغات أخرى تختلف بنيتها عن بنية اللغات السامية مثل اللغة الفارسية وهي لغة هندية - أوربية ، واللغة التركية تنتمي إلى مجموعة لغوية أخرى .

٥- بدأت أقدم محاولات الباحثين الأوربيين للتعرف على علاقات القرابة بين اللغات في القرن ١٤ الميلادي ، حيث أدرك (دانتي) ١٢٦٥-١٣٢١ م ببحث عدد من المفردات في اللغات الأسبانية و البرفسالية والفرنسية والإيطالية أن هذه اللغات ترجع إلى أصل واحد ، ولم يجعلها متفرعة عن اللاتينية .

(١) انظر : علم اللغة العربية - د / محمود فهمي حجازي ص ١١٩ ، ١٢١ .

لاعتقاده أنها مصنوعة من جانب العلماء ليتعاملوا بها ، وأنها لم تكن لغة حية طبيعية في وقت من الأوقات .

وهنا نلاحظ أن (دانتي) صنف هذه اللغات في إطار واحد ، وأن البحث العلمي أثبت خطأ رأيه موضحًا أن اللغات الرومانية المختلفة إنما تطورت عن أصل واحد هو اللاتينية الشعبية في صورتها المنطوقة ، وهناك محاولات كثيرة تالية لتصنيف اللغات الأوروبية المختلفة في مجموعات ويرجع قصور هذه المحاولات إلى قيامها على دراسة المفردات ، ولم تقم على دراسة البنية الصوتية والصرفية والنحوية .

• ومن هذه المحاولات محاولة " سكا ليجر " (١٥٤٠ - ١٦٠٩ م) حيث صنف اللغات الأوروبية إلى أربع مجموعات رئيسية ، وأطلق على كل مجموعة مصطلح اللغة الأم ، وهي المجموعة الرومانية والجرمانية والسلافية ، ثم سبع مجموعات فرعية تدخل فيها باقي لغات القارة الأوروبية ، وتدخل الفنلندية والمجرية وهما من غير اللغات الهندية - الأوروبية في هذه المجموعة الفرعية . وهذا التقسيم وغيره حتى القرن ال ١٧ م لم يتجاوز مجرد التصنيف ، فلم يتجاوز تصنيف المفردات بعيدين عن البحث عن المراحل الأقدم لهذه اللغات من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية ، فكان عملهم مجرد ملاحظات جزئية كثيرة لم يخرجوا منها بقواعد عامة أو بقوانين توضح الفروق بين اللغات الأقدم والأحدث ، وتفسر مسار التغير اللغوي ، ولم يحاولوا استنتاج العلاقات القديمة ، ثم المفارقة في القدم بين هذه اللغات ، وظلوا مأسورين للفكرة الموروثة قديمًا (العبرية هي أصل لغات الأرض) - مما أعاق جهود هؤلاء العلماء في أن ينظروا للمراحل الموعلة في القدم في تاريخ اللغات ...

٦- تقدم علم اللغة المقارن في بداية القرن ال ١٩ بعد اكتشاف الأوربيين اللغة السنسكريتية (وهي لغة تراث الهند القديم) ، وما زال العلماء الهنود يقرأون نصوصها ويؤلفون بها ، ولاحظ اللغويون الأوربيون الشبه الواضح بينها وبين اللغات الأوروبية القديمة من الناحية الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، وقاموا باستنتاج القوانين التاريخية للتغير اللغوي . وكان العالم " شليجل " أول من طالب بدراسة البنية اللغوية للغة السنسكريتية باعتبارها منطلقًا للمقارنات اللغوية ، ورأى " فردريخ شليجل " أن اللغات الأوروبية القديمة كالإغريقية واللاتينية والجرمانية من أصل سنسكريتي .

هذا وقد أحرز علم اللغة المقارن بعد " شليجل " تقدمًا مطردًا حقق للبحث اللغوي درجة من الدقة والعلمية ، فألف " فرانتس بوب " - ١٨٣٣-١٨٥١م كتابًا جادًا في علم اللغة المقارن (النحو المقارن) محاولًا إعادة تكوين اللغة الهندية الأوروبية الأولى ، ومستخرجًا ملامحها اعتمادًا على مقارنة اللغات الأوروبية المختلفة والمضي من

المراحل القديمة إلى المراحل الأقدم في محاولة للتعرف على اللغة الأقدم التي خرجت عنها كل هذه اللغات ، وهو بهذا يختلف تمامًا عن " شيليجل " الذي يرى أن السنسكريتية هي أصل كل اللغات الهندية - الأوربية .

فدرس " بوب " ومن بعده اللهجات الحديثة في إطار علم اللغة المقارن لا باعتبارها هدفًا في ذاتها أو موضوعًا متكاملًا في ذاته ، بل باعتبارها أداة توضح جوانب من التاريخ اللغوي القديم ، أي أنها كانت وسيلة لفهم الماضي .

هذا وقد دخل علم اللغة المقارن منتصف القرن الـ ١٩ م مرحلة جديدة ، فقد اهتم البحث اللغوي بالعلمية وتطوير المناهج الدقيقة في التصنيف والتفسير واستخراج القوانين الدقيقة .

• ويعد كتاب " شلايشر " في النحو المقارن للغات الهندية - الأوربية من أهم الكتب التي جعلت من علم اللغة علمًا دقيقًا يحاول تفسير التغير بقوانين واضحة ، وكان لهذا الكتاب أثر مباشر في قيام مدرسة النحاة الشبان (١) ، وينتمي إليها أهم اللغويين الألمان في الثلث الأخير من القرن الـ ١٩ وأوائل القرن العشرين من أمثال : لسكين ، وأوستهوف " ولد ١٨٤٧م " وبروجمان " ولد ١٨٤٩م " في مجال علم اللغات الهندية الأوربية ، وتبعهم نولدكه ، وبروكلمان في مجال علم اللغات السامية .

الخصائص المميزة للغات السامية عن الهندأوربية

- ١ - معظم كلماتها ذات أصل واحد .
- ٢ - تختص بحروف لا توجد في غيرها من اللغات الأخرى ، كحرف الحاء - الخاء - الضاد - الطاء - والظاء .
- ٣ - الضمائر في اللغات السامية متصلة ومنفصلة ، بينما في اللغات الهندو-أوربية لا تعرف إلا المنفصلة .
- ٤ - يتميز المذكر من المؤنث في السامية بوجود التاء الفارقة - بينما اللغات الهندو - أوربية توجد أدوات تسبق الكلمة لتميز المؤنث من المذكر .
- ٥ - تتفق فيما بينها بعدد من الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية .
- ٦ - تتميز العربية بالقوة والإيجاز والدقة والمحافظة ، واتساع ثرواتها اللفظية ، وقواعدها الإعرابية الدقيقة ، واشتمالها على جميع الأصول السامية وزيادة .

(١) قامت هذه المدرسة على المنهج العلمي الدقيق مستفيدة من التقدم المنهجي في العلوم الطبيعية ، محاولة استخراج القوانين المفسرة للتغير اللغوي كالقوانين الصوتية ، وأفادت في مجال اللغات الشرقية أيضًا من الكشوف الأثرية الكثيرة التي ثمت في القرن الـ ١٩ ، وأمادت اللغويين عن لغات قديمة بائدة ، كما أفادت من حركة تحقيق النصوص القديمة في بحث اللغات ، وتوصلوا عن طريق هذا كله إلى منهج دقيق يهدف عن طريق القوانين التاريخية إلى تفسير العلاقات بين اللغات والمستويات اللغوية المختلفة القديمة والحديثة في إطار الأسرة اللغوية الواحدة ، وفي ظل هذه الظروف نشأ علم اللغة المقارن في اللغات الهندية الأوربية ، ثم في باقي الأسرات اللغوية .

٧- الجملة في اللغات السامية بسيطة التركيب بصفة عامة ، قصيرة متواصلة بواسطة حروف العطف غالبًا ، بخلاف اللغات الأوربية المعقدة التركيب التي تصل فيها الجملة الواحدة إلى خمسة أسطر .

٨- يراعى في الجر بالإضافة أن يكون المضاف خاليًا من أداة التعريف .

٩- يحدث في الغالب تأنيث الاسم والصفة في اللغة السامية بإضافة تاء إلى مذكر

١٠- تتميز في الجانب النحوي بظاهرة الإعراب ، والتمييز بين الجمل الفعلية والاسمية في التراكيب .

١١- طريقة الساميين في بناء الكلمات قياسية مطردة في معظمها .

١٢- اللغات السامية لا تعرف الكلمات المركبة أسماء وأفعالاً على نحو ما يعرف في مجموعة اللغات الأوربية .

١٣- تعرف اللغات السامية نوعًا خاصًا من الجمع وهو جمع التكسير الذي يصاغ بتغيير الاسم تغييرًا داخليًا - إما بزيادة الحروف ، نحو : جدار ، وجدران - و إما بنقص الحروف ، نحو : كتاب ، وكتب - وإما بتغيير الحركات وحدها ، نحو : أسد وأسد .

١٤- تشتمل اللغات السامية على مجموعتين صوتيتين لا وجود لنظيرهما في سائر اللغات ، وهما :

أ- الأصوات الحلقية ، نحو : الهمزة ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والحاء .

ب- أصوات الإطباق : وهي : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والقاف .

١٥- التغير الحركي في أول ، أو وسط الكلمة يؤدي إلى اختلافات هامة في المعنى ، نحو : كتب - كتب - كاتب - كاتب .. وهكذا

١٦- ثلاثية المواد اللغوية غالبًا ، مع أنها ثنائية غالبًا اللغات الهندو - أوربية .

فهرس الكتاب

رقم الصفحة	الموضوع
٩.٤	مقدمة
١٦ . ١٠	التمهيد: دراسة تمهيدية " القرآن الكريم واللغة العربية "
٥١ . ١٧	الفصل الأول: مفاهيم ومصطلحات (اللغة ، والمنهج ، والبحث)
٢٤	حاجة الإنسان إلى اللغة
٢٦	وظائف اللغة
٢٩	خصائص اللغة الإنسانية
٣٠	اللغة المنطوقة ، واللغة المكتوبة
٣١	اللغة والكلام
٣١	المراحل التي مرت بها نشأة اللغة
٣٣	نظريات نشأة اللغة الإنسانية
٣٣	نظرية التوقيف
٣٤	نظرية الإصلاح والمواضعة . محاكاة أصوات الطبيعة
٣٥	نظرية التنفيس عن النفس
٣٥	نظرية الاستعداد الفطري ، والملاحظة
٣٦	نظرية الأصوات التعجبية العاطفية، والاستجابة الصوتية للحركات ، والنظرية الاجتماعية ، والتطور اللغوي
٤٩	أهمية البحث
٥٢	الفصل الثاني : فقه اللغة . علم اللغة . جهود علماء العربية
٥٣	تمهيد
٦١	علم اللغة عند علماء اللغة والاجتماع
٦٣	الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة
٦٨	الفصل الثالث: علم اللغة (بحوثه ، وفروعه ، ومناهجه ، ومستوياته)
٦٩	تمهيد
٧٢	أهم البحوث اللغوية عند العرب

٧٩	أغراض علم اللغة
٧٩	علم اللغة بين العلوم الأخرى
٨٧	مناهج علم اللغة
٩٠	مستويات التحليل اللغوي
٩٢	أثر السنسكريتية في علم اللغة
١١٩ . ٩٤	الفصل الرابع: اللغة الإنسانية (تعددها ، وأقسامها ، وأسرها)
١٢٠	الفهرس

استقيتُ مادة هذه الدراسة من كتب أساتذتي وزملائي الأفاضل وعلماء اللغة الأجلاء عبر كتبهم وأبحاثهم المنشورة والمنتشرة خلال المكتبة الشاملة ، والمكتبات العامة والخاصة بالكليات والمعاهد والمدارس ، وعبر الشبكة العالمية العنكبوتية (النت) وما تقدمه من أصناف البحوث في كافة المجالات اللغوية .

” الحمد لله : انتهيتُ من تأليف كتاب (علم اللغة) ..

وأرجو الله أن ينفع به الأمة ...



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كلية : الآداب

قسم : اللغة العربية

السَّهْمُ الذَّهَبِيُّ
فِي الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ
"علم الاصوات"

تأليف

الدكتور / عاطف فكار

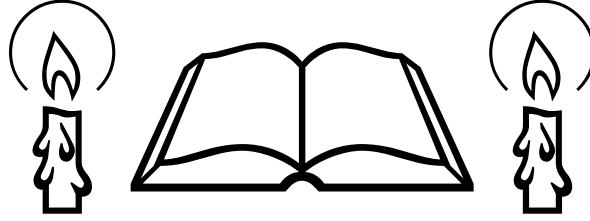
أستاذ النحو والصرف والعروض
رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بقنا
جامعة جنوب الوادي

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م / ٢٠٢٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27)
يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)

صدق الله العظيم [طه/٢٥: ٢٨]

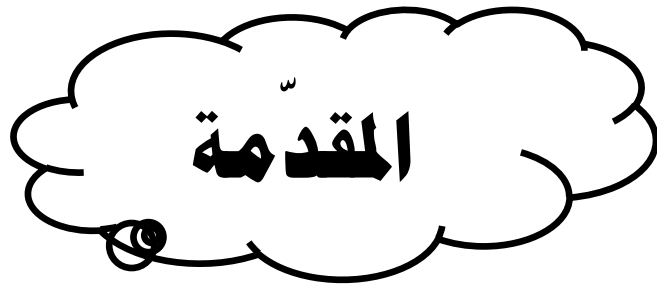


إهداء هذا الكتاب

إلى :

- والدي الطيب (رحمه الله).
- ووالدتي الصّابرة الغالية ، التي أعطتني ، ولم تأخذ مني .
- زوجتي الغالية ، وزهرات عمري أبنائي .
- والزملاء والزميلات .
- كلُّ مُحِبٍّ لِلغَتْنَا العَرَبِيَّةِ عَلَى امتداد الوطن العربي الكبير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الفصل الأول

علم الأصوات

• نشأة الدراسات الصوتية •

من الصعب تحديد بداية اهتمام الإنسان بدراسة اللغة الإنسانية، ووضع مناهجها ونظرياتها العلمية .

✽ ولم تأخذ الدراسات الصوتية صورتها وشكلها العملي ومنهجها الواضح إلا عند أمتين عظيمتين هما : الهنود والعرب ، حيث قال براجستراسر الألماني " لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم إلا قومان - العرب والهنود " (١)

✽ ويقول فيرث : " لقد شبَّ علم الأصوات ونما في أحضان لغتين مقدستين : العربية والسنسكريتية (٢) ، وبهاتين الشهادتين يكفي العرب فخراً في مجال الأصوات . هذا وقد أشار البعض إلى العثور على أقدم وثائق ذكرت التفكير " الدراسات الصوتية " ، وهي التي اكتشفت في أرض الرافدين بالعراق ، مكتوبة بالخط الأكادي المسماري (٣) في منتصف الألف الثالث ق . م ، وإدراك الأكاديين للفرق بين الأصوات (الحروف - الصامته) والحركات ، أي نظام المقاطع الصوتية في طريقة الكتابة ، وإن كانت لم تصل إلينا على درجة من الدقة واليقين أنها من ابتكار الأكاديين ، أم أنهم ورثوها عن السومريين ، مما يبطل دعوى أن اليونانيين القدماء هم أول من عرفوا نظام المقاطع الصوتية، وكتابة الحركات (٤) .

✽ علم الأصوات علم قديم ذو أصول بعيدة في أعماق التاريخ ، فقد عرفه الهنود والإغريق والرومان والعرب ، وأسهم كل منهم في الدراسات اللغوية إسهامات وجهود موفقة استرعت انتباه الدارسين المحدثين ، إسهامات علمية دقيقة قريبة مما يراه الدرس اللغوي الحديث ، وإن كانت اهتماماتهم لم تلق العناية الكافية في العصور المتتالية بعد ذلك ولم تحظ جهودهم في علم الأصوات بما حظيت به الدراسات اللغوية الأخرى كالتحقيق والصرف من دراسة شاملة وبحث مستفيض .

✽ يسود الاعتقاد بأن هذه الدراسات لم تدخل في إعداد البحوث الدقيقة إلا في أواخر القرن الماضي أو قبله بقليل ، وقد اتضحت معالمها وتفرّعت إلى فروع مختلفة يتناول كل فرع منها جانباً من جوانب اللغة فكان علم الأصوات واحداً من هذه الفروع .

(١) انظر : التطور النحوي للغة العربية لبراجستر اسر ص ١١ إخراج وتصحيح وتعليق د / رمضان عبد التواب - نشر مكتبة الخانجي - القاهرة - ومطبعة الرفاعي بالرياض .

(٢) انظر : البحث اللغوي عند العرب د / أحمد مختار عمر - ص ٨٤ - ص ١٩٧٩م - مطبعة عالم الكتب ، والصوت اللغوي عند القدماء والمحدثين د / عبد المنعم محمد عبد الغني النجار - ص ٣ - ط أولى ١٧ / ١٩٩٦م - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

(٣) الأكاديون : قوم من الساميين تغلبوا على السومريين ، وعاشوا في أرض العراق قديماً ، وينسبون إلى (كادا) شمال بابل ، واتخذوها عاصمة لهم ، ولغتهم تسمى الأكادية ، والسومريون : أمة سكنت العراق قديماً ، وعاشوا مع الأكاديين الوافدين إليهم فترة من الزمن تركوا فيها آثاراً لغوية بارزة .

(٤) تعتبر الكتابة الفينيقية السامية القديمة هي أصل الكتابات في العالم ، وعنها أخذ الإغريق والمصريون القدماء - نظام الكتابة الأبجدية ، كذلك الخط الفينيقي هو أصل الخطوط الكتابية المعروفة في لغات العالم .

❁ يرجع السر في إهمال الدراسات الصوتية العربية هذه الحقبة الطويلة من الزمن حتى العصور الحديثة التي تتسم بطابع البحث والتقصي في كل أنواع العلوم ودروب المعرفة في تلك العصور التي عرفت بازدهار العلوم الفكرية والإنسانية خاصة .

فيرجع سر إهمالها إلى : -

أ - الكسل الذهني الذي يصيب الناس من وقت إلى آخر ، جعلهم يحجمون عن الخوض في دقائق هذه الدراسة وتفصيلها .

ب- الاعتقاد السائد بسهولة إتقان العربية ، ومعرفة أسرارها في الصرف والنحو دون إتقان معرفة أصواتها ، وهذا اعتقاد فاسد وخاطيء يدل على الجهل بحقائق الأمور وطبائع الأشياء ، فالسيطرة على اللغة لا تتم بدون دراسة أصواتها كشأن علمي الصرف والنحو .

ج- انعدام وسائل الدراسة الدقيقة لهؤلاء العلماء آنذاك ، حيث اعتمدوا على الملاحظة الذاتية ، فجاءت نتائجهم متقاربة أو متشابهة ليس فيها جديد ، فكان ذلك داعياً لتراخيهم في الدراسة والاكتفاء بما أتى به الأقدمون .

د- قصد هذه الدراسة منذ (الخليل وسيبويه وبن جني) على نفر قليل ممن اشتغلوا بها من علماء الأداء القرآني " علماء التجويد " بمنهج معين وطريقة خاصة .

هـ- عدم إدراك الطبقات المثقفة لأهمية الدراسات الصوتية اللغوية ، و يُقصد بالمتقنين :

المشرفين على تعليم اللغات في مدارسنا ، وبعض وسائل الإعلام اللسانية كالتلفزيونية ، ورجال الجامعات ، حيث لم يدخلوه ضمن مناهج التعليم على اختلاف مراحلها ، وعدم القيام بدراسة مشكلات النطق والأداء اللغوي الصحيح ، وذلك لخوف هؤلاء المثقفين من أن الدراسة الصوتية في مناهج التعليم ترهق التلاميذ وتشغلهم بمشكلات ومصطلحات كثيرة معقدة ، وبخاصة في صورتها الحديثة .

والمعروف أن الأشياء الحديثة تخيف الناس دائماً فهم يظنون أن التلاميذ سوف يعانون من عبء ممثّل في تعلم علم صعب جديد ، ونوع من الكتابة الصوتية التي هي أحد أهداف الدراسات الصوتية .

❁ أمّا في العصور الحديثة فهناك ظروف أفضل ، وفرص أحسن من ذي قبل ، فقد وضعت في أيدي الدارسين أنماط دقيقة من وسائل البحث في الأصوات ، حتى أصبحت الدراسة الصوتية الحديثة تستعين الآن بعلم وظائف الأعضاء والتشريح والفيزياء وغيرها ، كما أصبحت تخضع للتجارب المعملية والتطبيقات العملية إضافةً للملاحظة الذاتية حتى أضحت هذه الدراسة تضارع غيرها من الدراسات اللغوية ، بل تفوقها الآن في الدقة والشمول والموضوعية .

❁ يقوم علم الأصوات بخدمة القرآن الكريم ، كما يخدم كلّ أساليب الكلام على كل المستويات ، لذا ينبغي أن نعني به أشدّ عناية وأن نتمكّن في أصوله ودقائقه ، وأن نتوسّع في ميادينه لتشمل كل العلوم اللسانية ، لتظلّ عربيتنا سليمة صحيحة ، ففيها صحة أداء القرآن وسلامته .

❁ والحقيقة أن هذا العلم كغيره من العلوم الصرفية والنحوية والبلاغية مما لاقت عناية العلماء المتأخرين ، وكلها علوم ابتدعت في الأصل من أجل المحافظة على كلام الله وتطورت في كنفه . ❁ بادرت كلية دار العلوم في الخمسينيات من هذا القرن بإدخال هذا العلم في مناهج التعليم ثم تبعتها بعض الكليات في مصر والعالم العربي .

ويرى أستاذي د / البدرابي زهران ^(١) : أن علم الأصوات علم أصيل في التراث العربي الإسلامي ، وإن كانت طريقة تناوله في الحديث متباعدة عمّا كان عليه السلف ، كما أن كتبه معدودة على الأصابع ، فقد تناوله د / إبراهيم أنيس : في الأصوات اللغوية و د / عبد الرحمن أيوب في أصوات اللغة و د / كمال بشر في علم اللغة العام - الأصوات ، و د / أحمد مختار عمر في دراسة الصوت اللغوي ، و د / سعد مصلوح في السّمع والكلام ، و د / تغريد السيد عنبر في دراسات صوتية .

❁ أي أن هؤلاء العلماء ركزوا في هذا المجال على خدمة العربية ودرسوا ظواهرها اللغوية ، و أقاموا من حولها مباحث دقيقة مخصصة للعلم ونفع العربية ، وهي الآن في حاجة إلى تطورها والاستفادة منها ، فما أحوج تراث الإنسانية إلى أن تحيي فيه جوانب هذه الدراسة ، وما أحوج اللغة العربية إلى أن تعاد إليها حيويتها التي كانت لها في عصور ازدهارها حيث كانت اللغة العربية أمنية كلّ ناطق ، وثقافة الإسلام قبله كل دارس ، ومن الثابت لدى المتخصصين أن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة السامية التي عرفت علم الأصوات ودرسته .

❁ هذا وقد كتب " جان كانتينو " في كتابه " علم الأصوات العربية " يقول : " لقد كان قدماء النحاة العرب أول علماء الأصوات في لغتهم ، فنحن نجد في كتاب سيبويه ترتيبًا صحيحًا للحروف حسب مخرجها ، وملاحظات هامة حول صفات الحروف ، وإدغام الحروف ، والحركات . وقد كانت هذه الدراسات الصوتية عند النحاة العرب دراسات وصفية تبين عمق المادة وسلامة المنهج " ^(٢) .

ويتضح من قوله مدى استفادة الأوربيين من جهود العلماء العرب ، وأن الأوربيين أفادوا بما سجّله " سيبويه " من خصائص اللهجات العربية القديمة ، وبما أمكن استخلاصه من عناصر عن كيفية النطق التقليدي بالعربية الفصحى ، ومما قدمه علماء العربية القدماء من جهود خلال دراساتهم التحليلية المقارنة التي تخدم العربية الفصحى لغة القرآن الكريم .

❁ هذا وقد كانت دراسات (فلين) الألماني wallin ، سنة ١٨٥٥م و (بروك) Bruck سنة ١٨٦٠م ، و (لبيسيوس) lepsiوس سنة ١٨٦١م دراسات من هذا القبيل ، وجمع (فولارس)

(١) انظر : في علم الأصوات اللغوية وعبوب النطق - د / البدرابي زهران " وبرتيل مالمبرج " في علم الأصوات - ترجمة أ. د : عبد الصبور شاهين .
(٢) المرجع السابق - ص ٥ .

vollers ١٨٩٢م ما ورد في كتب النحاة العرب من معلومات صوتية في كتاب : (نظام الأصوات العربية) ، و (علم الأصوات عند سيبويه) .

✽ وهكذا استفاد علماء الغرب من الدراسات الصوتية التي خلفها السلف من علمائنا في دراسة نظام التطور الصوتي استفادة تعدّ الأساس الذي أقيم عليه منهج الدراسات اللغوية المقارنة الحديث .

✽ ويقول " جان كانتينو " : إن تطور النظام الصوتي السّامي وهو تطور معروف بفضل استعمال الطريقة المقارنة مآله إلى النظام الصوتي العربي القديم ، أي أن نظام التطور السامي مستفاد من دراسة النظام الصوتي الذي خلفه علماء العربية القدماء الذي يعد إلى اليوم الطريق الصالح الوحيد لوصف النظام الصوتي للغة العربية الفصيحة (١) .

وقد تعمّقت أغوار الدراسات الصوتية عند الغربيين في هذا العصر بفضل ما أفادوه من علماء العربية القدماء ، كما برع فيها متخصصون في كل المجالات ، ويسمّى المتخصص في دراسة الخصائص الصوتية اللغوية :

عالم الأصوات phonetician ، وقد بلغت الدقّة بهذا العلم أنه يقدّم مكتشفاته في أرقام ومقاييس ورسوم وتسجيلات متخذًا طرائق البحث في العلوم الطبيعية منهجًا له ، كما أنه أمّد العلوم الأخرى بقدرات عبقرية هائلة .

✽ ويكفي علمائنا الأوائل استخلاصهم للوحدات الصوتية (من حروف وغيرها) للغة العربية وحصرها وتحديد خصائصها ، كما يكفيهم من جهد رائع في اكتشاف قوانين تفاعل أصوات العربية وتأثير بعضها في بعض ، وكفيهم أيضًا توصلهم إلى تطور الأصوات وتغيرها وعوامل هذه التغيرات ، وعلى علماء العربية اليوم مسابرة التطور ، وعلى الجهات المختصة تقديم العون بإنشاء الأقسام وعمل المعامل ، واستقدام الأجهزة الحديثة .

ولكنني أرى : أن علم الأصوات كغيره من العلوم ، فيه الكثير من الصعوبات والمشكلات التي تحتاج إلى النظر ، وكل ما يهمني أن نأخذ منه القدر الذي يجعل منه معينًا إيجابيًا في تعليم شيء كان لابد من تعليمه بأي حال من الأحوال ، ثم يدرس هذا القدر في مدارسنا وجامعاتنا ، نظريًا وعلميًا حتى نحصل على نطق أحسن وأسلم في وقت أقصر .

أولاً : الدراسات الصوتية عند العرب (٢)

تعد دراسة الأصوات اللغوية - عند اللغويين المحدثين أول خطوة في أي دراسة لغوية على الإطلاق ، لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة ، ونقصد بها الصوت الذي هو المادة الخام للكلام

(١) المرجع السابق ص ٦ .

(٢) المحافظة على القرآن الكريم ولغته كانت الدافع الحقيقي وراء اهتمام العرب بالدرس اللغوي الصوتي بدءًا من محاولات أبي الأسود الدؤلي (ت ٥٦٩) ، ثم الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه ، والتي كانت المرجع الأساسي للدارسين والباحثين من علماء اللغة العربية .

الإنساني ، بينما تناول لغويو العرب القدماء الدراسة الصوتية مختلطةً بغيرها من البحوث اللغوية الأخرى ، أي أنهم لم يعالجوا الأصوات علاجًا مستقلًا .

❖❖ **فالنحويون مثلاً :** قد خصصوا في كتبهم النحوية بعض الأبواب لهذه الدراسة ليصلوا من وراء دراستها إلى غيرها ، حيث جعلوها مدخلًا لدراسة ظاهرة الإدغام ، والحديث عن قواعد الإعلال والإبدال ، فتحدث (سيبويه) إمام النحاة عن ظاهرة الإدغام ، فقدم له بدراسة الأصوات ومخارجها وصفاتها ، وذلك في كتابه ، وتناول أبو العباس المبرد الكلام على الإدغام وقدم له كذلك بدراسة الأصوات ومخارجها وصفاتها وذلك في كتابه " المقتضب " ، كما مهد (الزجاج) لحديثه عن الإدغام ببعض الدراسات الصوتية في كتابه " الجمل " ، كما اختتم الإمام (الزمخشري) في الحديث عن الإدغام وقدم له بدراسة الأصوات وذلك في كتابه " المفصل " .

❖❖ **أما أصحاب المعجمات اللغوية :** -

فقد تناولوا بعض المشكلات الصوتية في ثنايا المادة اللغوية المجموعة ، أو في مقدمة معاجمهم وذلك كما فعل (الخليل بن أحمد الفراهيدي) في كتابه " العين " ، وابن دريد في كتابه " الجمهرة " ، والأزهري في كتابه " جمهرة اللغة " ، وابن منظور المصري في كتابه " لسان العرب " ، وغير ذلك من المعاجم التي اهتمت بالبحث الصوتي وبالحديث عن مخارج الحروف (الأصوات) وصفاتها وأقسامها .

❖❖ **أما علماء التجويد والقراءات :** -

فقد أسهموا بنصيب في ميدان الدراسة الصوتية لوجود العلاقة اللازمة بين قواعد التلاوة ومخارج وطريقة نطقها وصفاتها ، وذلك في كتاب ابن الجزري الشهير المسمى " بالنشر في القراءات العشر " ، وكتب تجويد أخرى تناولت مصطلحات صوتية كالإشمام والإشباع والمد ، والتفخيم ، والترقيق ، والإدغام ، وسأعرض -بمشيئة الله تعالى - لمعنى كل واحد منها في الفصول القادمة .

❖❖ **أما المؤلفون في إعجاز القرآن وعلوم البلاغة :** -

فقد أدلوا بدلوهم في الدراسة الصوتية ، فتناولوا بالحديث مخارج الحروف ، وتنافر الأصوات وتآلفها ، وذلك في رسالة " النكت في إعجاز القرآن " للعلامة علي بن عيسى الرماني ، وفي " إعجاز القرآن " لأبي بكر الباقلاني ، وكتاب " سر الفصاحة " لابن سنان الخفاجي ، فهؤلاء جميعًا قد ضمنوا كتبهم هذه كثيرًا من المباحث الصوتية الهامة .

❖❖ **أصحاب الموسوعات الأدبية :** -

فقد شاركوا في الحقل الصوتي وكانت لهم دراسات صوتية لا تقل أهمية عن غيرهم ، فقد عرض الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين " لعيوب النطق كاللثغة واللكنة ، وذكر أن حروف اللثغة هي :

(القاف ، والسَّين ، واللَّام ، والرَّاء) ، حيث تقلب القاف كَأفًا ، والسَّين ثَاءً ، واللَّام يَاءً ، والرَّاء يَاءً أو غِيَاءً ، ويَبِينُ أن اللكنة تبدو في كلام الأعجمي إذا نطق اللغة العربية ، كنطق السندي الجيم زايًا ، ونطق النبطي الزاي سيئًا ، والعين همزة كما تحدَّث الجاحظ أيضًا عن نسج الكلمة العربية وتنافر الحروف إلى غير ذلك من المشكلات الصوتية الهامة .

✽ هذا ويعدُّ بحق أن أول من أفرد البحث الصوتي بمؤلف مستقل ، ونظر إلى الدراسة الصوتية على أنها علمٌ قائم بذاته له أصوله ، هو الإمام اللغوي أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه " سر صناعة الإعراب " فتحدَّث فيه عن حروف المعجم وترتيبها ، ووصف مخارجها وصفًا تشريحيًا دقيقًا ، وبيَّن صفات الحروف ، وتقسيمها ، وأثر البيئة على الكلام وما تحدَّثه فيه من إعلال أو إبدال ، أو إدغام أو حذف ، وحديثه عن تأليف الكلام من أصوات متباعدة المخارج ، وهذه الريادة في هذه الدراسة تؤكد قول (ابن جني) :

" وما علمت أن أحدًا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ، ولا أشبعه هذا الإشباع " .

✽ كذلك كان (لابن سينا) الفيلسوف المشهور في رسالته المشهورة (أسباب حدوث الحرف) عمل كبير شمل الحديث عن المباحث الصوتية ومن أهمها :

سبب حدوث الصوت ، ومخارج الأصوات ، وتشريح الحنجرة واللسان ، وكيف يتم الصوت ، ووصف جهاز النطق ، وغيرها من البحوث الصوتية القيمة التي أضاءت للمحدثين الطريق نحو البحث الصوتي في العصر الحديث للاستفادة مما فيه من آلات وأجهزة للتصوير والتسجيل وتحليل الأصوات وغيرها من الإمكانيات الهائلة التي لم تتخَّ للقدمات .

وأكرر : هذا وقد شهد العالمان الكبيران (براجستراسر) الألماني و (فيرث) الإنجليزي ، لقدمات العرب بقولهم :

" لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان : العرب والهنود " ، وقولهم : " إن علم الأصوات قد نما وشبَّ في خدمة لغتين مقدستين هما : السنسكريتية والعربية " (١) .

✽✽ ثانيًا : الدراسات الصوتية عند غير العرب

✽ لحظة تاريخية : -

اهتم الأقدمون بعلم الأصوات اللغوية ، وإن لم يبلغوا ما بلغ المحدثون في أوروبا ، وأمريكا ، وروسيا من الدقة والضبط والإتقان ، ومما نلاحظه عن أصوات بعض اللغات ما يأتي : -

١ - وجود بعض الملاحظات الصوتية المتناثرة في محاورات أفلاطون والشعر والخطابة لأرسطو ، وكتاب تراكس ، وديونيزيوس ، وماوروس وفكتور يونس من النحويين .

✽ ويلاحظ على الآراء الصوتية لقدمات اليونان والرومان أنها تقوم على ملاحظات الآثار

السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن ، وإن نقصتها الدقة (١) .

(١) انظر : دراسات في علم اللغة - ص ٦٧ - قسم ثان - د / كمال بشر .

٢- يعدُّ الهنود أقدم الشعوب المعنوية بالدراسات الصوتية ، وكانت لهم فيها أعمال مفيدة ، اعتمد عليها الباحثون والعلماء في العصر الحديث في حقائقهم العلمية في هذا المجال (٢) ، فقد أفاد النحو الهندي الدراسات اللغوية أيما فائدة ،

وذلك في تطورها من وجوه كثيرة ، فكان عاملاً هاماً في إدراك العلاقة بين اللغات الهندية والإيرانية من جانب ، وبين بعض اللغات الأوربية كالإيونانية واللاتينية وفروعها من جانب آخر كما أدت دراساتهم إلى تطور فكرة (العائلات اللغوية) تطوراً كبيراً ، ولما كشفت السنسكريتية أطلع علماء الغرب على آثار نحوية وصوتية ودقيقة غاية الدقة لنحاة الهند ، وهذا يدل على مدى اهتمام الهنود بكتبهم المقدسة فدفعهم إلى وصف لغتهم وصفاً دقيقاً لا سيما من الناحية الصوتية.

٣- تناول اليونانيون قديماً الأصوات اللغوية في رسالة أرسطو (٣٢٢ ق.م) : حول الجملة الخبرية وتحدّث عن الأصوات المجهورة وغير المجهورة ، وقسّم الأصوات حسب مخرجها ، وحسب قوة اندفاع الهواء المصاحبة للحركات ، وكان لذلك أثره فيمن جاءوا بعدهم حاملين راية الحضارة .

ثم ظهر كتاب (تراكس) في القرن الثاني ق.م ، وقد قسّم فيه الحركات إلى طويلة ، وقصيرة ، ورخوة ، وشديدة ، وفي العصور الوسطى انتشر الحديث عن المقاطع الصوتية والحروف والكلمات والجمال ، والفونيم (الوحدة الصوتية) ، والألفون (الصورة الصوتية) .

❖ **وفي القرن السابع عشر الميلادي** برز العالمان اللغويان : والس (١٦٥٣م)

وهولدر (١٦٦٩م) الإنجليزان وتحدثاً عن نطق الأصوات ، ووصف أعضاء النطق .

أما في القرن الثامن عشر الميلادي فقد ظهر كتاب ل (هلفاج) الألماني (١٧٨١م) وكتاب ل (كمبلن) في علم الأصوات الآلي أو التجريبي .

(١) أما الآراء الصوتية لقدماء الهنود والعرب فقد أدرك هؤلاء الأسس الفسيولوجية في تكوين الأصوات المختلفة ، وملاحظتهما وثيقة ، وتقوم على فحص وظائف أعضاء النطق وعلى تحديد مواضعها بالنسبة لكل صوت ، وعلى درجة اتصالها .
(٢) يرجع حرص الهنود للاهتمام بالتفكير الصوتي إلى تقديسهم لكتابهم " الفيدا " وهو عندهم كاهتمام المسلمين بالقرآن الكريم ، لذا قدّم الهنود تحليلات وصفية دقيقة للغة الهندية وتراكيبها اللغوية تدل على دقة البحث وعمق الدراسة ، وذلك في نحو " بانيني " وهو من أكبر نحاة الهند وأحد نوابغها الوصفيين للغة الهندية ، هذا وقد قسّم الهنود الأصوات بحسب مخرجها وصفاتها ، والجهر والهمس والنبر والتنغيم وطول الصوت في لغتهم ، وكانت مناهجهم قائمة على أسس علمية سليمة قائمة على المشاهدة والاستقراء ، لذا فقد أفادت الدراسات الصوتية بما قدمته من مفاهيم وحقائق صوتية علماء الغرب فترجموا هذه الأعمال إلى الإنجليزية .

❖ **وفي القرن التاسع عشر الميلادي** حظيت الدراسة الصوتية باهتمام العلماء في مناهجهم و أبحاثهم للغة وفصائلها ، وتوصلوا إلى قوانين صوتية على قدر كبير من الأهمية ، ويرجع الفضل في ذلك للنحاة المحدثين أمثال : بوب ، ورامك ، والأب رسلو ، وسويت الإنجليزي ، وويتني الأمريكي .

❖ **وفي القرن العشرين ازداد الاهتمام بهذه الدراسة** ، وتشعبت فروعها ، وقدّمت خدماتها للعلوم الأخرى ، كهندسة الاتصالات ، والطب في علاج حالات الصم والبكم ، وفي هذا القرن ميّز العلماء بين نوعين من الدراسة (الفونولوجي) (علم الأصوات الوظيفي) ، والفونتيكس (علم الأصوات العام) .

❖ **ومن خلال دراستي للأصوات اللغوية عند العرب وغيرهم لا حظ العلماء ما يلي^(١)**

-:

- ١ - إدراك اليونان والرومان والهنود والعرب تصنيف الأصوات إلى صامتة وصائتة وعرفوا الصّامت بأنه : الصوت الذي لا ينطق وحده دون صائت، فهو غير مستقل ، كما عرفوا الصائت بأنه الصوت الذي يمكن نطقه وحده ، فهو مستقل .
وإن كان هذا التقسيم لا يصلح أساسًا عامًا تصنّف بمقتضاه أصوات اللغة جميعًا ، لاختلاف الصوامت في اللغات .
- ٢ - أن الهنود والعرب فطنوا إلى تقسيم أصوات لغتهم إلى أصوات مهموسة ، وأصوات مجهورة ، بينما لم يفتن إلى ذلك اليونانيون .
- ٣ - أن النحو الهندي يختلف عن النحو اليوناني في بنائه على أسس منطقية لاعتماده عند دراسته للغة السنسكريتية على الدراسة الوصفية في ذاتها لذاتها ، لذا كان دقيقًا .

(١) من الأصوات ما يكون الوتران الصوتيان في نطقه - متباعدين - بحيث إن الهواء الخارج من الرئتين لا يتذبذب ، أو يتذبذب تذبذبًا ضئيلاً ، فلا يحدث نغمة موسيقية ، وذلك كصوت التاء والتاء والسين ، وسماه العرب (مهموسًا) ، بينما يحدث في نطق أصوات أخرى أن يتقارب الوتران الصوتيان بحيث يذبذب بهما الهواء الخارج من الرئتين محدثًا بذلك نغمة موسيقية ، وذلك كالدال ، والذال ، والزاي وقد سماه العرب (مجهورًا) انظر : علم اللغة د / محمود السعرا - ص ٨٧ وما بعدها .

٤ - أن العرب تأثروا بالهنود في أصول تصنيف الأصوات ووصفها ، فقد ظهرت عند العرب دفعة واحدة ، وعند سيبويه كاملة ، والبحور الشعرية عند الخليل شبيهة بما عند الهنود ، وذلك على سبيل الأخذ أو التأثر .

٥ - هناك تشابه كبير بين تصنيف الهنود لأصوات السنسكريتية حسب المخارج ، وبين تصنيف العرب لأصوات العربية على هذا الأساس ، والتصنيف الهندي أقدم كثيراً من التصنيف العربي ، كما أن هناك تشابهاً نجده في ترتيب الهنود للأصوات من أقصاها في الحلق إلى الشفتين ، ثم يذكرون الأصوات الأنفية ، وهذا الترتيب نجده عند الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وعند سيبويه ، وصار عليه المؤلفون العرب من بعد .

٦ - أثر عن اليونان والرومان والهنود والعرب تصنيفهم لأصوات لغتهم حسب طريقة النطق ، وهذا التصنيف يرجع إلى سيبويه ، ويقوم على وضع الأصوات العربية على أساسه في ثلاث طبقات هي :

❁ الشديدة : (الهمزة - القاف - الكاف - الجيم - الطاء - التاء - الدال - الباء) .

❁ والرخوة : (الهاء - الحاء - والغين - والحاء - والشين - الصاد - والضاد - والزاي - والسين - والظاء - والناء - الذال - الفاء) .

❁ والأصوات ما بين الشدة والرخوة ، وتضم : (الهمزة ، واللام ، والميم ، والراء ، والواو ، والألف) " كألف ما " .

٧ - كذلك كان للرومان دراسات في اللغة اللاتينية على نهج اليونانيين ، ولكنهم لم يبلغوا شأوهم أو شأو الهنود في دراساتهم اللغوية .

❁ ❁ علم الأصوات في العصر الحاضر (١) .

أدرك هؤلاء العلماء أهمية هذا العلم والدور الذي يحققه على كل مستوى من مستويات التحليل اللغوي ، لذا لا يكاد يوجد كتاب عند الغربيين من كتب علم اللغة الحديث إلا ويفرد مباحث متعددة لدراسة الأصوات اللغوية عند الإنسان وما يتصل بها ، كما خصصوا كتباً مستقلة لهذا العلم .

(١) انظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي - د / محمود السعران - ص ٩٨ : ١٠٢ - دار الفكر .

❁ الدراسة الصوتية ممهدة للدراسة الصرفية والنحوية ، وهي عنصر من عناصر دراسة المعنى اللغوي ، وذات دور هام في العمل المعجمي وتحديد طرق المفردات من حيث كيفية نطقها .
❁ إذن لا تتم دراسة الصيغ الصرفية في صورتها المثلى إلا باعتمادها على الدراسة الصوتية ، حيث تبني مباحث الصّف في أساسها على ما يقرّره علم الأصوات من حقائق ، وما يرسمه من حدود ، ومثل ذلك علم النحو وعلم الدلالة والمفردات والمعجم ، حيث التنعيم والنبر والوقف والسكّنة (الوصلة) وكلها دراسة نحوية دلالية تتحدّد في ضوئها مكونات الكلمة والجملّة الصوتية من خلال تحليلها النحوي .

❁ حظى هذا العلم في معظم العصور وعند كلّ الأمم باهتمام الباحثين ، فقد عرف علماء اليونان المباحث الصوتية فاهتموا بالظواهر الصوتية من ناحية السّماع ، وإن لم يعنوا بمخارج الأصوات وأعضاء النطق ، كما تناولها الهنود للاهتمام بترتيل طقوسهم الدينية المعروفة باسم " الفيدا " واهتموا بما صنعه اليونان ، وأضافوا إليه دراسات تناولت مخارج الحروف .

❁ أمّا علماء المسلمين فقد تناولوا هذه الدراسات كجزء من النحو ، فبنوا عليها كثيرًا من أصول النحو ، فقد كان علم الأصوات في بدايته جزء من أجزاء النحو ، وقد نمت الدراسات النحوية في أحضان القراءات القرآنية ، حيث كان اللغويون من القُرّاء فزادوا فيها تفصيلات كثيرة استقوها من الدراسات القرآنية .

❁ وهكذا حظيت الدراسات الصوتية بعناية العلماء عبر التاريخ ، فتراكس thrax اليوناني ، وبانيني panini ، الهندي ، والخليل بن أحمد الفراهيدي ، وغيره من علماء العربية لهم إضافتهم التي أفادت المحدثين في هذه الدراسات ، أي أن محاور الدراسات الصوتية لدى المحدثين لا تخرج في عمومها عمّا دارت عليه عند علماء العربية القدماء .

❁❁ وإليك عزيزي الطالب نَقْدَمُ وظائف علم الأصوات اللغوية phonetics

١ - يصدر الصوت عن جهاز النطق الإنساني هذا الجهاز الذي يشبه الآلة الموسيقية المرنة ، الغنية بالقدرة على إخراج أنواع متعددة من الأصوات ، والكلام لا يتحقق إلا بوجود متكلم وسماع ، فهو عبارة عن سلسلة متصلة من الأصوات .

❁ ودراسة الصوت الإنساني أمر صعب في تحليله ومعرفة صفاته وعناصره وتحديدها فهو من أهم موضوعات علم الأصوات اللغوية ، حيث يدرس هذا العلم حركات المتكلم التي تحدث الصوت ، أو إحداث المتكلم للصوت وهو جانب الدراسة الصوتية الفسيولوجية ، ثم يدرس انتقال الصوت في الهواء أو الموجات الصوتية وهو جانب الدراسة الصوتية الفيزيائية ، أو بدراسة الموجات الصوتية اللغوية ، ويدرس كذلك استقبال أذن السّامع للصوت ، أو الدور الذي تقوم به طبلة أذن السّامع لاستقبال الصوت .

❁ هذا وقد اعتنى علماء الأصوات اللغوية بدراسة إحداث المتكلم للأصوات وبذلوا جهودهم في دراسة انتقال الأصوات في الهواء ولا تزال الجهود قاصرة في دراسة تلقي أذن السّامع للأصوات .

٢- فعلم الأصوات اللغوية يهتم بدراسة (الكلام) الصوت الحي للإنسان ، ويقوم بتحليل السلسلة الكلامية إلى عناصرها وتكوينها وانتقالها في الهواء وخصائصها المميزة لها ، وتصنيفها ، لذا يعد هذا العلم ذا أهمية كبيرة لسائر فروع علم اللغة ، والحجر الأساسي لأي دراسة لغوية أخرى : كالنحو ، أو النحو المقارن ، أو دراسة المعنى .

٣- يستمد هذا العلم معلوماته من علوم أخرى ، كعلم التشريح في وصف الأعضاء ، والعلاقات والارتباطات المختلفة بين الأعضاء ، كما يستخدم علمي الطبيعة (الفيزيكا ، والفيزياء) في دراسة انتقال الأصوات في الهواء .

٤- يعدّ هذا العلم حجر الأساس للدراسات اللغوية وتقويم تراثنا العربي ، وإصلاح الكتابة العربية ، ووضع العروض والنحو والصرف والمعاجم ، وتدوين القراءات القرآنية .

❁ وعن طريقه تتم دراسة اللغات أو اللهجات دراسة علمية دقيقة مبنية على وصف أصواتها وأنظمتها الصوتية ، لأن دراسة نظم الكلام إذا لم يراع فيها دراسة الصور التنغيمية ، والدراسة الدلالية (المعنى) تكون قاصرةً وغير مثمرة .

٥- لا يقتصر هذا العلم على خدمة الدراسات اللغوية الوصفية (وصف الأصوات والأنظمة الصوتية الخاصة بلغة ما في فترة معينة من تاريخها) ، بل يخدم هذا العلم الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة بين أصوات لغة في فترة ثم مقارنتها بفترة أخرى ، أو هذه اللغة ولغة أخرى

في عصر خاص من عصور تطورها ، ممّا يفيدنا في معرفة التغيرات التي تطرأ على أصوات معينة في لغات متقاربة .

٦- كما يدرس هذا العلم الأصوات اللغوية البسيطة كوحدات صوتية مجردة عن السياق الصوتي الذي ترد فيه ، فيقوم بدراسة الجهاز النطقي عند الإنسان ويسجل الحركات العضوية التي يقوم بها الجهاز أثناء النطق ، وكذلك الآثار السمعية المصاحبة لهذه الحركات ، إذن فهو البحث الفيزيائي الفسيولوجي للجانب المادي من أصوات اللغة دون ربطها بوظيفتها اللغوية ، ويعد بذلك أحد العلوم الطبيعية وليس من علم اللغة (١) .

٧- علم الأصوات يقرر الحقائق اللغوية ، ووضع الأبجديات الدقيقة للغات ، كذلك لا غنى للمعجم عن الاستعانة بالدراسة الصوتية اللغوية في بيان معاني المفردات ، وتمثيل نطق هذه المفردات عن طريق الرموز الكتابية .

٨- يعين هذا العلم في إجادة نطق اللغة الأصلية ، وفي تعلم نطق اللغات الأجنبية ، والتحليل العلمي للغة باعتبار أن الأصوات هي اللبنة التي تشكل اللغة ، وهي المادة الخام التي تبني منها الكلمات والعبارات ، واللغة سلسلة من الأصوات المتتابعة (٢) .

٩- يتدخل علم الأصوات في علاج عيوب النطق أو الكلام ، وكذلك عيوب السمع .
١٠- يلجأ علم الأصوات إلى الدراسة التجريبية أو الآلية ، وكذلك الكتابة الصوتية ، وهما من الوسائل الضرورية لهذا العلم .

أولاً : الدراسات الصوتية الآلية :

✽ الدراسة الصوتية التجريبية أو الآلية هي فرع من فروع علم الأصوات اللغوية ، فنلاحظ عضو النطق وهو يقوم بوظيفته عن طريق المجاهر ، أو التصوير بأشعة إكس (٣) ونحددها تحديداً دقيقاً مضبوطاً ، كما أننا نستطيع تسجيل الصوت تسجيلاً آلياً ، وتفسيره وتحليله .

✽ الوسائل الآلية (لعلم الأصوات اللغوية) :

(١) انظر : علم اللغة بين التراث والمعاصرة - د / عاطف مذكور - ص ١٠١ - دار الثقافة - القاهرة ١٩٨٧م.
(٢) انظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي - ص ١٢٣ : ١٢٩ ، ودراسة الصوت اللغوي - د / أحمد مختار عمر - ص ٤٠١ : ٤٠٩ ، وعلم اللغة القسم الثاني - الأصوات - د / كمال بشر - ص ١٦٧ : ١٩٨ - ط ١٩٨٠م.
(٣) عن طريق التصوير بأشعة إكس نرى شكل الفراغ الحلقي عند نطق الحروف كالحاء والعين وهما حلقيان كما أنه يستعان به للتصوير مواضع اللسان عند نطق الصوائت خاصة - وهي طريقة قاصرة ونتائجها غير دقيقة .

- ١ - يمكننا بأبسط الوسائل الآلية (مرآة) تسمى مجهر الحنجرة توضع داخل الفم ، أن نرى الوترين الصوتيين في حالة إخراج النفس ، وذلك عندما يكونان متباعدين فتنتطق الأصوات المهموسة كالسين ، وعندما يكونان متقاربين بدرجة تسمح للهواء المار بينهما أن ينغم ، فتنتطق الأصوات المجهورة ، كالزاي ، وهكذا ندرك الفارق بين حرفي السين والزاي .
- ٢ - يمكن معرفة الصوامت المجهورة ، والصوائت المهموسة عن طريق آلة (تسون بيرجت) لإثبات الجهر ، ومكونة من كرة معدنية وصفحة معدنية ، حيث تتحرك الأولى على الثانية بسرعة عند نطق الصوت المجهور ، بينما لا تتحرك في حالة نطق المهموس .
- ❖ وأياً ما كان فمن السهل إدراك الجهر بوضع الإصبع على (تفاحة آدم) فتحس بشيء من الذبذبة في حالة نطق المجهور مثل (V) ، ولا تحس بشيء من ذلك في حالة نطق المهموس مثل (F) .
- ٣ - كذلك من الآلات المستخدمة آلة (شيندر ، وهوير) الألمانين ، وهي توضح بعض خواص الأصوات الصائتة ، وتتكون من : فراغ رنان ، وكابس به مقبض ، يتوقف نوع الصوت على طول جزء الفراغ الرنان الواقع خلف الكابس ، فكلما تغير وضع الكابس حصلنا على أصوات متميزة الأنواع .
- ❖ هذه الآلات تعتبر أولية وهي أصلح للتدريس والبيان والتوضيح لا للبحث والدراسة .
- ٤ - طريقة الأحنك الصناعية أو (البلاتوجرافيا) هي أهم ما يعتمد عليه علم الأصوات في الدرس وما قد يكمل ملاحظة الأذن والعين (١) .
- ٥ - من الوسائل الآلية التي يصطنعها علم الأصوات اللغوية ما عرف ب(الكيمو جراف) (٢) ❖ ومن الملاحظ أن الأصوات المجهورة ، كالسين يظهرها الكيموجراف بصورة ذبذبات سريعة ، أما المهموسة كالحاء فيظهرها بصورة خطوط شديدة التذبذب .

(١) ويصنع الحنك الصناعي لدى طبيب الأسنان من المعدن أو المطاط ويكون رقيقاً مطابقاً للحم حتى يلزم مكانه ويسهل استعماله وإزالته ، ويصنع من مادة سوداء اللون أو يسود أسفله بصيغ أسود ، ولكن طريقة الحنك الصناعي لا تصلح لنتطق جميع الأصوات ، فهناك أصوات حلقية كالعين والحاء ، لا علاقة للسان في تكوينها ، فوظيفة الأحنك الصناعية قاصرة على بعض الأصوات ، فعند استخدامها يختار أصوات معينة وكلمات خاصة .

انظر : علم اللغة - د / محمود السعرا - ص ١٠٧ وما بعدها .

(٢) (الكيمو جراف) وهو عبارة عن أسطوانة تدور حول سن تتحرك تبعاً لطبيعة ما يتعلق به وتسجل أثر النطق في خطوط متموجة أو متذبذبة ، تنقل وتصور وتحلل صوتياً ، فالغرض من هذه الآلة تدوين حركات أعضاء النطق ، ومجهوداتها ، وصفات بعض الأصوات .

- ٦- من الوسائل الحديثة التي يستعين بها علم الأصوات اللغوية (الأوسيلوجراف) وهو يعطي آثارًا كتابية تمثل السلسلة الكلامية المراد اختبارها بكل عناصرها - مع أن تقسيم علماء اللغة للسلسلة الكلامية إلى عناصر بقصد الدراسة تقسيم لا يؤيده الواقع الفسيولوجي .
- ٧- ومن الطبيعي استعانة الدراسة الصوتية اللغوية بآلات تسجيل الأصوات حتى يسهل تسجيل نتائج الدراسة والاحتفاظ بها للاستعانة بها في التدريس وعند المقارنة ، كذلك تسجل بها نماذج مختلفة من الكلام في بيانات مختلفة بطريقة علمية دقيقة لأي لغة من اللغات .
- ٨- تقوم الدراسة الصوتية الآلية بتكبير الحفائر الموجودة على أسطوانات الجراموفون - والتي تسجل عليها نطق أصوات معينة - بألة خاصة ، وذلك لأهميتها لعلم الأصوات اللغوية ، ولكن ما زالت نتائجها غير دقيقة وغير ملموسة .
- ٩- تزود معامل دراسة الأصوات اللغوية بمكتبة من أسطوانات الدراسات الصوتية السجّل عليها نتائج دراسات صوتية معينة ، ودراسات خاصة بأصوات لغات ولهجات كثيرة متنوعة ، وقرارات لنصوص مختارة ، ونصوص من الأدب الكلاسيكي ، ومن اللهجة العامية ، وعلى كل أسطوانة (دليل) مدون فيه بالحروف الصوتية النص المسجل على الأسطوانة ، ويجب إطالة الاستماع إلى هذه الأسطوانة لتكوين الأذن المرهفة المهمة للثقافة الصوتية ، كما يمكن استخدامها في تعليم الناشئة نطق اللغات الأجنبية .
- ١٠- تزود معامل دراسة الأصوات اللغوية بعدد كبير من النماذج والخرائط ، كنماذج أعضاء النطق ، ونموذج الحنجرة بأوضاعها عند نطقها لأصوات مختلفة ونموذجًا للأذن ، وخرائط أعضاء النطق عند إحداث بعض الأصوات ، وكل هذه النماذج والخرائط ذات أهمية في تدريس علم الأصوات اللغوية .
- ❖ وبعد أن ذكرت الآلات والأجهزة المستخدمة في البحث أو للتدريس في علم الأصوات اللغوية ، فإن الأذن السليمة المرهفة المدربة هي المعتمد الأساسي لدارسي الأصوات ، ثم يأتي الحديث عن وسيلة ضرورية أخرى من وسائل هذا العلم وهي الكتابة الصوتية .

ثانياً : الكتابة الصوتية (١)

يحتاج علم الأصوات إلى لغوي ينتقل بنفسه مع التجربة للمنطقة التي يدرس لغتها ، وفي كل فهو في حاجة أكيدة إلى وسيلة آمنة ودقيقة ليسجل عليها مادته المجموعة لتكون تحت يده متى شاء ، فهو قد يستعمل أسطوانة أو شريط تسجيل ، أو الرموز الكتابية .

✽ وقد أشار أستاذي الدكتور / البدرابي زهران إلى ذلك فقال " وتعني الكتابة الصوتية : وضع رموز لكتابة كل الأصوات الكلامية التي تصدر عن المتكلم والتي يمكن بها تسجيل ما يحدث أثناء الكلام بطريقة مستمرة خالية من الغموض ، لأن الأبجديات المستعملة لدى اللغات ليست كافية في هذا الغرض ، وليست دقيقة كل الدقة المطلوبة في هذا المجال ، فالأصوات المنطوقة داخل كل لغة تختلف عن أبجديتها " (٢) .

✽ والكتابة الصوتية : وسيلة ضرورية يستعين بها علم الأصوات اللغوية بجانب استعانه ببعض الآلات ، لأن طبيعة هذا العلم تقوم على تحليل وتسجيل الأصوات وغيرها من عناصر الكلام واستعمالها ، ولكي تسجل الأصوات الكلامية تسجيلًا كتابيًا واضحًا لا بد من استعمال ما يسمّى ب (ألف باء صوتية) ، أو أبجدية صوتية وهي مجموعة اصطلاحية من الرموز الكتابية تكون نظامًا صالحًا لتسجيل أصوات لغة من اللغات تسجيلًا دقيقًا ، ويسمى تسجيل الكلام بهذه الرموز (كتابة صوتية) ولا غنى لهذا العلم عن استعمال الألف باء صوتية رغم أنها لا هي علم الأصوات اللغوية ولا تعلمه ، و إنما هي وسيلة لوصف الاستعمالات الكلامية وتسجيلها بصورة دقيقة ، وتقوم على مبدأ (رمز واحد لكل فونيم واحد) .

✽ وعلى هذا الأساس قامت كثير من الأبجديات التقليدية ، وكلما أدرك العلماء النظام الفونيمي للغة حققت الدراسة نتائج دقيقة وصادقة ، وكانت وسيلة عالم الأصوات اللغوية .

✽ فمثلاً (الواو) في العربية يستعمل كحرف واحد للدلالة على الفونيم الأول في كلمة (وعي) ويندرج تحت طبقة (الصوامت) ، ويدل على فونيم مخالف تمامًا في مثل كلمة (يقول) ، ويندرج تحت كلمة (الصائت الطويل) .

(١) انظر : علم اللغة مقدمة للقارئ - د / محمود السعران - ص ١١٣ : ١٢٢ ، والصوت اللغوي - د / أحمد مختار عمر - ص ٧٢ - ٩٤ .

(٢) انظر : في علم الأصوات اللغوية - د / البدرابي زهران - ص ١٥ - ط أولى - ١٩٩٤ - دار المعارف .

✽ هذا وقد بذل العلماء محاولات واسعة ليضعوا نظامًا من الرموز الكتابية الدقيقة الصالحة لتقرير نتائج الدراسة الصوتية وملاحظاتها ووضعها بصورة مكتوبة ليسهل الرجوع إليها ومناقشتها ، أو كي تصبح هذه الدراسة والملاحظات علمًا أو جزءًا من علم .

✽ ومن أهم هذه النظم :

الكلام المنظور ل (بل) (١) ، والخط الألف بائي ل (يسبرسن) وألف باء ل (بسيوس) ، وألف باء (بريمر) ، وألف باء الجمعية الأنثربولوجية الأمريكية ، وألف باء الجمعية الصوتية الدولية ، وألف باء (لوندل) (٢) .

أما ألف باء (بسيوس) فتستعمل لكتابة اللغات الأفريقية ، و (لوندل) لكتابة اللهجات السويدية ، و (بريمر) لكتاب اللهجات الألمانية ، و (الأمريكية) لكتابة اللغات الهندية .
٣- ومن الأبجديات الصوتية (أبجدية أطلس اللهجات) وضعتها جمعية أطلس اللهجات الأمريكية وهي مبنية على الأبجدية الصوتية الدولية مع إضافة رموز مساعدة في إمكان تسجيل وحفظ خصائص اللهجة الأمريكية .

٤- ومن أشهر أنواع الكتابة الصوتية وأكثرها انتشارًا " ألف باء الجمعية الدولية " (٣) ، وقد كونها كبار العلماء سنة ١٨٨٦م ومنهم (إليس) ، و (هنري سويت) و (ياسي) ، و (دانيال جونز) ، و بجوار الكلام المنظور ل (بل) وضع (سويت) ما سمّاه بالخط الرومي ، ومنه نبتت فكرة (ألف باء الجمعية الصوتية الدولية) وهي مكونة من الرموز اللاتينية ، وبعض الحروف اليونانية ، وبعض العلامات المميزة والحروف الصناعية ، واستخدم هذا النوع من الكتابة في وضع رموز لكتابة اللغات الأوربية وحدها ، كذلك رموزًا يتييسر استخدامها لمرونتها و إمكان

(١) و (بل) رمز لكل فونيم برسم تخطيطي لبعض أعضاء النطق الأساسية في تكوين هذا الفونيم ، وهي طريقة معقدة وصعبة الكتابة مع كثرة نفاقاتها في الطباعة ، لذا لم يكتب لها الاستمرار والشيوخ ، ومثلها طريقة العالم الدنمركي (أوتويسبرسن) المعروف بالخط الألف بائي ، وتمثل الفونيم الواحد بمجموعة كاملة من الرموز - انظر : علم اللغة د / محمود السعران .
(٢) هذه المجموعة مكونة من حروف إغريقية وأرقام عديدة وحروف لاتينية - كرمز لأعضاء النطق ، ودرجة الانفتاح ، والطريقة صعبة وعسرة ولا تصلح لتمثيل نطق كاملة .
(٣) من مميزات : عالمية ، لها وزنها في مجال الدراسة لأنها أبجدية رسمية لا تمثل شخصًا بمفرده ، وهي أكثر الأبجديات انتشارًا مما يمكن من تبادل الأفكار بيسر ، كما أنها وحدت الرموز بين علماء الأصوات ، ووفرت على الباحثين مشقة وصف الأصوات ، كل على حدة ، وتغلبت على الألفبائية العادية التي ترمز الصوت الواحد بأكثر من رمز واحد ، ومن عيوبها : اهتمامها باللغات الأوربية دون غيرها ، غير دقيقة لأنها حل وسط لوجهات النظر المختلفة للدارسين .
انظر : الصوت اللغوي - د / أحمد مختار عمر - ص ٩٢ - عالم الكتب - ١٩٩١م / ٥١٤١١ .

تعديلها عند كتابة أصوات أي لغة من اللغات ، وقد ركزت الجمعية على تعليم نطق اللغة الإنجليزية وطرق التدريس ثم اهتمت بالحقل الصوتي والرموز الصوتية .

٥- إن الكتابة الصوتية وسيلة ضرورية لدارس الأصوات اللغوية تحتاج إلى اتفاق العلماء المختصين في هذه الدراسة على (ألف باء صوتية) يصلح استعمالها عند دراسة العربية ، وعند دراسة سواها من اللغات ، وعند الكتابة في الميدان اللغوي بوجه عام .

٦- إن الكتابة الفونيمية أكثر اقتصادية في الوقت وفي عدد الرموز ، ولكنها من ناحية أخرى تسري على لغة واحدة ، وتقتضي معرفة كاملة بالتركيب الفونيمي لتلك اللغة ، أما الكتابة الصوتية فأكثر تعقيداً ولكنها أدق ، واستعمالها عالمي (١) .

❖❖ **ولدراسة الأصوات اللغوية - يجب أن نعرف المقصود بعلم الأصوات .**

❖ علم الأصوات : هو العلم الذي يدرس الصوت الإنساني الصادر بواسطة أعضاء الجهاز النطقي الإنساني والمنقول عبر الهواء أو (أي وسط ناقل) على شكل ظاهرة (ذبذبات أو تموجات) حتى تصل إلى أذن السّامع فيدرك ويفهم معنى هذه الإشارات الفيزيائية .

❖ وقد قسّم علماء الأصوات الدراسة الصوتية إلى فرعين أساسيين مرتبطين ببعضهما ، وهما : الفوناتيک ، والفونولوجي .

١ - علم الفوناتيک (الفوناتيکس) :

فرع من الدراسة الصوتية ، يهتم بدراسة الصوت الإنساني منذ صدوره وتكوينه وإنتاجه من فم المتكلم حتى يصل إلى أذن السّامع ، ويهتم بالمراحل (المجالات) الآتية :

أ- المرحلة النطقية : مرحلة تكوين الصوت وإنتاجه وصدوره ، ويسمى مجال علم الأصوات النطقية أو الفسيولوجية ، وهو من أهم المجالات .

(١) المرجع السابق ص ٩٤ .

ب- المرحلة الفيزيائية : مرحلة انتقال الصوت من فم المتكلم حتى يصل إلى أذن السامع ويسمى علم الأصوات الفيزيائي أو الأوكوستيكي .

ج- المرحلة السمعية أو الإدراكية : وهي مرحلة استقبال الأذن للصورة ، ويسمى علم الأصوات السمعي أو الإدراكي ، وتخضع هذه المراحل (المجالات) إلى منهج علمي تجريبي (التجربة العملية) .

٢- علم الفونولوجي :

فرع من الدراسات الصوتية ، يهتم بدراسة الوظائف اللغوية (القيمة الدلالية) للأصوات في أي لغة ، كما يهتم بدراسة الوحدة الصوتية (الفونيم) (١)

لذا سُمي هذا العلم باسم (فونيماتيكس) ، سواء كانت الوحدة الصوتية التركيبية ، كالحروف نحو : الكاف ، والتاء ، والباء ، في كلمة (كتب) مثلاً ، أو كانت الوحدة الصوتية غير التركيبية والتي تؤدي لاختلاف المعاني ، وتلحظ من الأداء ، وليس لها رمز كتابي مستقل وتشمل : النبر (٢) ، والتنغيم (٣) ، أو ما يتصل بدرجة الصوت وارتفاعه وشدته كالمقاطع الصوتية .

ويرى بعض اللغويين أن المصطلحين مترادفان ، ولا فرق بينهما ، وقد يطلق أحدهما على الآخر لصلتهما الوثيقة ببعض .

(١) الوحدة الصوتية (الفونيم) المستقلة منها الحركات ، ومنها الحروف ، نحو : دين - بفتح الدال وكسره ، فكل حركة أدت لاختلاف المعنى واستقلاله ، كذلك الفرق بين الفتحة وألف المد ، نحو : شرح - شارح - مشروح ، ومنها الحروف نحو : تين / دين / طين - قلب/كلب-صفر / سقر - صفر / سقر - وهذه الوحدات الصوتية مختلفة من لغة إلى أخرى .
ومن وظائف الفونيم :

التمييز بين الكلمات وإعطاؤها فيما لغوية مختلفة صرفية أو نحوية أو دلالية ، نحو : نام ، وقام ، حيث اختلفا في المعنى بفضل وجود فونيم (النون) في نام ، وفونيم (القاف) في قام ، كذلك فونيم الكسرة في (من) ، وفونيم الفتحة في (من) مما جعل الأولى حرف جر ، والثانية اسم موصول ، أو اسم شرط ، أو اسم استفهام .
الفونيم وسيلة مهمة في تسهيل عملية تعليم وتعلم اللغات الأجنبية .
ج-تساعدنا الفونيمات في ابتكار أبجديات منظمة دقيقة للغات .

الفونيم عند (دانيال جونز) الإنجليزي عبارة عن عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصفات في لغة معينة ، والتي تستعمل بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السياق الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها - انظر علم اللغة العام - الأصوات - ص ١٥٧ .

(٢) النبر : هو وضع نسبي لصوت أو لمقطع إذا قورن بغيره من الأصوات أو المقاطع المجاورة ومعنى هذا أن المقاطع تتفاوت فيما بينهما في النطق قوة وضعفاً ، فالصوت أو المقطع المنبور ينطق ببذل طاقة أكثر نسبياً ، ويتطلب من أعضاء النطق مجهوداً أشد ، وللنبر ثلاث درجات : فهو إما قوي ، أو وسيط ، أو ضعيف ، وله وظائف لغوية مهمة صوتية ودلالية ، فقد يستغل النبر أحياناً للتفريق بين الأسماء والأفعال في الإنجليزية للكلمة الواحدة في معاني مختلفة بطريقة تغيير النبر .
انظر : علم اللغة العام - الأصوات - ص ١٦٢ : ١٦٣ .

(٣) التنغيم : هو تنوع أداء الصوت واختلاف درجاته صعوداً أو هبوطاً ، ويسمى أيضاً موسيقى الكلام ، وكما يكون التنغيم في الصوت يكون في الكلمة وفي الجملة بحيث تأخذ الكلمة أو الجملة نغمة خاصة تميزها عما جاورها ، وله وظائف دلالية ونحوية وتعبيرية ، حيث يفرق بين المعاني للكلمات ، كما يفرق بين أنواع الجمل وبين وظائفها ، وبيان حالة المتكلم أثناء النطق للصوت .

ويرجع اختلاف الأصوات لاختلاف التكوين الفسيولوجي لأعضاء النطق من شخص لآخر ، وكذلك لاختلاف العادات النطقية (اللغوية) ، لذا نميز بين الأصوات في الهاتف ، والمذياع ، والتلفزيون ، ومن وراء الأبواب ، وخلف الحواجز ، ويتوقف هذا التمييز على نوع جنس المتكلم وحالته النفسية وحالته الجسمية والاجتماعية فهذا صوت رجل ، امرأة ، صغير ، كبير ، شاب ، شيخ ، سليم ، مريض ، وحزن باكي ، فرح ، ضاحك .

❖ فروع علم الأصوات اللغوية ❖

عرفنا أن علم الأصوات اللغوية : هو العلم الذي يدرس مادة اللغة المنطوقة ، أي الأصوات اللغوية التي يصدرها الإنسان ، ويهتم بالمعرفة الدقيقة لما تصدره أعضاء النطق ، كما يدرس الصوت الإنساني ، ومن فروع هذا العلم :

❖ الفوناتيک

❖ الفونولوجي

ويهتم الفوناتيکس بالمجالات الآتية :-

١ - علم الأصوات النطقي :

ويهتم بالمادة اللغوية المنطوقة ، وهو أقدم فروع علم الأصوات ، ويدرس الأصوات المستخدمة في الكلام الإنساني وكيفية إنتاجها والجهاز المنتج لها ، والخصائص الفنية للأصوات ، كما يدرس مخارج الأصوات وأعضاء النطق .

٢ - علم الأصوات الفيزيقي " الأوكوستيكي " :

ويدرس ما تحدثه تلك الأصوات الكلامية في الهواء أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع ، فهو يتناول الجانب الفيزيائي والفسيولوجي المتعلق بالسمع وإدراك الصوت ، أي أنه يدرس (الموجات الصوتية) الناشئة عن عملية النطق .

٣ - علم الأصوات السمعي :

ويدرس ما يجري في الأذن بعد ذلك ، نتيجة تلك الأصوات الكلامية ، ويتعلّق بتأثير الصوت في الأذن وما يتصل بها من الأعضاء السمعية .

٤ - علم الأصوات العملي :

وهو يدرس الأجهزة واستخداماتها والتدريب عليها ، حتى يتمكّن البحث من الاستفادة بها ومن حُسْن استخدامها ، ويتطلب البحث في هذا الفرع تتبع العمليات الفسيولوجية في جهازي النطق والسمع وقت الكلام .

٥ - علم الأصوات المقارن :

ويدرس أوجه الاختلاف والاتفاق بين الأصوات في لغات مختلفة أو متفقة في عائلاتها ، ومما لا شك فيه أنه يستعان بنتائج علم الأصوات اللغوية في إجادة نطق اللغات ، وفي تعلّم نطق اللغات الأجنبية ، مع تتبع ما تنتهجه اللغة في صنع كلماتها وجملها في صوغ شعرها ونثرها ومعرفة قوالب التعبير الصوتية للمعاني والأحاسيس المختلفة لدى الجماعة اللغوية .

٦ - علم الأصوات التاريخي :

ويدرس ما يعترى بعض الأصوات في لغة ما من تغير وتبدل عبر التاريخ، وأسباب ذلك .

٧ - علم الأصوات التجريبي :

ويستخدم الأجهزة والآلات الحساسة في معمل الأصوات اللغوية لدراسة مخارج الأصوات وخصائصها ، مثل تردد الصوت والذبذبات وسعة الموجة ، والنغم والنبر ، وغيرها من السمات

التي لا تدرك إلا باستخدام الأجهزة مثل البلاتوغرافيا ، أو الحنك الصناعي (١) ، والكيموغرافيا (٢) ، والأوسيلوجراف (٣) ، وصور الأشعة وغير ذلك (٤) .

✽ **وغالباً ما تكون الدراسات التاريخية والمقارنة ذات طابع فنولوجي على حين أن**

يكون الوصفي ، أو المتزامن فوناتيكيًا وفنولوجياً معاً .

ويمكن تقسيم علم الأصوات حسب المنهج وطريقة البحث إلى :

١ - علم الأصوات الوصفي :

وهو المنهج المتبع في أكثر البحوث العلمية ، ووظيفته النظر في أصوات اللغة المعينة في فترة زمنية محددة ، ووصفها بعد تسجيلها وتحليلها وتفسيرها من غير افتراض أو تأويل .

٢ - علم الأصوات المعياري :

يستعمل كثيراً في الأغراض التعليمية ، وهذا العلم يعني بتحديد قواعد وضوابط معينة للنطق الجيد للغة من اللغات ويجب أن يكون مسبقاً بدراسة وصفية ، وإن كان لا يؤخذ به عادةً في البحث ، ويستعمل في الأغراض التعليمية كثيراً .

✽ **كما يمكن تقسيم علم الأصوات من حيث ارتباطه بفكرة الزمن إلى قسمين أيضاً (٥)**

:

أولاً : علم الأصوات السينكروني :

(١) الحنك الصناعي : عبارة عن قطعة من الورق المقوى تثبت في سقف الفم ، وعلى أطراف الأسنان العليا ، بعد أن تغمس في بودرة talk ، ويطلب من الشخص الذي تجري عليه التجربة أن ينطق بصوت مطرد لكي لا يتصل اللسان حين النطق بالحنك الصناعي إلا مرة واحدة ، ويترك حينئذ اللسان على الحنك الصناعي بصمة واحدة تزيل شيئاً من البودرة العالقة على الحنك ، وعن طريقها يتم التعرف على موضع نطق الصوت .

(٢) الكيموغراف : جهاز يقوم برسمذبذبات الصوت عن طريق الاهتمام بإحداث الهواء المنطلق من الفم والأنف في أثناء النطق ، وإحداث الوترين الصوتيين في حالتي الجهر والهمس ، ويسجل هذا الجهاز أثر النطق في صورة خطوط متعرجة الشكل تبعاً لعدد الذبذبات الصوتية .

(٣) والأوسيلوجراف : لرسم الذبذبات ، وبشبه التلفزيون ، ويقوم بتسجيل الذبذبات الصوتية على شاشته عن طريق الميكروفون المثبت أمام فم المتكلم .

انظر : علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق - د / البدر اوي زهران - ص ١١ ، ١٢ .

(٤) كأشعة أكس لمعرفة ما يدور في جهاز النطق الإنساني ، وتحديد مخارج الأصوات بدقة .

(٥) موضوع الدراسة (السينكرونية) أصعب بكثير من نظيرها (الدياكروني) حيث يتطلب الدرس السينكروني تحديد زمان ومكان اللغة المدروسة ، كما أنه يهدف إلى تأسيس الكل لحالات اللغة وتحديد مكوناته .

انظر : علم اللغة العام - القسم الثاني (الأصوات) - د / كمال بشر - ص ٢٦ وما بعدها - ط دار المعارف ١٩٨٠ م .
وفي الفكر اللغوي - د / محمد فتوح - دار الفكر العربي - ط أولى / ٥١٤١٠ / ١٩٨٩ م .

ويعني بدراسة أصوات اللغة المعينة في فترة زمنية محددة لا يتعداها ، ويسميه البعض (علم الأصوات المتزامن) لتوضيح فكرة المعاصرة ووحدة الفترة الزمنية ، ويطلق عليه (علم الأصوات الوصفي) على أن الوصف من أهم خواصه .

ثانياً : علم الأصوات الدياكروني :

ويتضمن تعدد الفترة الزمنية ، وينظر في أصوات اللغة وتطورها ومسارها التاريخي من مرحلة إلى أخرى ، ويطلق عليه (علم الأصوات التاريخي) ، لارتباطه بفترات متعددة من التاريخ ، وبفكرة التطور كذلك .

❖ مناهج علم الأصوات ❖ (١)

١- المنهج المقارن :

وقد استخدمه العالم (بوب) سنة ١٨١٦م ، (وشليجل) للمقارنة بين طائفة من اللغات تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة ، والعمل على تصنيفها وربطها بعضها ببعض .

٢- المنهج التاريخي :

ويقوم على دراسة تطور اللغة الواحدة في مراحلها المختلفة عبر القرون ، أي يدرس الظاهرة اللغوية من أقدم العصور التاريخية إلى أحدثها ، مسجلاً التغيرات وأسبابها ونتائجها ، وقد أطلق " دوسوسير " على علم اللغة التاريخي اسم (دياكروني) أي خلال الزمن .

٣- المنهج الوصفي :

ويقوم بوصف لغة معينة في فترة زمنية معينة ، وبيئة مكانية محددة ، ثم تسجيل مظاهرها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، وقد أطلق " دوسوسير " على علم اللغة الوصفي اسم (سانكروني) ، أي : في الزمن ، أو علم اللغة التركيبي أو التزامني .

(١) انظر : مقدمة في علوم اللغة - د / البدراوي زهران - ص ١٩١ وما بعدها .

الفصل الثاني

الصوت

(معناه ، وكيفية حدوثه)

❖ الصوت الإنساني : معناه ، وكيفية حدوثه (١) ❖

” تعريف الصوت ” :

❖ الصوت اصطلاحاً : أثر سمعي ناتج عنذبذبة مستمرة لجسم من الأجسام ، كما يحدث عند طرق أو احتكاك جسم صلب ، والصوت ظاهرة طبيعية تدرك أثرها قيل أن ندرك كنهها .
❖ والذي لاشك فيه أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز ، على أن تلك الهزات قد لا تدرك بالعين أحياناً .

❖ وقد أثبت العلماء أن هزات مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي ، أو سائل ، أو صلب حتى تصل إلى الأذن الإنسانية (٢) ، وأن هذه الاهتزازات (الذبذبات) الصوتية المسموعة التي تستلزم وجود جسم يهتز تنجم من اتصال جسم بآخر بأحد الطرق الآتية :

- ١- **الاصطدام** ، كاصطدام سيارة بأخرى ، أو التصفيق باليدين .
- ٢- **الاحتكاك** ، كاحتكاك أقدامنا بالأرض أثناء السير ، أو احتكاك الحصى بعضه البعض أثناء السير عليه .
- ٣- **فصل جزئيات المادة** ، كما يحدث عند تمزيق ثوب من القماش ، أو كسر قطعة من الخشب .
- ٤- **التفاعلات الكيميائية** ، كما يحدث أثناء انفجار القنبلة ، أو عند إطفاء الحجر الجيري .
- ٥- **الشرارة الكهربائية** ، كما يحدث عند الرعد في السماء عقب البرق ، ومتى اهتز جسم نتيجة طريقة من الطرق السابقة حدثت ذبذبات تؤثر في ذرات الهواء المتاخمة لها حتى تصل إلى أذن السامعين .

(١) الصوت في اللغة : مصدر صات يصوت وصات ، والجمع : أصوات ، والصوت : الجرس معروف ، مذكر ، وأصوات وصوت به ، وكله بمعنى نادى ، ويقال : صوت يصوت تصويثاً ، فهو مصوت ، وصوت بانسان فدعاه ، ويقال : صات يصوت فهو صانت ، ومعناه ، صائح ، والصوت : صوت الإنسان وغيره ، وفي الحديث : " كان العباس رجلاً صيئاً " ، أي شديد الصوت عاليه ، والصيئ : بكسر الصاد : الذكر الحسن .

❖ واصطلاحاً : الصوت هو المادة الخام للكلام الإنساني ، ويحدث من احتكاك الهواء الخارج من الرنتين بالأوتار الصوتية الموجودة في الحنجرة ، فتنتقل من الفم ، والأنف على شكل موجات حتى تصل إلى أذن السامعين ، أي أن الصوت الإنساني عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت (الجهاز النطقي) ، ومراكز استقباله (الأذن) .

(٢) والهواء هو الوسط الذي تنتقل الهزات من خلاله في شكل موجات حتى تصل إلى الأذن ، وتصل سرعة الصوت حوالي ٣٤٠ م/ث .

٦ - **شد الأوتار الصوتية** ، يؤثر تأثيرًا مطردًا ، فالصوت الصادر من ذبذبة وترين شدًا محكمًا يكون الصوت حادًا ، كصوت المغنيات .

✿ يحتاج نطق الكلمة " الصوت اللغوي " إلى جهود عضلية كثيرة ، ثم ينتقل الصوت في الهواء إلى أذن السّامع ، وبعد تلقي طبلة أذن السّامع يقوم السّامع بجهود عقلية أو نفسية لفهم معاني هذه الكلمات ، وهذا الصوت الإنساني وحده هو موضوع علم الأصوات اللغوية .

✿ مصدر الصوت الإنساني هو الحنجرة ^(١) ، أو الوتران الصوتيان فيها ، فاهتزازات هذين الوترين تنطلق من الفم ، أو الأنف ، ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي ويتضح من تأثير شدّ الوترين أن الأطفال والنساء (أحدٌ) أصواتًا من الرجال ، وذلك لأن الوترين الصوتيين فيهما ، أي في (الأطفال والنساء) أقصر وأقلّ ، ويؤدي هذا إلى زيادة في سرعتيهما ، وعدد ذبذباتهما في الثانية ، ولذلك نرى أن الطفل يتضخم (وتراه) الصوتيان ، ويطولان عندما يصل إلى سنّ البلوغ ، ويترتب على هذا عمق في صوته يجعله أقرب إلى الرجال من النساء لأن عدد ذبذبات الوترين الطويلين الضخمين ، أقلّ كثيرًا .

✿ **درجة الصوت pitch** ^(٢) فهي المقياس الموسيقي الذي يدركه الملم بفن الموسيقى ، وتتوقف على عدد الاهتزازات في الثانية ، ويسمّى (بالتردد) وهو عدد الدورات الكاملة في الثانية ، فإذا زادت الاهتزازات (الذبذبات) ازدادت حدة الصوت . فالصوت العميق عدد اهتزازاته في الثانية أقلّ من الصوت الحاد .

✿ " وتتوفّر درجة صوت المرء على : سنه وجنسه فالأطفال والنساء أصواتهم حادة عن الرجال ، لأن الوترين الصوتيين في الأطفال والنساء أقصر وأقلّ ضخامة مما يؤدي إلى زيادة في سرعتيهما وعدد ذبذباتهما في الثانية ، وضخامة الأجسام من الناس هم عادة عميقو الأصوات ، لأن

(١) مصدر الصوت وهو أي شيء يسبب اضطرابًا أو تنوعًا ملانمًا في ضغط الهواء ، كالشوكة الرنانة والوترين الصوتيين التي تتحرّك في اتجاهات مختلفة وبأشكال متعددة ، و تنتج أصواتًا sounds تسبب تنوعات في ضغط الهواء ثم ينتقل الصوت بسرعة من مصدره إلى أذن السّامع ، إذن الصوت يحدث نتيجة حركة أو ذبذبة لمصدر الصوت قد تكون بطيئة فثرى بالعين بسهولة ، وقد تكون سريعة لا يمكن رؤيتها بالعين ، وحركة مصدر الصوت قد تكون دورية (منتظمة) ، وغير دورية ، كما قد تكون بسيطة simple ، وقد تكون مركبة complex .

انظر : دراسة الصوت اللغوي - د / أحمد مختار عمر - ص ٢٠ : ٢٢ ط ١١ / ٥١٤١١ / ١٩٩١م - عالم الكتب .

(٢) هناك عوامل تؤثر في درجة الصوت الإنساني ومنها :

السيطرة على الهواء المندفَع من الرنيتين ومرونة عضلات الحنجرة فكلما زادت المرونة كثرت الذبذبات وازدادت حدة الصوت ، وطول وغلظ الوترين الصوتيين ، أي كلما طال وغلظ الوتران قلت الذبذبات ، وعمق الصوت ، وكذلك : نسبة شدّ الوترين . انظر : الأصوات اللغوية د - : إبراهيم أنيس - ص ١٠ - مكتبة الأنجلو ١٩٩٠م

الذبذبات أقل " ، وتكون درجة الصوت أعلى كلما كانت الذبذبات أسرع ، وعددها في الثانية أكثر

❖❖ **نوع الصوت** : هو الصفة الخاصة التي تميز صوتاً من صوت وإن اتحدا في الدرجة والشدة ، لذا نجد كثيراً من الناس يستطيعون التمييز بين أصوات أصدقائهم في التليفون بمجرد نطقهم ببضع كلمات ، لأن نوع الصوت هو الأثر السمعي الناتج عن عدد الموجات البسيطة المكونة للموجات المركبة التي تحمل الصوت للأذن ، والمعروف أن الصوت الإنساني معقد ، لتركيبه من أنواع مختلفة في الشدة ، ومن درجات صوتية متباينة ، كما أن لكل إنسان صفة صوتية خاصة تميز صوته من صوت غيره من الناس .

❖❖ **شدة الصوت** : ذلك الأثر السمعي الناتج عن قوة الصوت من مصادره ، أو هي الخاصية التي يمكن بها التمييز بين قوة الأصوات أو ضعفها .
ويتوقف على :

١ - **سعة الاهتزاز** : وهي المسافة المحصورة بين الوضع الأصلي للجسم المهتز ، وهو في حالة السكون (الاستراحة) ، وأقصى نقطة يصل إليها الجسم في هذه الاهتزازات ، وعلى قدر اتساع هذه المسافة يكون علو الصوت ووضوحه .

٢ - **سرعة الرتتين** ، ونسبة ضغط الهواء المندفع منها ليكون أثره قوياً على الأوتار الصوتية ، فيخرج الصوت واضحاً قوياً .

٣ - **طول الوترين الصوتيين** ، فكلما كان طويلين كانا غير مشدودين ، وكان طرُق الهواء لهما ضعيفاً ، فتخرج الأصوات ضعيفة ، وكلما كانا قصيرين فإنهما يكونان مشدودين فتخرج الأصوات قوية ، أي كلما كانت الأوتار مشدودة ، قَوِيَ الصوتُ ووضح ، والعكس ، وذلك كما في العود والكمان .

❖❖ والملاحظ أن الوترين الصوتيين في الخصى أقصر وأقل ضخامة ، مما جعل أصواتهم تشبه أصوات النساء لأن عملية الخشاء قبل سن البلوغ تضرر الوترين الصوتيين ، هذا ويبلغ طول الوتر الصوتي لدى الإنسان البالغ ٢٣ مليمترًا ، أو ٢٧ مليمترًا ، ويبلغ عدد الذبذبات في الحنجرة في الغناء ما بين ٦٠ إلى مئات الذبذبات .

٤ - **استعداد فراغات الحلق** والفم والأنف للصوت التي يمرّ خلالها الهواء بعد الحنجرة ، وكل هذه الفراغات تضخم وتقوى الصوت ، وذلك لأن أصوات الحنجرة وحدها ضعيفة ، ولكنها تقوى بمرورها في تلك الفراغات الرنانة التي تكسبها صفة القوة .

٥ - **تركيز الموجات الصوتية في اتجاه واحد** ، فيندفع الهواء قوياً فيسمع شديداً ، بينما يضعف الصوت إذا توزّع في عدّة اتجاهات .

٦ - **بعد الأذن من مصدر الصوت** ، وعلى قدر قرب الأذن من ذلك المصدر يكون وضوح الصوت وشدته .

٧ - **كما يتوقف كذلك على اتصال مصدره بأجسام رنانة** ، لنا تشد الأوتار الموسيقية على ألواح أو صناديق رنانة ، ليقوى الصوت ويتضح .

✻ **علو الصوت :**

فيرتبط بالمدى الذي يصل إليه مصدر الذبذبة ، ويتوقف على قوت تحرك الوترين الصوتيين ، فيعلو الصوت إذا أُنسَع مدى تحركهما ، وينخفض إذا ضاق مدى تحركهما ، ويتوقف هذا الضيق ، أو هذا الاتساع على كمية الهواء الخارج من الرئتين عبر الوترين الصوتيين .

✻ **طبقة الصوت :**

تلك المسافة التي يتحرك فيها الصوت عند الكلام بيسر وسهولة ، وتكون : عالية ومتوسطة ومنخفضة ، وتتراوح الطبقة المتوسطة عند الرجال بين ١٠٩ ذ/ث ، أما عند النساء فتتراوح بين ٢١٨ ذ/ث ، ٣٢٦ ذ/ث .

✻ **قيمة الصوت :**

وهو أثره في الأذن ، ويتوقف على عدد الذبذبات والنسق الرنيني لمصدر الصوت ، لذا يمكن التمييز بين صوت إنسان وآخر بسبب تنوع نسيج الوترين الصوتيين لدى الإنسان (١) .

✻ **وهنا نعرض إلى مفهوم بعض المصطلحات ” نحو :**

(١) انظر : مناهج البحث في اللغة - د / تمام حسان - ص ٥٩ .

- ١ - **التردد** : ويعني به عدد الدورات الكاملة في الثانية ، وبعدد الدورات يقاس تردد الذبذبات أو تردد حركة الجسم .
- ٢ - **الدورة** : هي الموجة بين أي نقطة والنقطة التالية .
- ٣ - **الرنين** : ظاهرة تجعل جسم ما يتحرك عن طريق ذبذبات جسم آخر ، ويقال للجسم الذي يتحرك (المتأثر) إنه يرن **resonate** تبعاً للجسم الآخر ، والوحدة المتذبذبة (شوكة رنانة - وتر - تجويف) التي تضخم الصوت تسمى جسمًا رنانًا ، أو مضخم للصوت **resonator** .
- ٤ - **الترشيح** : عملية تقوية بعض الترددات لصوت مركب وإضعاف أخريات ، وبالتالي تعديل نوع الصوت نقي أو عميق تبعًا للنغمات من حيث ضخامتها أو انخفاضها .
- ٥ - **الموجة الصوتية** : هي مجموعة الذبذبات الصوتية المتعاقبة التي تنتج إحداها عن الأخرى ، وتختلف هذه الموجات تبعًا لاختلاف مكان النطق ، واختلاف الشكل الكلي لتجويف ما فوق الحنجرة أثناء نطق الأصوات (١) .
- ٦ - **العزم الصوتية Formants** ، وهي الترددات أو مجموعة الترددات التي تشكل نوع الصوت وتميزه عن الأصوات الأخرى ذات الأنواع المختلفة ، وقد ثبت أن الاختلافات الصوتية التي يمكن إدراكها تعود إلى درجة الصوت المتكون في الحنجرة بالنسبة للأصوات المجهورة ، واختلاف الموجات الصوتية تبعًا لاختلاف مكان النطق ، واختلاف الشكل الكلي وتجويف ما فوق الحنجرة أثناء نطق الأصوات .

❖ العملية الصوتية ❖

❖ يتألف الكلام الإنساني من سلسلة من الأصوات الصادرة عن الإنسان ، مرتبة على نسق خاص ، في موقف لغوي معين ، ذات جوانب متعددة ، وخصائص متباينة ، وميزات صرفية ونحوية تحتاج إلى جهود عضلية كثيرة يقوم بها جهاز النطق ، ويدرسها علم يسمى (بعلم الأصوات) ويتحقق بوجود أربعة جوانب : المتكلم ، والسامع ، والكلمات ، والشيء المتحدّث عنه .

(١) انظر : دراسة الصوت اللغوي - ص ٢٧ ، و ص ٣٧ .

❖ ما هي العملية الصوتية ؟

تتركب هذه العملية من عناصر ثلاثة متلازمة ومتكاملة لتناول أي عملية صوتية تلفظية ، وهذه العناصر هي : -

١ - **وجود جسم في حالة تذبذب تكون نتيجهما ما يسمى بالصوت** ، وعند الفيزيائيين (مركز الذبذبة) أو مصدر الصوت ، وعند علماء الأصوات (العامل الباث) ، ويتجسّم هذا العامل في جهاز التصويت ، والتلفظ ^(١) ، ويتحقّق التصويت وهو عنصر عفوي كلّما مرّت كمية ما من الهواء عبر الحنجرة .

❖ **أما التلفظ فهو** : عملية مقصودة يتم فيها تسليط جهد ما على الصوت الذي مر بالحنجرة ، وتفشي في تجويف الفم وما فوقه حتى تنتج هذه السلسلة الصوتية . وتحتاج العملية التلفظية إلى ضغط كمية محدودة من الهواء وتحتاج إلى توتير العضلة المعنية بالصوت المقصود ، كما تحتاج إلى التزام تجويف يناسب الصوت المعنى ^(٢) .

٢ - **ضرورة وجود ما يمكن هذه الذبذبة من التنقل** ، ويتجسّد هذا في مادة قد تكون : الهواء ، أو الخشب ، أو الحديد ، أو الماء ، ويسمّى هذا العنصر بالعامل الحامل أو الناقل .

٣ - **ضرورة وجود آلة أو جهاز** ، ويسمّى بالعامل المتقبل ، أو المستقبل ، أو اللاقط .

❖ فالعملية النطقية نتاج تنوع الضغط الذي يصادفه تيار الهواء في أماكن متنوعة من مجرى الهواء وهذه أماكن النطق أو المخارج فهذه العملية من أكثر العمليات تعقيداً ، وعملية نطق الكلام نتاج أربع عمليات منفصلة هي :

تيار الهواء ، وعملية التصويت ، والعملية الأنفية الفموية ، والعملية النطقية ، وترتبط كلها بحركات الرئتين ، والأوتار الصوتية ^(٣) .

(١) ويتركب جهاز التصويت والتلفظ من :

الشفنتين ، والأسنان ، واللثة ، والحنك الصلب والرخو ، واللهاة والحلق الأعلى والأوسط والأسفل ، واللسان والفك الأسفل ، والخياشيم ، ورأس المزمار ، والحبلين الصوتيين ، والحنجرة ، وفتحة المزمار ، والرئتين ، والقفص الصدري ، والحجاب الحاجز ، ومحجر الخياشيم - ، وجيب عظم الزاوية ، وجيب الفك الأعلى ، والصدغان .

انظر : البنية الصوتية للكلمة العربية - د / عبد القادر جديدي - ص ١٢ : ١٤ ط تونس ١٩٨٦ م .
(٢) والتجويف : هو فراغ ما عبارة عن حجرة قابلة للرنين والتذبذب ، لأنها فارغة من كل شيء سوى ذرات الهواء ، والتجاويف نوعان :

❖ ثابتة لا يتغير حجمها وشكلها أثناء عملية التلفظ وتسمى بالتجاويف العظمية ، كجيب الفك الأعلى .
❖ ومتغيرة ، حيث تتنوع في الشكل والحجم وتسمى تجاويف ما فوق المزمار كتجويف الحلق والفم والشفة .

❖ إنتاج الكلام ❖

كيف بدأ الصوت اللغوي ؟ بمعنى : كيفية إصدار الأصوات

هذا موضوع طويل اضطرت فيه أقوال القدماء والمحدثين ، ولا نحب أن له هنا بإسهاب ، لذا سنمر عليه مروراً سريعاً تاركاً بحث النظريات المختلفة بصدد نشأة الكلام لمجال آخر .

❖ تقوم الرئتان بدفع هواء الزفير وذلك بتأثير الحجاب الحاجز الذي يضغط على القفص الصدري أثناء التنفس - هذا الهواء - يمضي خلال ممرات مغلقة ، ضيقة تتكون من الحنجرة ثم التجويف الحلقي ثم يتجه إلى الفم فتننتج الأصوات الفموية (١) أو إلى الأنف فتننتج الأصوات الأنفية **ويجب أن تتوافر في حدوث الصوت اللغوي ثلاثة عوامل هي :** -

١ - وجود تيار هوائي Air steam .

٢ - وجود ممر مغلق Closed passage .

٣ - وجود اعتراض لتيار الهواء في نقاط محددة مختلفة في الجهاز النطقي .

❖ ويقول : د / أحمد مختار عمر (٢) تنتهي القناة الصوتية في أحد طرفيها بالأوتار الصوتية ، وهي في طرفها الآخر مفتوحة للهواء من بين الشفتين وفتحتي الأنف ، ولذا فهي تكوّن حجرة رنين ذات شكل معقد ، وحينما يوضع الهواء داخل هذه القناة في وضع حركة فهو يتذبذب بشكل مركب يؤدي إلى تكوين الموجات الصوتية التي نسمعها ، ويختلف شكل هذه الذبذبات تبعاً لمواقع أعضاء النطق وخاصة تبعاً لحركات الحنجرة واللسان والشفتين ، ويوجد شكل مميز لذبذبة الهواء يقابل كل موقع لهذه الأعضاء النطقية .

وتتم طريقة إنتاج الصوت اللغوي عندما يستعد الإنسان للكلام العادي يستنشق الهواء فيمتليء صدره به قليلاً ، وإذا أخذ في التكلم تتقلص عضلات النطق قبل النطق بأول مقطع صوتي ، ثم يليها تقلص عضلات القفص الصدري بحركات سريعة تدفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء

(١) انظر : في علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق - د / البدر اوي زهران - ص ٧٩ ط أولى ١٩٩٤م - دار المعارف .
كما شبه الحلق والفم بالناي ، يخرج فيه الصوت مستطيلاً أملساً ، فإذا وضع الزامر أنامله على حروف الناي ، وراوح بين أنامله ، اختلفت الأصوات ، وسمع لكل خرقة صوت يختلف عن الآخر ، كذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم سمعنا هذه الأصوات المختلفة - كما يضرب على وتر العود بالإصبع اليمنى أو اليسرى فنجد اختلافاً في الصوت كلما أدنى أصابعه أو أرسلها أو حصرها وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض المنصوت في مخارج الحروف من المقاطع ،
انظر : فصول في فقه العربية - د / رمضان عبد التواب - ص ٣٩ مكتبة الخانجي - ط ٢ - ١٤٠٤/٥١٣٨٣م .
(٢) انظر : دراسة الصوت اللغوي - د / أحمد مختار عمر - ص ٣٦، ٣٧

المنتجة للأصوات ، وتواصل عضلات البطن تقلصاتها في حركة بطيئة مضبوطة إلى أن ينتهي الإنسان من الجملة الأولى ، وبعد الفراغ منها تقوم عملية الشهيق بملء الصدر ثانيًا وبسرعة ، استعدادًا للنطق بالجملة التالية وهكذا (١) .

✪ يحدث الكلام من توفر عدة عوامل :

- ١ - الزفير والشهيق .
 - ٢ - دور الوترين الصوتيين اهتزازًا وسكونًا أثناء عملية التصويت .
 - ٣ - دور الحلق واللسان والشفيتين والحنك والأنف في عملية التصويت .
 - ٤ - عملية تكبير الصوت أو المرشحات تأثير عوامل مضخمة ، منها سعة الرئتين ، وكمية الهواء المندفعة منها ونسبة ضغطه ، وحجم التجاويف المضخمة للصوت مثل القصبة الهوائية والحنجرة ، وتجويف الأنف والفم .
 - ٥ - سماع الصوت بواسطة الأذن .
 - ٦ - إدراك الأصوات والتعرف على اتجاهاتها بعد النقاط الأذن لها على اختلاف مصادرها وأنواعها ووصولها إلى المخ على هيئة إشارات كهربية تترجم إلى معان ومدركات .
- وكلها عوامل تتعاون معًا لإتمام العملية الصوتية ، وهي تعود إلى عناصر : الإصدار ، والاستقبال ، والوسط الناقل .

✪ وعلى هذا فإن العملية الكلامية تتم بالتحكم في هواء الزفير الصاعد من الرئتين ، لأن إنتاج الصوت في أي لغة لا يقوم على هواء الشهيق إلا نادرًا ما كما نسمع من أصوات الأطفال ، وتختلف العملية الكلامية عن التنفس العادي لأن التنفس العادي يتم بصوره صامته في العادة لتحرك تيار الهواء دون عوائق ، أما العملية النطقية فلا يمر الهواء معها حرًا طليقًا كما يحدث في حالة التنفس ، وإنما يصادف الهواء في اندفاعه إلى الخارج أنواعًا من الضغط والكبح والتعويق فيولد صوتًا Noise ، كأنين الريح بين الأشجار وحول الصخور وجوانب التلال .

(١) المرجع السابق - ص ١١ .

❖ هذا وقد أشار أستاذي - د / البدراوي زهران إلى إنتاج الصوت الإنساني وتصنيفه فقال (١) :
" ينتج الصوت الإنساني عن طريق الهواء المار من الحنجرة والبلعوم إلى اللهاة ، وعندما يمر
عمود الهواء الصّادر من الرئتين في هذا المجرى يتذبذب بشكل مركب ، فتحدث الموجات الصوتية
التي تؤدي دورها في تكوين الأصوات اللغوية التي تؤثر في تصنيفها عوامل منها : -
قوة الرنين أو ضعفه ، واختلاف شكل غرفة الرنين وعدد الذبذبات التي تكون الصوت ، ومكان
إنتاج الصوت .

❖ ولا شك أن عملية إصدار الأصوات الإنسانية معجزة من معجزات الخلق ، حيث لا يستطيع
أحد استغلال النفايات بطريقة أنفع وأكثر كفاءة وأهمية من استخدام الإنسان لنفايات عملية
التنفس ، فليس الكلام في واقع الأمر إلا اعتراضاً لسبيل الهواء الفاسد المطرود من الرئتين
والمشبع بثاني أكسيد الكربون في أثناء صعوده في المجاري (المخارج) الهوائية ، ثم استغلال
هذا الهواء الفاسد أفضل استغلال وليس في ذلك تكليف أو مشقة لعدم دفع هذا الهواء الجسم
لأنه خارج ، وكل ما نقوم به هو اعتراضنا لسبيله إما عند الحنجرة أو ما فوقها حتى الأسنان
والشفيتين .

❖ ورأى أستاذي - د : كمال بشر (٢) " أن عملية الكلام تنظمها خطوات أو أحداث متتالية
مترابطة وهي :

- ❖ الأحداث النفسية والعمليات العقلية التي تجري في ذهن المتكلم قبل أو أثناء الكلام .
- ❖ وعملية إصدار الكلام (الأصوات التي ينتجها جهاز النطق) .
- ❖ والموجات (الذبذبات) الصوتية الواقعة بين فم المتكلم وأذن السّامع .
- ❖ والعمليات العضوية التي يخضع لها الجهاز السمعي (لدى السّامع) .
- ❖ والأحداث النفسية والعمليات التي تجري في ذهن السّامع عند سماعه للكلام واستقباله
للموجات أو الذبذبات الصوتية المنقولة إليه بواسطة الهواء .

(١) انظر : في علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق - د / البدراوي زهران - ص ٤٦ : ٤٩ ط أولى ١٩٩٤ - دار المعارف .
(٢) انظر : علم اللغة العام - القسم الثاني - الأصوات - د / كمال بشر - ص ٩ وما بعدها - ط دار المعارف ١٩٨٠ م .

❁ هذا وقد أهمل اللغويون المحدثون الجانب النفسي والعقلي ، لأن الاهتمام يكون بالأحداث اللغوية المنطوقة بالفعل لا بمصادرها أو أثارها النفسية العقلية ، كما أن هذه العمليات النفسية العقلية عمليات معقدة وغامضة تحتاج في الحكم عليها لغويًا إلى الدقة والوضوح ، وتحتاج إلى عالم النفس الذي يكشف أسرارها لأن اللغوي غير مؤهل للنظر في هذه الأشياء ، وليس مطالبًا بذلك ، رغم أن (بلو مفيلد) الأمريكي - رائد المدرسة السلوكية يركز اهتمامه على الكلام بوصفه المجال الحقيقي لدارسي اللغة ، أما (فيرث) الإنجليزي فلا يهمل قيمة الجانب النفسي من أي طرف كان ، بل رأى وجوب معالجته بطريقة لغوية . وعلى كل فإن هذا الجانب العقلي والنفسي لدى السّامع يفسره ويوضحه الموقف اللغوي ، ويجب الاهتمام والتركيز على الجانب اللغوي الممثل في الكلام المنطوق بالفعل في الموقف المعين ، والقيام بتحليله من ناحية خواصه الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية .

❁ **فني المجال الصوتي** : يرى (بلومفيلد) أن أصوات الكلام لها ثلاثة جوانب متصلة :

١ - جانب إصدار الأصوات (الجانب النطقي) أو الفسيولوجي أو العضوي للأصوات ، ويتمثل هذا الجانب في عملية النطق من جانب المتكلم وما تنتظمه هذه العملية من حركات أعضاء النطق .

٢ - جانب الانتقال أو الانتشار في الهواء (الجانب الأوكوستيكي) الفيزيائي **Physical** ، ويحلّل هذا الجانب الموجات الصوتية المنتشرة في الهواء نتيجة لحركات أعضاء النطق ، أي بين الفم والأذن .

٣ - جانب استقبال الصوت (الجانب السمعي) ويتمثل في تلك الذبذبات المقابلة للموجات الصوتية التي تؤثر في طبلة أذن السامع ، وتعمل عملها في ميكانيكية أذنه الداخلية وفي أعصاب سمعه حتى يدرك الأصوات ، بالإضافة إلى الدراسة الصوتية التجريبية أو الآلية ، والكتابة الصوتية وكلها تعبر عن الحقائق الصوتية بدقة علمية وكلها من الجوانب التي يختص بدراستها علم الأصوات **Phonetics** بفروعه المختلفة وهي : -

أولاً : علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي :

وهو أقدم هذه الفروع وأكثرها انتشارًا ، ويدرس جهاز النطق وحركات الأعضاء ونشاط المتكلم وهو سهل المنال والملاحظة .

ثانياً : علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي (١) :

وهو علم حديث العهد بين علم الأصوات النطقي والسمعي ، ويدرس التركيب الطبيعي للأصوات ، ويحلل الذبذبات والموجات الصوتية .

ثالثاً : علم الأصوات السمعي :

وهو أحدث فروع علم الأصوات على الإطلاق ، ويعني بدراسة ميكانيكية الجهاز السمعي وطريقة تأثره بالأصوات ، ويدرس استقبال أذن السامع للصوت اللغوي .

✻ وله جانبان متصلان : عضوي أو فسيولوجي ينظر في الذبذبات الصوتية التي تستقبلها أذن السامع ، وينظر في وظائف الجهاز السمعي ، أما الجانب النفسي فيركز على البحث في تأثير هذه الذبذبات ووقعها على أعضاء السمع وميدانها الحقيقي هو علم النفس ، ويسمى (بعلم الأصوات النفسي) .

✻ ونظرًا لعملياته النفسية المعقدة في مجال البحث فيه فنجد أنه من النادر أن نجد بحثًا صوتيًا أو لغويًا عامًا يعرض لهذا العلم ومشكلاته وأجهزته وآلاته غير المتاحة للغوي العام أو لعدم قدرة اللغوي على التعامل معها بطريقة دقيقة لعدم تأهيله ، أو لوجود صعوبات أخرى تقابل اللغوي العام ومنها : -

أ- انتشار الموجات الصوتية على طبلة الأذن ووقع هذه الموجات على أعضاء السمع شيء لا يدرك إلا بواسطة أجهزة خاصة .

ب- عدم القدرة على التحكم في عملية السماع على عكس عملية النطق لدى المتكلم التي يتحكم فيها بالقطع والاستئناف متى شاء .

ج- صعوبة معرفة ما يجري في الجهاز السمعي وأعضائه ، لبعده ، مما يصعب على العين المجردة أن تراه .

(١) يدرس الخصائص المادية أو الفيزيائية لأصوات الكلام أثناء انتقالها على شكل موجات من المتكلم إلى السامع ، وما رآه الدكتور / السمران رآه ماريوباي في شموله على الجانب الفيزيائي والفسولوجي (السمع) .

❖ وهكذا سارت الأغلبية من اللغويين غير المؤهلين تأهيلاً كافياً في فسيولوجيا السمع على عدم الدخول في ميدان علم الأصوات السمعي ، وأشاروا فقط إلى إمكانية البحث فيه وطبيعة هذا البحث ، مع اتفاقهم على أهمية هذه الدراسة ووجوب تشجيع الباحثين على التخصص في هذا الميدان (١) .

❖ ❖ أهمية السمع في إدراك الصوت اللغوي :

السمع : هو الحاسة الطبيعية التي لا يستغنى عنها لفهم الأصوات التي تصدر من الإنسان وتنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن الإنسانية ثم إلى المخ فتترجم هناك وتفسّر .

ويعدّ السمع من أقوى الحواس وأعما نفعا للإنسان من غيرها .

❖ ❖ ومن أهم مزايا السمع :

- ١ - أنّ إدراك الأصوات اللغوية عن طريق السمع يدع سائر الأعضاء حرّة طليقة ، فيمكن الانتفاع بها في ضروريات الحياة الأخرى ، فالتفاهم بالإشارة يحرم الإنسان من يديه وأطرافه فلا تستغل في وظائفها الأصلية التي خلقت لها ، هذا إلى أن الالتجاء إلى السمع يصرف النظر إلى وظيفته الأصلية دون حاجة إلى التعبير بالنظر عمّا يختلج في النفس .
- ٢ - يدرك السمع الأصوات من مسافة قد يعجز النظر عن إدراكها ، فقد توجد موانع من جبال ووديان تحول دون قدرة استخدام الإنسان حاستي النظر والشم ، بالإضافة إلى أن الصوت قد ينتقل ضد التيارات الهوائية بخلاف الشم الذي تذهب به الرياح أينما اتجهت .
- ٣ - تستغل حاسة السمع ليلاً ونهاراً ، في الظلام وفي النور بينما لا تدرك المرئيات إلا في النور .

❖ ولإدراك فضل السمع نجد ما يصل إليه فاقد البصر من رقي عقلي ونبوغ لا يصل إليه الصم وإن كان مبصراً .

❖ وقديماً قال ابن خلدون : " السمع أبو الملكات اللسانية " .

(١) انظر : علم اللغة العام - القسم الثاني - الأصوات د / كمال بشر - ص ١٥ وما بعدها - ط ١٩٨٠م

والمعروف أن أداة السمع الطبيعية هي الأذن ، وهي معقدة التركيب ، ومنها الأذن الخارجية وتتركب من صيوان الأذن وصماخها وتنتهي بطبلة الأذن ، ثم الأذن الوسطى وفيها عظمت ثلاث : المطرقة والسندان والركاب ، أما الأذن الداخلية ففيها أعضاء السمع الحقيقية ، وفيها السائل التيهي ، وفيها تنغمس الأعصاب السمعية ، فحين تحدث الأصوات تموجات في الهواء الخارجي ، يستقبلها الصوان مرة بعده في القناة السمعية الخارجية لتصل إلى الغشاء الطبلي ، فيهتز اهتزازات مناسبة لتلك التموجات ، حتى تصل الاهتزازات للأذن الداخلية بواسطة العظيومات الثلاث ، ثم تسرى في السائل التيهي وتحدث به تموجات ، فتنبه أطراف الأعصاب المغموسة فيه فتنقل الأحاسيس إلى المراكز السمعية في المخ وعند ذلك ندرك الأصوات المختلفة ونتعرف على اتجاهاتها .

الفصل الثالث

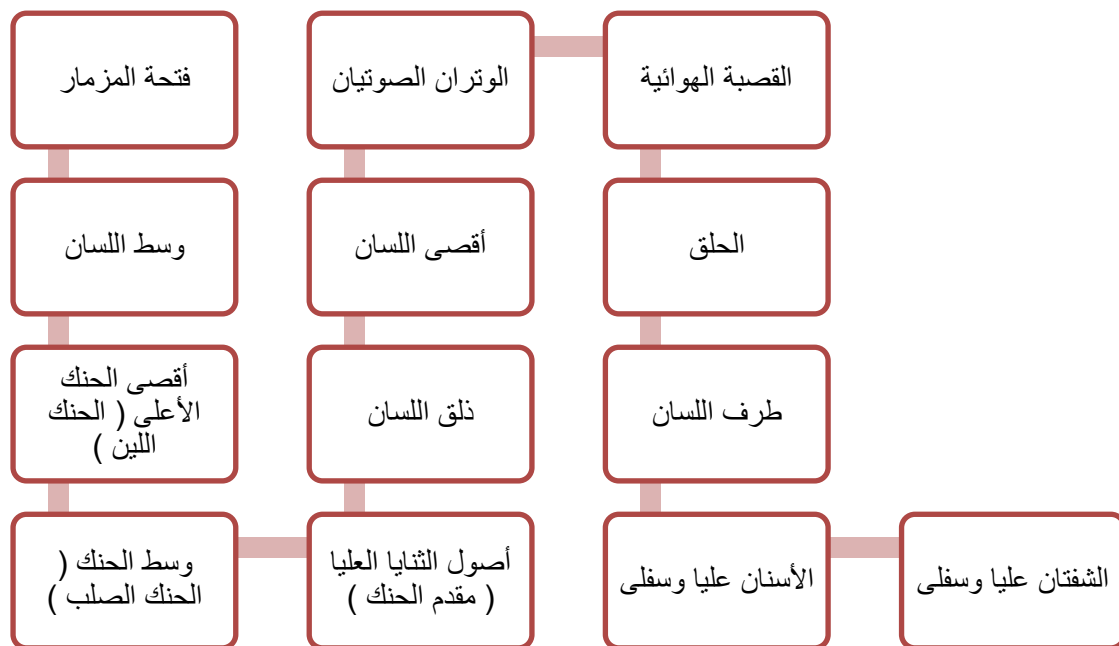
الجهاز النطقي وأعضاؤه

تمهيد

✿ إن الجهاز النطقي الإنساني ينتج عددًا كبيرًا من الأصوات اللغوية ، ولكن اللغة لا تستعمل إلا عددًا محدودًا منها ، وتظهر هذه الأصوات في شكل سلاسل كلامية متوالية ، حيث يتأثر كل صوت بالصوت السابق عليه ، وهي مرتبطة ببعضها عن طريق معابر أو مزلق تسمى بالأصوات الانتقالية ، وهذه المعابر تيسر لنا عملية فصل صوت من أصوات هذه السلسلة و إحلال صوت آخر محلها .

✿✿ الجهاز النطقي وأعضاؤه

لكي ندرك وظيفة هذا الجهاز ، وندرس الأصوات اللغوية ونتعرف على خصائصها ومميزاتها - فلا بد من أن نعرض - ولو بإيجاز لتلك الأعضاء المسماة بأعضاء النطق و أعضاء الكلام،
الجهاز الصوتي أو جهاز النطق وهي :



❖ وإليك عزيزي الطالب نبذة مختصرة عن كل عضو من أعضاء الجهاز النطقي الإنساني :

- ١ - **القصبه الهوائية** : وهي فراغ رنان ، يقع موازيا للعمود الفقري ، وهي عبارة عن أنبوبة مكونة من عدة غضاريف على شكل حلقات غير كاملة ، وتلي الحنجرة مباشرة من الأعلى ، وفيها يتخذ النفس مجراه قبل اندفاعه إلى الحنجرة ، وتنقسم أسفلها إلى فرعين رئيسيين هما : الشعبتان اللتان تدخلان إلى الرئتين ، وتستغل كفراغ رنان ذي أثر بين في درجة الصوت ، ولا سيما إذا كان الصوت عميقاً ، ويتراوح قطرها بين ٢ و ٢.٥ سم ، وطولها حوالي ١١ سم .
 - ٢ - **الحنجرة** (١) : وهي عبارة عن حجرة متسعة مكونة من ثلاثة غضاريف : أحدها وهو الجزء العلوي منها ويسمى الغضروف الدرقي ، وهو ناقص الاستدارة من الخلف ، وعريض بارز من الأمام ويسمى " تفاحة آدم " وهو أشد بروزاً في الرجال من النساء والأطفال ، وغضروف ثان كامل الاستدارة ويسمى الغضروف الخلفي ، وغضروف ثالث مكوّن من قطعتين فوق الغضروف الثاني من الخلف ، وتكون الحنجرة الجزء الأعلى من القصبه الهوائية ، والممر المؤدى إلى الرئتين .
- ❖ هذا ويمكن للحنجرة أن تتحرّك إلى أعلى فوق وتحت وأمام وخلف ، والحركة إلى أعلى وأسفل هامة جداً في النطق ، لأنها تغير من شكل وحجم حجرة الرنين فتؤثر على نوع الرنين الحنجري . وفي الحنجرة يوجد الوتران الصوتيان وهما من أعضاء النطق المتحركة .
- ❖ أما " الغلصمة " أو (لسان المزمار) فهو نوع من اللسان واقع فوق الحنجرة بصورة خاصة لتحمي الحنجرة خلال عملية البلع ، ولكن يبدو أنه لا دخل لها في تكوين أي صوت كلامي .
- ❖ هذا ويؤثر ارتفاع وانخفاض الحنجرة على النغمة المصاحبة لبعض الأصوات ، وهو يسمى بالرنين وبه يفرق بين الصوت الغليظ والرقيق والحاد والضعيف - وتكون كذلك مخرجاً لبعض الأصوات مثل الهمزة والهاء .

(١) ومما يذكر أن الحنجرة لا تختلف عند بني البشر ، وإنما الفرق في قدرة الإنسان على سيطرته على عملية التنفس ، من ناحية تنظيمها ، والسيطرة على الهواء المندفع من الرئتين والقدرة على تكييفه كما يفعل الشخص عند الغناء ، ويسمونه (جمال الصوت) حيث يكون المغنى مرناً لديه القدرة على إخضاع النفس لإرادته ، ويحدد ذبذبات الوترين الصوتيين كما يشاء ، أي يكون لديه الاستعداد الشخصي لتجميل الصوت ، ولديه القدرة على التنوع في الصوت تبعاً للموقف .

٣ - الوتران الصوتيان (الحبال الصوتية) :-

وهما أهم أعضاء جهاز النطق المتحركة ، وهما عبارة عن رباطين يشبهان الشفتين يتصل بهما نسيج ويمتدّان أفقيًا من الخلف إلى الأمام فيلتقيان عند البروز المعروف بـ " تفاحة آدم " و هما يقعان متقابلين على قمة القصبة الهوائية ويتفاوت معدل التذبذب للوترين الصوتيين ، لتفاوت الأصوات ، فتتذبذب أصوات الرجال بمعدل منخفض عن المرأة ، نظرًا لأن الوترين الصوتيين عند الرجال أطول منه عند النساء ، وحركة الأوتار الصوتية معقدة .

❖ ويلعب الوتران الصوتيان دورًا بارزًا في جهر الأصوات (اهتزازها) وهمسها (عدم اهتزازها) ، وعلى حسب حالة الوترين عند النطق بالصوت يمكن تحديد صفة الصوت من حيث الجهر والهمس .

٤ - المزمار ولسانه :

المزمار : هو الفراغ الواقع بين الوترين الصوتيين وله فتحة تسمى بفتحة المزمار ، وهي تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات ، ويتربّب على هذا اختلاف نسبة شد الوترين واستعدادهما للاهتزاز ، فكلما زاد توترهما زادت نسبة اهتزازهما في الثانية ، فتختلف تبعًا لذلك درجة الصوت وللمزمار غطاء يسمى " لسان المزمار " ووظيفته حماية الحنجرة ، وطريق التنفس كله أثناء البلع ، وليس له دخل في إصدار الأصوات الإنسانية .

٥ - الحلق (١) : هو الجزء الواقع بين الحنجرة والفم وفضلاً عن أنه مخرج لأصوات لغوية خاصة تعرف به ، فإنه يستغل كفراغ رثان يضخّم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة ، والتجويف الحلقي يمكن أن يشكل ليحدث توفّقًا كاملاً لتيار الهواء ، أو توفّقًا جزئيًا ينتج عن احتكاك في موضع بعينه

٦ - اللسان (٢) :

(١) وقد قسم علماء العربية والتجويد (الحلق) إلى ثلاثة أقسام : أقصاه ، ووسطه ، وأدناه ، والهمزة والهاء تخرجان من أقصى الحلق ، وقيل : من الحنجرة ، وبهذا يجعلون الحنجرة جزءًا من الحلق .
(٢) يرادف كلمة (اللغة) عند كثير من الشعوب ، وفي القرآن الكريم (بلسان عربي مبين) .

عضو هام في عملية النطق ولأهميته فقد سميت اللغات به ، فتقول : اللسان العربي ، واللسان الإنجليزي ، واللسان الفرنسي ، كما ترجع أهميته إلى مرونته ، وكثرة حركاته في الفم عند النطق ، ويتخذ أوضاعاً وأشكالاً متعددة ، فهو ينتقل من وضع إلى آخر فيكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة ، وذلك لأنه يحتوي على عدّة عضلات تمكنه من التحرك والامتداد والانكماش والتلوي .

❖❖ هذا وقد قسم علماء الأصوات اللسان إلى ثلاثة أقسام ، وقيل : أربعة ، وقيل :

خمسة ، وهي :

- ❖ أول اللسان أو مقدمه بما في ذلك طرفه وهو الجزء المقابل للثة .
 - ❖ وسط اللسان وهو الجزء المقابل للحنك الصلب أو ما يسمّى وسط الحنك ، ويساعد في تكوين بعض المخارج مثل مخرج الجيم المعطشة .
 - ❖ أقصى اللسان أو مؤخرته : وهو الجزء المقابل للحنك اللين أو ما يسمّى بأقصى الحنك ، ويساعد في نطق صوت القاف في العربية .
 - ❖ ذلق اللسان أو نهايته وهي نهاية اللسان من الأمام وهذا الجزء داخل في طرف اللسان ، ويساعد في تكوين بعض المخارج كالذال والثناء .
 - ❖ أصل اللسان : وهو الجزء الذي يشكل الحائط الأمامي للحلق .
- أي أن اللسان ينقسم إلى حد Tip ، وطرف Blade ، ومقدمة Front ، ومؤخرة Back ، وأصل Root .

هذا وينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أن اللسان لا يستقل بنطق صوت معين ، وإنما يضاف إليه أماكن أخرى كأقصى الحنك أو وسطه ، أو أصول الثنايا ، وكلها تعمل على إنتاج كثير من الأصوات الصامتة كالذال والسين ، وإنتاج الحركات واختلاف النغمات المصاحبة لتلك الأصوات .

٧ - الّهاء :-

واللهاء زائدة لحمية ينتهي بها الجزء الخلفي الرخو من الحنك اللين ، وهي صغيرة متحركة متدلّية إلى أسفل ، وتدخل في نطق القاف العربية حين يلامسها مؤخر اللسان (') ، كما ينطقها مجيدو القراءات اليوم ، وتستخدم اللهاء كصمام للهواء الخارج من الحنجرة فيعلق الهواء عند ارتفاعها ليدخل الهواء للفم .

٨ - الحنك الأعلى : -

❁ ويطلق عليه سقف الحلق أو سقف الفم ، وينقسم إلى عدة أقسام : -

أ-مقدم الحنك أو اللثة : بما في ذلك أصول الأسنان العليا ، وهو ذلك القسم من سقف الحنك الواقع خلف الأسنان العليا مباشرةً ، وهو مُحَدَّبٌ ومُحَرَّزٌ .

ب-وسط الحنك : أو الحنك الصلب ، ويسميه البعض بالغار ، أو بالطبق الصلب ، وهو ثابت لا يتحرّك ، وسمّى صلبًا ؛ لصلابته ، وتعرف صلابته باللمس باللسان ، أو بالإصبع .

ج-أقصى الحنك اللين : وهو قابل للحركة ، فقد يرفع و قد يخفض ، فإذا رفع إلى أقصى ما يمكن فإنه يسمى الجار الخلفي للفراغ الحلقي ، وهذا يمنع مرور الهواء الخارج من الرئتين عن طريق الأنف ، وهو الذي يحدد كون الصوت أنفيًا بمرور الهواء من الأنف ، أو فمويًا بمروره من الفم .

❁ وكثير من أصوات اللغة العربية يتكوّن عندما يأخذ الحنك اللين هذا الوضع المرتفع ، مثل

أصوات الباء والتاء والثاء والصاد... إلخ

❁ أما إذا انخفض فإنّ الطريق أمام الهواء الخارج من الرئتين يكون مفتوحًا لكي ينفذ من الأنف ، ولا يتمّ نطق الميم والنون في العربية إلا عندما يتخذ الحنك اللين هذا الوضع.

٩ - التجويف الأنفي : -

وهو تجويف يندفع خلاله الهواء عندما ينخفض الحنك اللين ، فيفتح الطريق أمام الهواء الخارج ليمر عن طريق الأنف كما في صوتي (الميم والنون) العربيتين ، كما يستغل كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات حين النطق بها

١٠- **الغار** Palate أو وسط الحنك ، أو الحنك الصلب : وهو الجزء الذي يلي مقدم الحنك ، وهو ثابت لا يتحرك

١١- **الشفتان** :- (**الشفة العليا والسفلى**) : من أعضاء النطق الهامة المتحركة ، حيث تنطبقان انطباقاً تاماً مع صوت الباء والميم ، كما تنفرجان ويتباعد ما بينهما ، ونلاحظ ذلك خصوصاً عند النطق بالأصوات المسماة بالحركات أو الصوائت ، أي أنهما ينطبقان فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن ، ثم تنفرجان فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجاريّاً كما في صوت الباء .

١٢- **الأسنان** :-

✪ من أعضاء النطق الثابتة ، وهي قسمان : العليا والسفلى ويعتمد عليها في نطق بعض الأصوات كالذال واللام عند البعض ، كما تقع الأسنان العليا فوق الشفة السفلى حال النطق بالفاء .

هذا ينبغي أن يعلم أن الأسنان لا تستقل بنطق صوت من الأصوات ، وإنما يشاركها عضو آخر معها ، وهو اللسان في نطق بعض الأصوات مثل (الثاء والذال والظاء) .

✪ تلك كان حديثنا عن أعضاء النطق التي لا بد وأن يلمّ بها كل دارس لأصوات اللغة ، وهناك عضو هام هو الرئتان ، ففيه التنفس ، ولا يكون التنفس غيرها ، ولا يكون الكلام بغير التنفس ، بل لا تكون الحياة نفسها ، لأنها مخزن الهواء الذي هو المادة الأولى للأحداث اللغوية ولكنهما ليس لهما تأثير في تشكيل أصوات اللغة .

✪ **ويلاحظ على أعضاء جهاز النطق ما يأتي :**

أولاً : أكثر هذه الأعضاء ثابت لا يتحرك ، أما الأعضاء المتحركة فهي الوتران الصوتيان ، واللهة ، واللسان ، والشفتان .

ثانياً : معظم أصوات اللغة تصدر عن تجويف الفم فيما عدا صوتي الميم والنون في العربية ، فإنهما يصدران عن التجويف الأنفي .

ثالثاً : إذا حدث خلل على عضو من هذه الأعضاء فإن ذلك يؤثر على إصدار الأصوات تأثيراً محدداً ، أما إذا كان الخلل في الوترين الصوتيين فإن النطق يعذر تماماً .
✻ وتسمية هذه الأعضاء بالجهاز الصوتي أو النطقي تسمية مجازية ، فليس هناك أعضاء خلقت خصيصاً للنطق ، بل هي أعضاء من جسم الإنسان خلقت لوظائف حيوية مختلفة ثم استغلها الإنسان بفكره استغلالاً صالحاً في صنع اللغة ، فالرئتان والحنجرة واللسان والأنف والأسنان لم تخلق من أجل النطق ، وإنما خلقت بعضها للتنفس وبعضها لهضم الطعام وبعضها للصياح ، وقد انتفع بها جميعاً في التلفظ بما يريد المتكلم توصيله إلى السامع ، مثلها في ذلك مثل الأصابع التي خلقت للمس والإمساك بالأشياء ثم سخرها العقل في أغراض أخرى كالكتابة أو العزف على الآلات الموسيقية .

رابعاً : أن جهاز النطق الإنساني يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هي :

- أ- أعضاء التنفس التي تقدم الهواء الجاري المطلوب لإنتاج معظم الأصوات اللغوية
 - ب- الحنجرة التي تنتج معظم الطاقة الصوتية المستعملة في الكلام ، وتعد بمثابة صمام ينظم تدفق تيار الهواء .
 - ج- التجاويف فوق المزمارية التي تقوم بدور حجرات الرنين ، وفيها تتم معظم أنواع الضوضاء التي تستعمل في الكلام ، وتشمل الحلق ، وتجويف ، والفراغ الأنفي .
- ✻ ومع ذلك فهناك صعوبة تتعلق بالحديث عن أعضاء النطق ، وهي عدم إمكانية رسم الحدود بينها رسماً قاطعاً ، فالأسنان موزعة على طرف اللثة بوضع يجعل من الصعب فصل . الأسنان من اللثوي ، ويصعب فصل الطبقة الصلب من الطبقة اللين ، أو الفصل بين الطبقي واللثوي ، أو تحديد موضع انتهاء اللثة .

✻ **ومن ثم فإن أول واجب على دارس الأصوات هو معرفة أعضاء النطق تكوينها -**

كيفية استعمالها .

في تكوين الأصوات الكلامية ، أي من حيث وظائفها ، ولكن هذا لا يعني أنه في حاجة إلى الإلمام بكل التفاصيل التي يقدمها لنا علم وظائف الأعضاء ، وعلم التشريح عن أعضاء النطق

، إذ إن الكثير من هذه المعلومات لا يؤدي له نفعًا ، ولكن هناك قدرًا ضروريًا من المعرفة بهذه الأعضاء عليه أن يحصله .

✻ هذه المعرفة هي الحجر الأساسي لوصف الأصوات وصفًا علميًا ، وتصنيفها ، بمعنى أنه ليس المقصود أن تكون المعرفة نظرية قاصرة على حفظ أسماء أعضاء النطق ووصف تكوينها ووظائفها ، بل المقصود أنه على دارس الأصوات أن ينتقل من هذا إلى أن تكون له - بعد طول مران - قدرة على إحداث أصوات أي لغة

✻ كما يظهر من هذا كله أن أعضاء النطق المتحركة هي :

الوتران الصوتيان ، والحنك اللين ، والشفقتان ، أما سائر أعضاء النطق فثابتة ، ويلاحظ أن كل عضو من الأعضاء المتحركة قد يعمل وحده دون الاشتراك مع غيره من الأعضاء المتحركة ، أو قد يعمل مشتركًا مع بعضها .

✻ كما نجد أن أعضاء النطق لدى الإنسان والتي تقوم باعتراض تيار الهواء بكيفيات مختلفة تساهم بشكل حاسم في إنتاج الصوت وتمييزه ، فاعتراض الشفتين للهواء ينتج أصواتًا مثل : الباء والميم ، والاعتراض في الحلق ينتج أصواتًا ، مثل : العين والحاء ، والاعتراض في الحنجرة ينتج أصواتًا مثل : الهاء والهمزة .

الفصل الرابع

تصنيف الأصوات اللغوية

يقوم تصنيف الأصوات اللغوية على اعتبارين ، أحدهما : نطقي متمثلاً في مخارج الأصوات ،
والآخر سمعي متحققاً في صفة الصوت التي تقع في السمع .

❖ تصنيف الأصوات حسب مواضع النطق ❖

تختلف الأصوات فيما بينها على أساس الموضع المحدد في الجهاز النطقي الذي يتم عنده الاعتراض في مجرى الهواء ، والذي يخرج الصوت منه ، ويسميه اللغويون العرب (المخارج) وسماه ابن دريد (٣٢٣هـ) المجاري ، وسماه ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) المحابس ، ويسميه علماء اللغة المحدثون (موضع النطق) ، وهو رأي قائم على نتائج التجارب الصوتية في المعامل وغيرها .

❖ وهذه المخارج هي :-

- ١- **الشفة** : وما يصدر منها وهو (الباء والميم والواو) المجهورة ، ويسمى صوتًا شفويًا .
- ٢- **الشفة مع الأسنان** : ويصدر عنه صوت (الفاء) المهموسة ، ويسمى شفويًا أسنانيًا ، حيث تلتقي الشفة السفلى بالأسنان العليا .
- ٣- **الأسنان** : ويصدر عنه صوت (الظاء والثاء والذال) ويسمى أسنانيًا ، حيث يلتقي طرف اللسان بالأسنان العليا .
- ٤- **الأسنان مع اللثة** : ويصدر عنه صوت (التاء والذال والزاي والسين والصاد والضاد) ويسمى أسنانيًا لثويًا ، حيث يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا .
- ٥- **اللثة** : ويصدر عنه صوت (اللام والراء والنون) ويسمى لثويًا ، لخروجها من قرب اللثة ، حيث يرتفع طرف اللسان حيث يتصل باللثة .
- ٦- **الغار (الحنك الأعلى)** : ويصدر عنه صوت (الجيم والشين) ويسمى غاريًا ، حيث يلتقي طرف اللسان بالغار ، وتسمى أحرف شجرية نسبة إلى شجر الفم وهو ما بين اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى (١) .
- ٧- **الطبق (الحنك الرخو)** : ويصدر عنه صوت (الخاء والغين والكاف) ، ويسمى طبقياً ، حيث تلتقي مؤخرة اللسان بالطبق .
- ٨- **اللهاة (الحنك الرخو)** ، ويصدر عنه (صوت القاف والكاف) ويسمى لهويًا ، حيث يلتقي مؤخر اللسان باللهاة (بين الفم والحلق) .

(١) انظر : دراسات في فقه اللغة - د / صبحي الصالح - ص ٢٧٩ .

٩- **الحلق** : ويصدر عنه صوت (الحاء والعين والهمزة والهاء ، والغين والخاء) ، ويسمى حلقياً حيث يلتقي مؤخرة اللسان بوسط الحلق ، ولالحلق ثلاثة مخارج ، فأقصاها ممّا يلي الصدر للهمزة والهاء ، وأوسطها ممّا يلي الصدر للعين والحاء ، وأدناها ممّا يلي الفم للغين والخاء (١)

١٠- **الحنجرة** : ويصدر عنه صوت (الهمزة والهاء) ، ويسمى حنجرياً ، ويكون بانغلاق أو انفتاح الوترين الصوتيين .

١١- **أقصى ووسط الحنك** : وتسمى الأصوات التي يؤثر فيها هذا العضو أصواتاً أقصى الحنك ، ووسط الحنك .

❖ ولعلك لاحظت أن اللسان عامل مشترك في أكثر هذه المخارج ، وأن المخرج الواحد يشترك فيه أكثر من صوت واحد ، لذا يجب أن نتعرف على صفات هذه الحروف .

❖ تصنيف الأصوات بحسب مخارجها (٢) ❖

❖ نذكرك عزيزي الطالب بمعنى كلمة (مخرج) .

المخرج : أي مخرج الصوت : وهو الموضع أو المكان الذي يتم نطق الصوت فيه نتيجة انحباس الهواء ، أو انغلاق مجرى الهواء عنده ، أو حدوث احتكاك الهواء به عند نطق الصوت أو إخراجة .

(١) انظر : مقدمة الجوهرة - ص ٨ ، ودراسات في فقه اللغة - / صبحي الصالح - ص ٢٧٨ .
(٢) المخارج : جمع المخرج ، والمخرج : هو الموضع من الفم ونواحيه الذي يخرج منه الحرف ، ومنها : - ❖

ف	ب	ف	ب
والميم	ات الشفوية	والزاي والسن والصاد	ب
والذال والطاء	انية الشفوية	والشين	حنكية
والدال والضاد والطاء والنون	ية لثوية	والغين والكاف والواو	الحنك
الفصحي		ة والهاء	ية
والحاء			

هذه هي مخارج الحروف أو مواضع النطق ، وفيها خلاف ، فقليل : سبعة عشر مخرجاً ، بإضافة مخرجين للنون وهو رأي الخليل وأكثر النحاة وقيل : ستة عشر وهو رأي سيبويه والشاطبي وغيرهم ، وقيل : أربعة عشر مخرجاً وذلك لقطرب والجرمي وابن كيسان والفراء .

ونعرف مخرج الصوت عن طريق تسكين الصوت ، أو تشديده (أي النطق به خاليًا أو مجردًا من الحركة) ثم ندخل عليه همزة الوصل ، وننظر أين ينتهي الصوت ، أي الموضع والمكان الذي يقف عنده .

❖ ومن هذه المخارج : -

- الجوف وأقصى الحلق : (الهمزة والهاء) .
- وسط الحلق : (ع-ح) .
- وأدنى الحلق إلى الفم : (غ-خ) .
- وأقصى اللسان : (ق-ك) .
- ووسط اللسان (ج-ش) .
- ومن أول حافة اللسان : (ض) .
- ومن طرف اللسان وأصول الثنايا العليا : (ط-د-ت) .
- ومن بين طرف اللسان فوق الثنايا السفلى : (ص - س - ز) .
- وفوق الثنايا العليا : (ظ ذ ث) .
- ومما بين الشفتين المنطقتين : (م - ب) .
- والخيشوم : (ن - م) الساكنتين .

❖ وإليك تصنيف الأصوات بحسب مخارجها

أولاً : الأصوات الشفوية :

وهي الفاء والباء والميم والواو (غير المدية في ، نحو : ولد) .

١ - **الباء** : صوت صامت مهموس شفوي شديد مجهور انفجاري مرقق يتم نطقه بضم الشفتين ، ورفع الطبقة ليغلق ما بين الحلق والتجويف الأنفي وعندما تنفرج الشفتان يندفع الهواء من الفم فجأة محدثاً صوت انفجاريًا معذباً الأوتار الصوتية .

٢ - **الميم** : صوت صامت شفوي أنفي شديد مجهور احتكاكي ، يتم بانطباق الشفتين تمامًا ، فيحبس خلفهما الهواء ، ويخفض الطبقة ، ليتمكن الهواء من الخروج عن طريق الأنف ، مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية .

٣- **الواو** : صوت شفوي مجهور شبه صائت حنكي ، تحدث مع ذبذبة الوترين الصوتيين .

ثانياً : الأصوات الشفوية الأسنانية : وهي الفاء فقط

❦ **الفاء** : صوت صامت رخو مهموس شفوي سني احتكاكي مرقق ، يتم نطقه باتصال الأسنان السفلى بالأسنان العليا ، اتصالاً يسمح للهواء بالمرور بينهما ، فيحتك بهما ، مع رفع مؤخرة الطبق ، لسد التجويف الأنفي ، وإهمال الأوتار الصوتية يجعلها لا تتذبذب .

ثالثاً : الأصوات الأسنانية : - وهي : - الثاء والذال ، والظاء ومخرجها كما يقول سيبويه :
" ومما بين طرفي اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثناء " .

١- **الثناء** : صوت صامت رخو مهموس أسناني احتكاكي مرقق ينطق بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا ، بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء ، وبرفع الطبق ليسد المجرى الأنفي ، فيلتصق بالحائط الخلفي للحلق ، مع عدم ذبذبة الأوتار الصوتية (١) .

٢- **الذال** : صوت صامت رخو مجهور مرقق ، أسناني احتكاكي ، وهو نفس نطق الثاء مع اهتزاز الأوتار الصوتية ، بعكس الثاء (٢) ، ولا ترتفع فيه مؤخرة اللسان نحو الطبق .

٣- **الظاء** : صوت صامت رخو مجهور مفخم مطبق احتكاكي ، وهو نفس نطق الذال مع ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق ، ويقول سيبويه : " ولولا الإطباق في الظاء لكانت ذالاً " (٣) .

رابعاً : الأصوات اللثوية : وهي صوت : اللام والراء والنون .

١- **اللام** : صوت صامت جانبي مجهور (٤) وينطق باتصال طرف اللسان باللثة مع ارتفاع الطبق ، ليسد المجرى الأنفي ، باتصاله بالجدار الخلفي للحلق ، مع ذبذبة الأوتار الصوتية .

٢- **النون** : صوت صامت أنفي مجهور أغن ، يتم نطقه بجعل طرف اللسان متصلًا باللثة مع خفض الطبق ليفتح المجرى الأنفي ، ويمر فيه ، مع إحداث ذبذبة في الأوتار الصوتية .

(١) صوت الثاء من الأصوات التي فقدت في اللهجة العامية ، واستعوض عنه فيها بالطاء ، نحو : ثقيل ، ثقيل ، وبالسین في ، نحو : ثابت = سابت .
(٢) ضاع صوت الذال في اللهجة العامية المصرية ، وحل محله الدال ، نحو : ذهب = دهب ، ذنب = ديب ، وذوب السكر = دوب ، وذيل = دوب ، أو الزاي ، نحو : ذكر = زكر ، وذل = زل .
(٣) فقدت الظاء من اللهجة العامية المصرية ، وحل محلها الضاد ، نحو : ظل = ضل ، أو الزاي المفخمة ، نحو : ظلم = زلم .
(٤) صوت جانبي أي أن أحد جانبي اللسان أو كليهما يسمح للهواء بالخروج من الرنتين بالمرور بينه وبين الأضراس ، في الوقت الذي لا يسمح بمروره من وسط الفم ، لحيلولة طرف اللسان المتصل باللثة دون ذلك .

٣- **الراء** : صوت صامت تكراري مجهور لثوي ، يتم نطقه بأن يترك اللسان مسترخياً ، في طريق الهواء الخارج من الرئتين ، فيرفرف اللسان ، ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة ، وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري ، هذا بالإضافة إلى حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية ، عند نطق هذا الصوت (١) .

خامساً : الأصوات الغارية : وهي : الشين والجيم والياء .

١- **الشين** : صوت صامت رخو مهموس لثوي حنكي احتكاكي مرقق ينطق برفع مقدمة اللسان تجاه الغار ، ورفع الطبقة لئسد المجرى الأنفي ، بالتصاقه بالجدار الخلفي للحلق ، ويتم ذلك كله دون أحداث ذبذبات في الأوتار الصوتية ، فإذا مر الهواء في الفراغ الضيق ، بين مقدمة اللسان والغار ، سبب نوعاً من الاحتكاك والصفير ، وهو صوت الشين .

٢- **الجيم** : صوت صامت مجهور يجمع بين الشدة والرخاوة ، ويتم نطقه بأن يرتفع مقدم اللسان ، في اتجاه الغار فيلتصق به ، وبذلك يحجز ورائه الهواء الخارج من الرئتين ، ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة ، كما في الأصوات الشديدة ، وإنما يتم انفصال العضوين ببطيء ، فيترتب على ذلك أن يحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين ، احتكاكاً شبيهاً بالاحتكاك الذي نسمع صوته ، مع الشين المجهورة (ج) (٢) .

سادساً : الأصوات الأسنانية اللثوية : وهي : الدال ، والضاد ، والتاء ، والطاء ، والزاي ، والسين ، والصاد (٣) .

١- **الدال** : صوت صامت أسناني شديد مجهور انفجاري مرقق مطبق ، ينطق بأن تلتصق مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا ، التصاقاً يمنع مرور الهواء ورفع الطبقة ، لئسد التجويف

(١) نلاحظ أن الأطفال في بداية نموهم اللغوي ، لا يقدرون على نطق الراء ، بسبب ضعف العضلة المحركة لمقدمة اللسان عندهم ، وقصورها في هذه السن المبكرة ، عن إحداث الاهتزازات السريعة ، المكررة لهذه المقدمة ، غير أنه سرعان ما يتقن الطفل نطق الراء ، بالتقليد وكثرة التمرين ، وقد يصاب الطفل بلثغة في الراء لسبب أو لآخر ، فلا يقدر على نطقها طيلة حياته نطقاً صحيحاً .

(٢) الجيم الفصيحة المعاصرة كما ينطقها القراء اليوم : صوت لثوي حنكي مركب (انفجاري احتكاكي) مجهور ، فهو صوت ينحبس الهواء عند النطق به ، ثم يعقبه انفجار بطيء يتلوه مباشرة ، وهذا الصوت هو نطق القرشيين وهو المتبع حتى الآن في قراءة القرآن الكريم .

وقيل : صوت قصي انفجاري مجهور ، ويسود جنوب وشمال اليمن ، وحواضر مصر .

وقيل : صوت لثوي حنكي احتكاكي مجهور ، وهو نطق الشاميين .

انظر : علم اللغة العام (الأصوات) - ص ١٢٦ ، ١٢٨ .

(٣) وتسمى الطاء و الدال والتاء حروفاً نطعية ، ومخارجها متقاربة ، ونسبت إلى النطق : وهو سقف غار الحنك الأعلى - انظر : النشر ٢٠١/١ ، ودراسات في فقه اللغة - د / صبحي الصالح - ص ٢٧٩ .

الأنفي ، معذبذبة الأوتار الصوتية ، وبقاء مؤخرة اللسان في وضع أفقي ، ثم يزال السد بانخفاض مقدمة اللسان ، فيندفع الهواء المحبوس إلى الخارج .

٢- **الضاد** : صوت صامت شديد مجهور مفخم مطبق انفجاري ينطق بنفس الطريقة التي تنطق بها الدال غير أن مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبقة في النطق بصوت الضاد.

٣- **التاء** : صوت صامت شديد مهموس مرقق انفجاري غير مطبق ينطق بنفس طريقة نطق صوت الدال ، غير أن الأوتار الصوتية في التاء لا تتذبذب .

٤- **الطاء** : صوت صامت شديد مهموس مفخم مطبق وتنطق كما ينطق التاء ، ويفرق بينهما بأن مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبقة عند نطق الطاء ، ولا يرتفع نحوه في نطق التاء ، ودون اهتزاز للأوتار الصوتية.

٥- **الزاي** : صوت صامت رخو مجهور مرقق لثوي احتكاكي مطبق يتم نطقه بوضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان ، ومقدمته مقابل اللثة العليا ، مع رفع الطبقة تجاه الحائط الخلفي للحلق ، فيسد المجرى الأنفي ، ويتم كل هذا مع وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية .

٦- **السين** : صوت صامت رخو مهموس لثوي مرقق احتكاكي ، ينطق بنفس طريقة نطق الزاي ، غير أن الأوتار الصوتية تهتز مع الزاي ولا تهتز مع السين .

٧- **الصاد** : صوت صامت رخو مهموس مفخم لثوي احتكاكي مطبق ينطق كما ينطق السين غير أن مؤخرة اللسان ترتفع معه ناحية الطبقة .

سابعاً : الأصوات الطباقية : وهي الكاف والغين والحاء .

١- **الكاف** : صوت صامت شديد مهموس حنكي مرقق انفجاري ، يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبقة ، وإصاقه به ، وإصاقه الطبقة بالحائط الخلفي للحلق ، ليسد المجرى الأنفي ، مع إهمال الأوتار الصوتية وعدم اهتزازها .

٢- **الغين** : صوت صامت رخو مجهور مرقق حنكي احتكاكي ، يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان ، حتى يتصل بالطبقة ، اتصالاً يسمح للهواء بالمرور ، فيحتك باللسان والطبقة في نقطة تلاقيهما ، وفي نفس الوقت يرتفع الطبقة ليسد المجرى الأفقي ، مع حدوث ذبذبات في الأوتار الصوتية .

❖ وقد عد سيبويه وغيره من القدماء صوت (الغين) من الأصوات الحلقية .

٣- **الخاء** : صوت صامت رخو مهموس مرقق حنكي احتكاكي ، ينطق بنفس طريقة نطق الغين ، إلا أن الأوتار الصوتية ، لا تهتز معه ، وتهتز مع الغين .

ثامناً : الأصوات اللهوية : ومنها صوت :

١- **القاف** : صوت لهوي شديد مهموس مصمت ينطق برفع مؤخرة الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ، ليسد المجرى الأنفي ، ورفع مؤخرة اللسان حتى يتصل بالهالة والجدار الخلفي للحلق ، مع عدم حدوثذبذبة في الأوتار الصوتية ، فينحبس الهواء ثم ينفجر بعد انفصال العضوين المتصلين .

٢- **الكاف** : ومخرجه من أقصى اللسان بعد مخرج القاف .

تاسعاً : الأصوات الحلقية : وهي : العين والحاء .

١- **العين** : صوت حلقي رخو مجهور مرقق ، يتم نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار ، ونشوء لسان المزمار إلى الخلف مع قرب اتصاله بجائط الحلق الخلفي ، مع ارتفاع الطبق ليسد المجرى الأنفي ، وتهتز الأوتار الصوتية .

٢- **الحاء** : صوت صامت حلقي رخو مهموس مرقق احتكاكي ، وهو نفس نطق العين مع عدمذبذبة الأوتار الصوتية معه ، وذبذبتها مع العين .

عاشراً : الأصوات الخيشومية : وهي النون الساكنة والتنوين وحين ادغامها بغنة أو إخفائهما ، والنون والميم المشددتان (١) .

الحادي عشر : الأصوات الحنجرية : وهي : الهمزة والهاء .

١- **الهمزة** : صوت صامت شديد مهموس مرقق حنجري انفجاري ، ينطق بإغلاق الأوتار الصوتية إغلاقاً تاماً ، فلا تهتز ويمنع مرور الهواء ، فيحتبس خلفهما ، ثم تفتح فجأة ، فينطلق الهواء متفجراً (٢) .

(١) انظر : النشر ٢٠١١/١ ، ودراسات في فقه اللغة - د / صبحي الصالح - ص ٢٨ .
(٢) والهمزة عند الدكتور / إبراهيم أنيس ، صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، ورجح ذلك أستاذي - د / كمال بشر إذ يقول : " والقول بان الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور ، هو الرأي الراجح ، إذ إن وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها ، لا

❖ وضع خاص للهمزة : -

أما الهمزة فمخرجها من المزمار نفسه ، وعند النطق بها تنطبق فتحة المزمار تمامًا بحيث لا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق ، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة ، فيسمع صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء المضغوط ، فالهمزة إذن صوت شديد لا هو بالمهموس ولا بالمجهور .

٢- **الهاء** : صوت رخو مهموس مرقق احتكاكي حنجري مصمت ، يتم نطقه بأن يحتك الهواء الخارج من الرئتين ، بمنطقة الأوتار الصوتية دون أن تحدثذب لهده الأوتار ، ويرتفع الطبقة ليسد المجرى الأنفي .

❖ وبوصفنا لصوت الهاء ننتهي من وصف الأصوات الصامتة في العربية الفصحى ، ويهنا هنا أن نقرأ قول (ماريوباي) : إن عدد الأصوات التي يمكن لجهاز النطق الإنساني أن ينتجها ، لم يمكن حصرها أو تقديرها على وجه الدقة حتى الآن .

❖ وهذا يرجع إلى أن أقل انحراف في المخرج يمكن أن يعطي نتائج مختلفة ، تدرجها الأجهزة الحساسة ، مثل السيكتروجراف أو مسجل تردد الموجات الصوتية ، إن لم تدرجها الأذن .

❖ وأيضًا فإن كثيرًا من الأصوات الإنسانية ، التي لا تعد أصواتًا كلامية في بعض اللغات ، تعد بكل تأكيد أصوات كلامية في بعضها .

❖ ❖ تقسيم الأصوات اللغوية حسب طبيعتها وخواصها إلى : -

١-الصوامت والصوائت :-

تنقسم الأصوات اللغوية إلى صوامت (أصوات ساكنة) ، وهي الأصوات التي يحدث حال النطق بها اعتراض أو حائل في مجرى الهواء سواء أكان هذا اعتراض كاملاً في نطق بعض الأصوات ، أم كان الاعتراض جزئياً من شأنه أن يضيق مجرى ولكن يسمح فيها له بالمرور مع إحداث نوع

يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر ، أو ما يسمى بالهمس " وإن كان ذلك غير دقيق - لأن - د / أنيس يصف الصوت المهموس ، بأنه الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ، ومعنى هذا أن الأوتار الصوتية ، إما أن تتذبذب فيحدث الجهر ، أو لا تتذبذب فيحدث الهمس ولا ثالث ، ومن ثم فإن وصف الدكتور / أنيس للهمزة ، بأنها ليست مجهورة ولا مهموسة وصف غير دقيق .

من الحفيف أو الاحتكاك المسموع كما في بعضها الآخر ، أو ما يحدث له من تغير أو انحراف فيخرج (الهواء) من جانبي الفم ، أو من الأنف كما يحدث في بعضها الآخر .

✽ وقد أطلق علماء العربية على الأصوات الصامتة اسم (الحروف) ، وقد أولوها عناية خاصة ، ووجهوا إليها معظم جهودهم وبحوثهم الصوتية .

✽ هذا وأكرر مرة ثانية أنهم وجدوا أن الصفة أو الخاصية التي تجمع بين الأصوات الصامتة كلها هي : أن مرور الهواء حال النطق بها يعترض حائل أو عائق مجراه سواء أكان هذا الاعتراض أو العائق أو الحائل كاملاً فلا يسمح للهواء الخروج برهة من الزمن ثم لا يلبس يحدث صوتاً انفجارياً ، وذلك كما في الأصوات الشديدة أو الانفجارية ، أم كان الاعتراض أو الحائل جزئياً بأن يسمح بمرور الهواء ولكن بصورة يحدث معها حفيف مسموع ، كما في الأصوات الرخوة أو الاحتكاكية .

✽ أما في حالة الأصوات الصائتة (أصوات العلو أو اللين) ، وهي الأصوات المجهورة التي يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من الحلق أو الفم أو الأنف ، فيخرج الهواء حرّاً طليقاً دون وجود مانع يعترض مجراه أو يضيقه مما يحدث معه احتكاك مسموع .

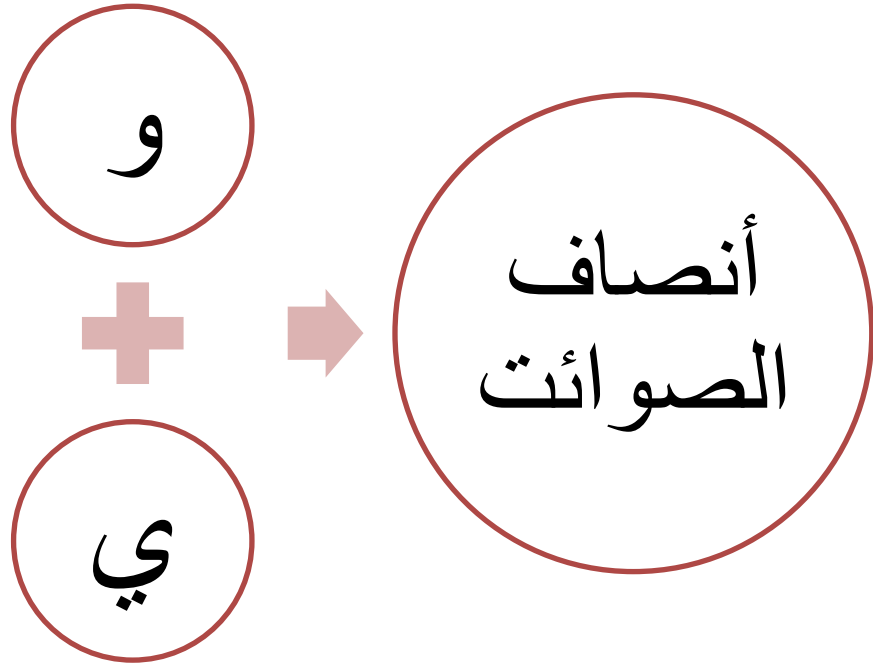
✽ ✽ أي أنه عند النطق يندفع هواء الزفير من الرئتين للخروج ، فإذا عاقه عائق عند اندفاعه فإنه ينشأ صوت (صامت) ، وإذا غاب العائق نشأ صوت (صائت) .

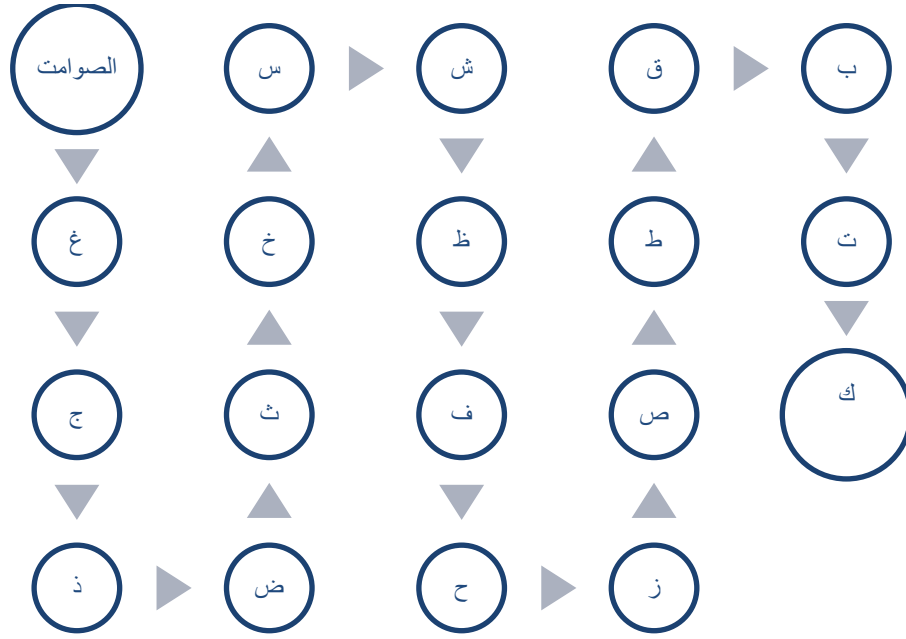
✽ والأصوات الصامتة في العربية ثمانية وعشرون صوتاً هي : همزة القطع - ب - ت - ث - ج - ح - خ - د - ذ - ر - ز - س - ش - ص - ض - ط - ظ - ع - غ - ف - ق - ك - ل - م - ن - هـ ، والواو والياء اللتان ليستا مدّاً كما في (ولد - نوم - سيف - يترك) .

بمعنى أن الواو والياء من الصوامت إذا : -

١ - أتبعنا بحركة من أي نوع كما في (وُلِدَ - يَتْرُك) ، لوجود بعض الخواص النطقية التي تقربهما من الصوامت .

٢ - وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة ، كما في : (نَوْمٌ - وَحَوْضٌ - وَبَيْتٌ - وَسَيْفٌ) مما قربهما من الصوامت لأسباب نطقية ووظيفية .





❁ ❁ تسمية الصوائت بالحركات ، والصوامت بالساكنة (١) :-

والصوائت في العربية سَمَّاها القدماء (بالحركات) وهي : الفتحة والضمة والكسرة ، وتسمى الحركات القصيرة ، وألف المد في (سما) ، وواو المد في (يسمو) ، والياء الممدودة في (سامي) وتسمى الحركات الطويلة ، وأنصاف الحركات (أصوات اللين) وهما : الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما في مثل : قول - قوم ، وبيت وبيع ، ويخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان وهما ساكنان بخلاف المد في الألف .

❁ وقيل : إن الحركات الثلاثة هي أبعاض حروف المد ، وتأخذ خصائصها النطقية (١) .

(١) سميت الصوامت بالساكنة ، لأنها أقل وضوحاً في السمع من الصائت (الحركات) وتسميتها بالصوامت أفضل من الساكنة ، وعلى ذلك فالصوائت تسمع من مسافة عندها قد تخفى الأصوات الصامتة أو يخطأ في تمييزها ، وليس هذا الوضوح السمعي للصوائت على قدر متحد في الوضوح ، بل منها الأوضح ، فالصوائت المتسعة أوضح من الصوائت الضيقة فالفتحة أوضح من الضمة والكسرة ، وهكذا ، وكذلك في الأصوات الصامتة ليست قلتها على درجة واحدة ، فبعضها أوضح من الآخر ، فالأصوات المجهورة أوضح من الأصوات المهموسة ، كما أن (اللام والميم والنون) من أكثر الأصوات الصامتة وضوحاً ، لذا يسميها البعض (بالصوائت) نظراً لما فيها من الوضوح السمعي ، ولأنها لا يكاد يسمع لها نوع من الحفيف وإن كان مجرى الهواء معها تعرضه بعض الموانع والحوائل .

يفضل - د / كمال بشر استخدام مفهوم (صامتة) بدلاً من (ساكنة) لأن فيها (ليس) فيظن بها أن الحرف المضبوط بالسكون ، كعلامة جزم أو بناء ، بينما يرى أن استعمال التسمية (الحركات) للأسماء الصائتة ، بأنها تسمية مقبولة .

❖❖ **ومن خصائص الصوائت** أنها أكثر وضوحًا في السمع من الصوامت ، وتسمع على مسافة أبعد عندما تنطق بشكل طبيعي .

❖ ومن هذا كله أرى : أن هذا التقسيم مبني على مجرى الهواء وعدد الذبذبات المصاحبة للصوت ، والوضوح السمعي للصوت ، والوظيفة المقطعية وكيفية مرور الهواء في المجرى ، فالصوائت أو الحركات الهواء معها حال النطق بها يمتد خلال مجراها ، ويستمر في الامتداد لا يقطعه شيء ولا يمنع استمراره أي عارض إلا بانتهاء نطق الصوت نفسه ، بخلاف الصوامت فالهواء معها خلال مرورها في الحلق والفم حتى خروجه تعترضه حوائل وموانع .

❖ **الفرق بين الصوائت (أصوات الحركات) ، والصوامت (الأصوات الساكنة) :**

أ- من الناحية النطقية (الفسيولوجية) نجد الآتي :-

١- أن الصوائت (الحركات) تخرج مع الهواء الخارجي مع النفس بدون اعتراض ، أو حدوث حفيف مسموع ^(٢) ، بينما الصوامت (الساكنة) تخرج مع الهواء ويصاحبها نوع من الحفيف المسموع ، كنطق الحاء أو السين أو الفاء أو التاء أو الدال أو الياء .
ومعنى ذلك :-

أن الأصوات الصائتة تنتج عندما يكون الطريق مفتوحًا دون عائق ، والهواء يخرج مهتزًا بواسطة الأوتار الصوتية دون اعتراض أو حدوث حفيف أو حبس ، أما الأصوات الصامتة فتحدث عندما يكون الطريق في الممر الصوتي منغلقًا تمامًا بواسطة بعض أعضاء النطق أمام الهواء الخارج مع الصوت ، فإذا ما فتح قليلاً بحيث يسمح بمرور الهواء أثناء النطق حدث نوع من الحفيف المسموع ^(٣) .

٢- اهتزاز الأوتار الصوتية مع النطق بالحركات (الصائتة) ، بينما في أثناء النطق بالأصوات الساكنة (الصامتة) لا تهتز .

(١) الفرق بين حركات وحروف المد، هو فرق في زمن النطق فقط ولا فرق من حيث النوع .

(٢) وذلك لسعة المسافة بين اللسان وسقف الحنك .

(٣) وذلك لضيق المسافة بين اللسان والحنك ، وإما أن ينغلق مجرى الهواء تمامًا في منطقة ، ويفتح في منطقة أخرى أمام الهواء فينتج لنا في الحالة الأولى (الحركات) ، وفي الأخيرة (الصوامت الساكنة) .

ب- **من الناحية الفيزيائية (الأكوستيكية)** : نجد أن أصوات الحركاتذبذباتها الصوتية منتظمة ، كثيرة العدد ، شديدة ، قوية ، بينما الصوامتذبذباتها المصاحبة لها غير منتظمة ، وأقل عددًا وقوة .

ج- **من الناحية السمعية (الإدراكية)** : الحركات أكثر وضوحًا في السمع لذا تدركه الأذن بصورة واضحة ، ومن مسافة بعيدة ، بينما الصوامت أقل وضوحًا فلا تميزه الأذن أو تدركه بسرعة ، إذا كان من مسافة بعيدة .

د- **من الناحية الوظيفية** : - الحركات تشكل مركز المقطع الصوتي ، لذا تسمى (المقطعية) ، والصوامت تسمى (غير المقطعية) .

❖ أهمية الحركات ❖

تسهل الحركات النطق للأصوات الساكنة ، لذا يكسر سكان العراق (الصاد) من (مصر) كما أن الحركات تكون عاملاً مساعدًا في الغناء حيث يطيل المغني في الصوت ، وينوع في النغمة : غليظة ، حادة ، دقيقة ، مرتفعة ، منخفضة ، صوت فرح ، حزن ، كل ذلك بفضل الحركات كما يحدث في تشكيل الإيقاع الموسيقي في الشعر (١) ، كذلك تلعب الحركات دورًا فعالًا في اختلاف معاني الألفاظ فهذه الكلمة اسم ، فعل ، اسم فاعل ، فمثلًا لو قلنا :

صَابِرٌ أو حَافِظٌ : فعل ماضٍ ، وصَائِرٌ ، حَافِظٌ (أمر) ، وصَابِرٌ ، وحَافِظٌ : اسم فاعل من صبر وحفظ ، وصَابِرٌ وحَافِظٌ : علم على شخص ، فالذي أدى لاختلاف هذه الصيغ في معانيها أو دلالتها ، ونظامها الصوتي والصرفي والنحوي هو اختلاف الحركات .

❖ كذلك لو قلت : دين ، بكسر الدال وهو العقيدة والأحكام والشرائع ، وقولك : دَيْنٌ ، بفتح الدال : وهو (ما عليك من حقوق لغيرك) ، كما تلعب الحركات دورها في اختلاف المقاطع الصوتية ما بين قصيرة ومتوسطة وطويلة فمثلًا مقطع مثل (الشين) من شارح ، و (شا) من شارح - وهما مختلفان من ناحية القصر والتوسط ، بخلاف المقطع الطويل في قولك : باب ، وناب ، وهذا واضح في أمثلة كثيرة دور الحركات في التركيب المقطعي للغة .

(١) وأيضًا بالنسبة للخطيب والمتحدث المنسق لكلامه والمجمل لصوته ترغيبًا وترهيبًا ، شعرًا ونثرًا ، قرآنًا وحديثًا ، وتلعب الحركات دورًا فعالًا في البناء اللغوي بما تؤديه من قيم دلالية للألفاظ والكلمات ، فمثلًا : شَرَحَ الدرسَ بخلاف : شَرَحَ الدرسَ - وذلك بفتح وفتح (شَرَحَ) الأولى ، ثم ضم وكسر (شَرِحَ) الثانية ، فاختلاف التركيب أو البناء لاختلاف الحركات .

✽ وقد كانت أهمية الحركات موضع اهتمام العلماء الباحثين ردحًا من الزمن ، وحظيت بدراساتهم لها وتفكيرهم فيها لغويًا وصوتيًا حتى وضعوا معاييرهم لضبط نطق الحركات ، هذه المقاييس صالحة لجميع اللغات ، لا اللغة خاصة بعينها (١) - ناظرين إلى إمكانيات جهاز النطق من حيث وضع اللسان حين النطق بالحركة ، وطريقة النطق بها ، وذلك لتجنب عيوب النطق فيها ، والتقليل من احتمال الخطأ في النطق .

✽ تقسيم أصوات الحركات (٢) ✽

يقوم هذا التقسيم على :-

١ - الوضع الأفقي ، والرأسي للسان ، أي الجزء الذي يرتفع أو ينخفض من اللسان الأمامي أو الخلفي ، أي على حسب درجة ارتفاع أو انخفاض اللسان ، وما يترتب على ذلك من ضيق أو اتساع لمجرى الهواء .

٢ - وضع الشفتين من حيث انفراجهما أو استدارتها أو وضعها في وضع محايد .

٣ - الزمن : الذي يستغرق في نطق الحركة .

أولاً : أقسام الحركات على حسب الوضع الأفقي للسان :-

أ- **حركات أمامية** ، هي تلك الحركات التي يرتفع حال النطق بها الجزء الأمامي من اللسان تجاه مقدم الحنك ، أي : تخرج من مقدم اللسان ، وهي : الكسرة القصيرة ، والفتحة المرققة ، والكسرة والفتحة الطويلة (ياء وألف المد) .

ب- **حركات خلفية** : هي تلك الحركات التي تتكون عن طريق رفع الجزء الخلفي من اللسان تجاه الحنك اللين ، أو أقصى الحنك ، أي : تخرج من مؤخرة اللسان ، وهي : الفتحة المفخمة ، والضمة القصيرة ، والفتحة الطويلة ، والواو الطويلة (ألف المد وواو المد) .

ج- **حركات مركزية (الوسطى)** : تخرج من وسط اللسان ، وهي الحركات التي تكون أعلى نقطة في اللسان حين النطق بها .

(١) ومن أهم المعايير المشهورة : (مقاييس دانيال جونز) عالم الأصوات الإنجليزي ، والذي اعتمد فيها على مراعاة الجانب الفسيولوجي أثناء النطق بالحركات ، أي النظر لوضع أعضاء النطق من حيث وضع اللسان ووضع الشفتين أثناء نطق هذه الأصوات ، والمقصود بوضع اللسان اتجاه حركته ارتفاعاً وانخفاضاً أثناء نطق الحركة ، والمقصود بوضع الشفتين : ضمهما أو انفراجهما أو وضعهما في وضع محايد .
(٢) راجع علم اللغة العام (أصوات) - د / د / كمال بشر - ص ١٤٣ وما بعدها ، وأصول اللغة - د أحمد محمد سلامة .

ثانياً : أقسام الحركات حسب الوضع الرأسي للسان : -

- ١- **حركات ضيقة** : وتكون المسافة بين اللسان وسقف الحنك أضيق لدرجة أنه لو ارتفع لأحدث نوعاً من الحفيف ، والكسرة والضمة من هذه الحركات ، أي أنها تلك الحركات التي يرتفع اللسان حال النطق بها تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة في منطقة الحركات .
- ٢- **حركات نصف ضيقة أو متوسطة الضيق** ، تكون المسافة بين اللسان وسقف الحنك أوسع قليلاً من الأولى أي هي تلك الحركات التي يقع اللسان حال النطق بها في ثلث المسافة من الحركات الضيقة إلى الحركات المتسعة .
- ٣- **حركات متسعة (منتفخة) وهي** : الفتحة المرققة والمفخمة ، وفيها ينخفض اللسان إلى قاع الفم ، أي المسافة بين اللسان وسقف الحنك أوسع ما تكون ، أي : هي تلك الحركات التي يكون اللسان حال النطق بها منخفضاً في قاع الفم إلى أقصى درجة .
- ٤- **حركات نصف واسعة أو متوسطة الاتساع** : وفيها ينخفض اللسان بدرجة أقل من السابقة ، أي : تلك الحركات التي يقع اللسان حال النطق بها في ثلثي المسافة من الحركات الضيقة إلى الحركات المتسعة .

ثالثاً : أقسام الحركات حسب وضع الشفتين : -

- أ- **حركات مضمومة أو مستديرة** : وفيها تستدير وتضم الشفتان ، وتمثلها : الضمة (قصيرة أو طويلة) .
- ب- **حركات منفرجة (غير مستديرة)** : وفيها تنفرج الشفتان وتتسع ، وتمثلها : الكسرة (قصيرة أو طويلة) .
- ج- **حركات محايدة** : وفيها تكون الشفتان في وضع عادي ، فليست بالمنفرجة ولا المستديرة ، وتمثلها : الفتحة المرققة وهي أقرب للانفراج ، والمفخمة وهي أقرب للاستدارة .

رابعاً : أقسام الحركات حسب زمن النطق :-

- ١- **حركات قصيرة** : وهي حركات غير مشبعة ، أي تأخذ نصف الوقت الذي تستغرقه الحركات الطويلة ، وتمثلها : الفتحة ، والكسرة ، والضمة .

٢ - **حركات طويلة** : وهي حركات مشبعة ، تستغرق ضعف الوقت الذي تستغرقه الأولى ، وتتمثل في قولك : شرح بفتحة (حركة قصيرة) ، بخلاف شارح ، الألف حركة طويلة ، وأطول منها وقوع همزة بعد الألف ، نحو : شاء ولكن تندرج هذه الدرجات تحت مسمى (حركات طويلة) ، وهي (ألف المد ، وياء المد ، وواو المد) .

❁ ❁ خلاصة ذلك :-

أ- أن نظام الحركات في العربية من الجانب الصوتي الذي اعترف به ابن جني وقدامى العرب (١) وهو :

١- الفتحة - الكسرة - الضمة (القصيرة) .

٢- الفتحة الطويلة (الف المد) ، نحو : قال .

٣- الياء الطويلة (ياء المد) ، نحو : القاضي .

٤- الواو الطويلة (واو المد) ، نحو : يدعو .

ب- الرموز أو العلامات التي تدل على هذه الحركات فهي العلامات المعروفة للحركات القصيرة ، والألف والياء والواو للحركات الطويلة (٢) .

❁ ❁ صفات الأصوات الساكنة

❁ ❁ من حيث اهتزاز الأوتار الصوتية وعدمه :

❁ ❁ الأصوات المجهورة (المهترزة) والأصوات المهموسة (غير المهترزة) :

قد يحدث أثناء النطق ببعض الأصوات أن يكون الوتران الصوتيان متقاربين بحيث لا يسمحان للتيار الهوائي الصادر من الرئتين أن يمر خلالهما دون أن يهتز اهتزازاً منتظماً فيحدثان الذبذبة فإذا اهتز الوتران الصوتيان مع الصوت سمي (مجهوراً) (٣) والجهر عبارة عن تذبذب الحبال الصوتية خلال النطق بصوت معين ،

(١) يقول ابن جني : " الحركات أبعاض حروف المد " فكانها تتفق معها في كل شيء مع فارق واحد هو القصر والطول .
(٢) انظر علم اللغة العام (أصوات) - د / كمال بشر - ص ١٤٨ ، وعلم الأصوات - د / عيد الصبور شاهين - ص ١٠٩ .
(٣) يذكر المحدثون من علماء الأصوات ، أنه لاختبار جهر الأصوات : يوضع الإصبع فوق تفاحة آدم ، ثم تنطق الصوت كوحدة مستقلة عن غيره من الأصوات ، فإذا نطقنا بالصوت وحده ، وكان من المجهورات ، تشعر باهتزازات الوترين الصوتيين ، وكذلك حين تضع أصابعنا في آذاننا نطق بالصوت المجهور كوحدة مستقلة عن غيره ، تحس برنة الصوت في رؤوسنا ، أو يضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء النطق بالصوت المختبر ، فيحس برنين الصوت ، وذلك الرنين هو أثر ذبذبة الوترين الصوتيين .

والهمس هو : عدم تذبذب الحبال الصوتية ، خلال النطق بصوت آخر (١) .

وقيل : والجهر : هو انحباس جري النفس عند النطق بالحرف لقوته ، وذلك لاعتماد على مخرجه ، وجمع بعض القراء حروفه في قولهم : عظم وزن قارىء ذي غضب جد طلب ، والهمس : ضد الجهر فهو انطلاق النفس عند النطق بالحرف لضعفه ، وذلك لضعف الاعتماد على مخرجه .

❖ **والأصوات المجهورة في العربية النحوى هي :** الألف ، ب ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ق ، ل ، م ، ن ، والواو في (وردة) ، والياء في (يد) ، بالإضافة إلى أن الصوائت كلها من المجهورات ، إذن فالحروف المجهورة تمثل الكثرة الغالبة من الأصوات في الكلام المنطوق ، أما إذا كان الوتران الصوتيان منفرجين (متباعدين) فإن تيار الهواء الصادر من الرئتين يمر خلال التجويف الحلقي دون أن يتذبذب الوتران الصوتيان فتسمى الأصوات الناتجة (مهموسة) .

❖ **والأصوات المهموسة في العربية النحوى هي :** الصوائت الآتية : - ت ، ث ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ف ، ك ، هـ ، وقد جمعوها في قولهم (سكت فحثة شخص) وهي تمثل ٢٠ % من الكلام المنطوق ، مقابل ٨٠ % للأصوات المجهورة .

❖ وهذا أمر طبيعي وإلا فقدت اللغة العربية العنصر الموسيقي والرنين ، الخاص الذي يميز الكلام من الصمت والجهر والهمس .

❖❖ **الأصوات : (الشديدة والرخوة) (الانفجارية والاحتكاكية)**

هناك أصوات توصف بأنها (انفجارية) وسماها سيبويه (شديدة) ، وتتكون نتيجة لحدوث انغلاق تام لمجرى الهواء المندفَع من الرئتين في نقطة المخرج ، ثم انفتاح مفاجيء فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً (شديداً) ، وفي مقابل الأصوات الانفجارية نجد الأصوات الاحتكاكية أو الرخوة ، وهي أصوات لا ينطلق مجرى الهواء عند النطق بها انطلاقاً تاماً وإنما يضيق المجرى

انظر : الأصوات اللغوية - د / إبراهيم أنيس - ص ٢٣ ، وعلم اللغة د - / محمود السعران - ص ١٤٩ ، ودراسات في فقه اللغة - ص ٢٨١ .
(١) انظر : علم الأصوات لبرتيل مالبرج - تعريب ، ودراسة - د / عبد الصبور شاهين - ص ١٠٩ - ط ١٩٨٨ م - مكتبة الشباب .

بحيث يمر الهواء مع احتكاكه بجانبى المجرى فيحدث الهواء نوعًا من الصفير أثناء مروره بمخرج الصوت ، وعلى قدر نسبة الصفير في الصوت تكون رخاوته ، وعلى هذا فأكثر الأصوات رخاوة تسمى بأصوات الصفير وهي : (س - ص - ز) .

✽ **والأصوات الشديدة :** (الهمزة - الباء - التاء - الدال - الضاد - الطاء - الكاف - الجيم - القاف) ، وجميعهم في قولهم : (أجد قط بكت) ، والشدة أو الانفجارية هي انحباس الصوت عند النطق بالحروف لتمام قوته وذلك لتمام قوة الاعتماد علي مخرجه ، كما تعني خروج الصوت فجأة ، وعكس الشدة : الرخاوة أو الاحتكاكية ، وهي انطلاق الصوت عند النطق بالحرف لتمام ضعفه ، وذلك لتمام ضعف الاعتماد علي مخرجه ، ويظهر كل من الشدة والرخاوة إذا سكن الحرف ، أما التوسط بين الشدة والرخاوة فيكون حين لا يتم انطلاق الصوت ولا انحباسه ، وحروف التوسط تجمع في (لن عمر)^(١) ، وتعني خروج الصوت دون انفجار أو احتكاك عند المخرج .

✽ **والأصوات الاحتكاكية أو الرخوة ، منها :**

١ - **المهموس ، وهي :** (الفاء - التاء - السين - الشين - الصاد - الحاء - الخاء - الهاء) .

٢ - **الجهور ، وهي :** (الذال - الزاي - الظاء - العين - الغين) . ✽ ومما سبق يتضح أن الذي يجري مع حروف الهمس ولا يجري مع حروف الجهر ، إنما هو النفس لا الصوت ، وأن الذي يجري مع حروف الرخاوة ولا يجري مع حروف الشدة إنما هو الصوت لا النفس^(٢) .

وهناك تقسيم وخصائص أخرى ينظر إلى ارتفاع مؤخرة اللسان ، أو انخفاضها عند نطق الصوت ، ففي الحالة الأولى يسمى الصوت (مفخمًا أو مطبقًا) ، نظرًا لارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الطبقة ، وهو الجزء الرخو من سقف الحنك .

(١) انظر دراسات في فقه اللغة - د / صبحي الصالح - ص ٢٨١ ، وعلم الأصوات - د / عبد الصبور شاهين - ص ١١٣ .
(٢) انظر : دراسات في فقه اللغة د / صبحي الصالح - نقلًا عن الاشتقاق - ص ٣٤٣ .

وفي الحالة الثانية يسمى الصوت (مرققًا أو غير مطبق) (١) .

❖ وهناك تقسيم آخر للأصوات فمنها :

❖ **أصوات جانبية** : كاللام ، حيث يغلق مجرى الهواء في وسط الفم مع هذه الأصوات ، ولكن يسمح له بالمرور من جانبي اللسان .

❖ **أصوات أنفية** : كصوتي الميم والنون ، حيث يغلق معهما ممر الهواء في الفم ، ولكن يسمح له بالخروج من تجويف الأنف .

❖ **أصوات تكرارية** : كالراء ، حيث يطرق مقدم اللسان سقف الحنك الصلب عدة طرقات ، وبين الطرقات يسمح بمرور الهواء على دفعات متوالية ، ويسمى الحرف تكرارياً ، لتكرار ضربات اللسان على اللثة تكرارًا سريعًا .

❖❖ **وإلى جانب ما درسناه من صفات أساسية توجد صفات أخرى تلعب دوراً ثانوياً**

في التمييز بين هذه الأصوات ، وأبرزها: -

١ - **أصوات مستعلة** : الخاء والعين والقاف والصاد والضاد والطاء والظاء ، وهي مجموعة في قولهم : (خص ضغط قظ) ، هذه الأصوات يرتفع فيها اللسان إلى أقصى الحنك ، سواء اتخذ شكلاً مقعرًا أم لا .

٢ - **أصوات مستفلة** (٢) : وتشمل الأصوات الأخرى غير السابقة ، هذه الأصوات لا يرتفع معها اللسان إلى أقصى الحنك .

(١) الأصوات المفخمة العربية ، هي : (الصاد - الضاد - الطاء) ومخرجها الأسنان ، واللثة ، و (الظاء) ومخرجها من بين الأسنان .

❖ والإطباق : ارتفاع وسط اللسان في اتجاه إلى أعلى الحنك بحيث يأخذ شكلاً مقعرًا كالطبق ، ولا تتصل به ، وحروفه " ص - ض - ط - ظ " .

❖ والطبقية هي ارتفاع مؤخرة اللسان حتى يتصل بالطبق فيسد المجرى ، أو يضيقه تضيقًا ، بحيث يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما ، والتي لا يرتفع فيها اللسان لأعلى الحنك ولا يأخذ شكل الطبق تسمى حروفًا منفتحة .

انظر : مناهج البحث - د / تمام حسان - ص ٨٩ ، والمدخل إلى علم اللغة د - / رمضان عبد التواب - ص ٣٨ ، ودراسات في علم الأصوات اللغوية - د / أحمد محمد سلامة - جامعة الأزهر بأسبوط - ص ١٣٣ .

(٢) الاستعلاء ضد الاستفال ، وهو وضع لسان يكون فيه أسفل ، في قاع الفم وذلك في بقية الأصوات المرفقة - انظر : علم الأصوات - د / عبد الصبور شاهين - ص ١٢٠ .

٣- **أصوات مفخمة** : وهي الأصوات المستعلة والمطبقة المجموعة في (خص ضغط قظ)
ويضاف إليها اللام ، والراء في حالات معينة (١) ، وهذه الأصوات هي التي يمتلئ الفم بصداها
عند النطق بها .

٤- **أصوات مرقة** : وهي الأصوات عدا الأصوات المفخمة وهذه الأصوات هي التي لا يمتلئ
الفم بصداها عند النطق بها .

✽ **كما أن هناك تقسيماً آخر لهذه الأصوات ، فمنها : -**

١- **أصوات الصفير** (٢) ، وهي (الزاي - السين - الصاد) ، ويصحبها اضطراب شديد للهواء
ينتج عنه صوت يشبه الصفير .

٢- **أصوات القلقة** : وقد جمعت في قولهم (قطب جد) ، ويصاحبها اضطراب وعدم استقرار
عند النطق بها ساكنة .

٣- **أصوات التنفسي** (٣) : وهي خاصة بالشين ، وهي صوت ينتشر في الفم عند النطق به .

٤- **أصوات الزلاقة** : وقد جمعت في قولهم : (مر نفل)

٥- **أصوات المصمتة** : وهي مقابلة لأصوات الذلاقة .

✽ وهناك من قسمها إلى صفات قوية : (الجهر والشدة والإطباق والاستعلاء والإصمات) ،
وصفات ضعيفة : (الهمس والرخاوة والانفتاح والاستفال والذلاقة) .

✽ وكل صوت لابد أن يتصف بصفات يحكم عليه بالقوة إذا غلبت عليه صفات القوة ، ويحكم
عليه بالضعف إذا غلبت عليه الصفات الضعيفة .

(١) تفخم الراء بعد حروف الاستعلاء وفتحت ولم تسبق بكسر ، أو لم يقع بعدها كسر ، وتفخم اللام في لفظ الجلالة إن سبقت
بفتح أو جاء بعد ضم ، نحو : إن الله - محمد رسول الله .

(٢) الصفير : وهو كون الصوت شديد الوضوح في السمع نتيجة الاحتكاك الشديد في المخرج ، وتوصف به الصوامت :
السين ، والزاي ، والصاد .

انظر : علم الأصوات السابق - ص ١٢٠ .

(٣) والتنفسي : وهو أن يشغل اللسان أثناء النطق بالصوت مساحة أكبر ، ما بين الغار واللثة ، ويوصف به (الشين) ولولا
التنفسي لصارت الشين سيئاً ، عند بعض ذوي العيوب النطقية ،

والاستطالة : وهو أن يستطيل مخرج الحرف حتى يتصل بمخرج آخر ، كنطق الضاد القديمة الرخوة ، انظر : علم الأصوات
السابق - ص ١٢٠ .

كذلك صَنَّف بعض اللغويين العرب ك (ابن جني) الأصوات الساكنة (الصامتة) إلى أصوات صحيحة أو مقابلة ، أو أصلية أو زائدة ، طبقاً للنظام الصرفي الغالب على النظام الصوتي للغة .

✦ نستخلص من ذلك كله ما يأتي :

١- الحركات أصوات انطلاقية يندفع الهواء خلال النطق بها عبر مجراه في الفم ، دون أي عائق يعترضه ، بعكس الصوامت التي تقوم على الاعتراض ^(١) ، وتختلف الحركات من لغة إلى أخرى ، كما أن الحركات أصعب من الأصوات الصامتة في النطق إلى حد ملحوظ ، ويظهر ذلك خاصة في نطق حركات اللغات الأجنبية .

٢- دور اللسان في تشكيل الحركات دور أساسي ، لأنه هو الذي يضيق مجرى الهواء في نقطة معينة ، أو يوسعه ، ليخرج الصوت على نحو ما يريده المتكلم ، فتحة أو كسرة أو ضمة ، أي حركة ضيقة أو واسعة .

٣- الخطأ في نطق حركات اللغات الأجنبية عامل من عوامل سوء الفهم ، كما أن الخطأ في نطق الحركات أوضح منه وأظهر في نطق الأصوات الصامتة ، وذلك راجع إلى طبيعة الحركات ، فهي أوضح في السمع ، وأقوى إذا قيست بالأصوات الصامتة ، لذا كان الخطأ في الحركات نابياً في الأذان ، غير مستساغ وغير مقبول ، لذا كانت عناية العلماء واهتمامهم الكبير بالحركات في الدراسات الصوتية .

٤- الشدة (الانفجارية) : هي خروج الصوت فجأة في صورة انفجار للهواء عقب احتباسه عند المخرج كما في نطق الباء ، والتاء ، والذال ، أما الرخاوة فهي خروج الصوت مستمراً في صورة تسرب للهواء ، محتكاً بالمخرج ، كما في نطق الثاء ، والحاء ، والزاي ^(٢) .

٥- أن الصوائت (الحركات) كلها مجهورة ، وأما الصوامت (السواكن) فمنها المجهور والمهموس ، وأن كل صوت مهموس فهو من الصوامت .

(١) انظر : علم الأصوات - ل (برتيل مالبرج) - تعريب ودراسة - د / عبد الصبور شاهين - ص ٧٥ - مكتبة الشباب - طبعة ١٩٩٧م .
(٢) انظر : الأصوات اللغوية د - / كمال بشر - ص ١٠٠ .

٦- أصوات الحركات : تقابل ما يعرف في لغتنا بالحركات الثلاث : الفتحة والكسرة والضمة ، وبحروف المد : الألف والواو والياء ، بينما تقابل الأصوات الساكنة أو الصامتة بقية الحروف (الأصوات) .

٧- كل صوت حدث له اعتراض في مجرى الهواء حال النطق به سواء أكان اعتراضاً تاماً أم جزئياً أم انحرافاً فهو من الصوامت ، وذلك كالباء والداد واللام ، ومثل : (س ، ش ، ص) .

٨- أن الأصوات الصائتة أكثر وضوحاً في السمع من الأصوات الصامتة

٩- كل صوت لا يمر الهواء حال النطق به من الفم - مجهوراً كان أو مهموساً صوت صامت ، كالميم والنون .

١٠- كل صوت غير مجهور (مهموس) صوت صامت .

١١- الهمزة العربية صوت صامت ، فهو ليس من الحركات ، لأنه حال نطقه يقابل الهواء باعتراض تام في الحنجرة .

١٢- الواو والياء في مثل : (ولد - حوض - يترك - بيت) أنصاف حركات ، وتسمى أصواتاً صامتة لقلّة وضوحها في السمع ولقصرها بمقايستها بالحركات .

❁❁ هذا وقد قسمت الأصوات الصامتة حسب طبيعتها تارة ، وخواصها تارة أخرى ، أو حسب وضع الأوتار الصوتية من حيثذبذبها ، وعدمذبذبها أثناء النطق ، أو حسب مواضع النطق ، أو مخرجه ، أو حسب حالة ممر الهواء عند مواضع النطق ، وهذا التقسيم مبني على اختلاف وجهات نظر العلماء (١) .

❁❁ جدول توضيحي مختصر لأصوات اللغة العربية ❁❁

- أ- انفجاري - وهو حرف حلقي ، لا هو بالمهموس ولا بالمجهور ، ومخرجه أقصى الحلق .
- ب- شفوي انفجاري مجهور شديد مقلقل منفتح مستقل زلق ، ومخرجه مما بين الشفتين .
- ت- أسناني لثوي انفجاري مجهور شديد منفتح مستقل مصمت ، ومخرجه مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا .

(١) انظر : علم الأصوات - د / عبد الصبور شاهين - ص ١١٣ .

- ث - ما بين أسناني احتكاكي مهموس رخو منفتح مستقل مصمت ، ومخرجها مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا .
- ج - لثوي حنكي صلب احتكاكي مهموس منفتح مستقل مصمت مقلقل ، مخرجها وسط الحنك .
- ح - حلقي احتكاكي مهموس ، ومخرجه وسط الحلق ، ولصعوبتها ينطقها غير العرب خاء أو هاء .
- خ - لهوي احتكاكي مهموس ، ومخرجه من أقصى الحلق .
- د - لثوي انفجاري مجهور ، منفتح مستقل مصمت مقلقل ، ومخرجه مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا .
- ذ - أسناني احتكاكي مجهور رخو مطبق منفتح مستقل مصمت ، ومخرجه مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا .
- ر - لثوي مكرر مجهور شديد احتكاكي زلق منفتح .
- ز - لثوي أسناني احتكاكي مجهور رخو منفتح مستقل مصمت ، ومخرجه مما بين الثنايا وطرف اللسان .
- س - أسناني احتكاكي مهموس ، ومخرجه مما بين الثنايا وطرف اللسان .
- ش - لثوي أسناني طرف لساني احتكاكي مهموس حنكي رخو مستقل مصمت ، ومخرجها وسط الحنك .
- ص - لثوي أسناني احتكاكي مهموس رخو مفخم (مطبق) مستقل مصمت ، ومخرجه مما بين الثنايا وطرف اللسان .
- ض - أسناني لثوي شديد انفجاري مفخم ، ومخرجها من أول حافة اللسان ، وأطراف الثنايا العليا .
- ط - حنكي صلب انفجاري مهموس مفخم احتكاكي مطبق مستقل مصمت ، ومخرجها مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا .
- ظ - ما بين أسناني احتكاكي مجهور مفخم (مطبق) ، ومخرجه مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا .

- ع- حلقي لهوي احتكاكي مجهور رخو مستقل مصمت ، ومخرجه وسط الحلق .
- غ- حلقي احتكاكي مجهور احتكاكي رخو منفتح مصمت ، ومخرجه من أدنى الحلق .
- ف- شفوي أسناني احتكاكي مهموس رخو منفتح مستقل زلق ، ومخرجه من بين الشفة السفلى و أطراف الثنايا العليا .
- ق- لهوي انفجاري مهموس شديد مقلقل منفتح مستقل مصمت ، وقيل : من أقصى الحنك ، أي حنكي انفجاري مجهور .
- ك- حنكي صلب احتكاكي مهموس شديد انفجاري منفتح مستقل مصمت .
- ل- حنكي احتكاكي مجهور مغلق منفتح مستقل زلق .
- م- خيشومي (شفوي أنفي) احتكاكي مجهور لا هو بالشديد ولا بالرخو منفتح مستقل زلق .
- ن- خيشومي (أسناني لثوي أنفي) احتكاكي مجهور ، مخرجه من طرف اللسان فما فوق الثنايا ، فهو أسناني لثوي .
- هـ- حنجري أدنى حلقي احتكاكي مهموس رخو منفتح مستقل مصمت ، ومخرجه أقصى الحلق .
- و- شفوي مفتوح مجهور ، مخرجه أقصى الحنك .
- ي- حنكي مفتوح مجهور احتكاكي رخو منفتح مستقل مصمت مخرجه من وسط الحنك .
- واصطلاحًا : جريان النفس ^(١) في مخرج الحرف عند النطق به ، وبذلك يكون الصوت خفيًا وضعيفًا . وحروفه عشرة هي : ت - ث - ح - خ - س - ش - ص - ف - ك - هـ .
- ٢- **الجهير** : (ضد الهمس) هو انحباس النفس في المخرج عند النطق بالحرف ، فيصدر الصوت من المخرج مجهورًا واضحًا قويًا . وحروفه : بقية الحروف ما عدا حروف الهمس العشرة .
- ٣- **الشدة** : لغة : القوة والمتانة . واصطلاحًا : انحباس الصوت في المخرج ثم انطلاقه مع انطلاق الهواء . ولذلك كانت معظم الحروف مجهورة ما عدا التاء والكاف لأن الصوت ينطلق

(١) النفس هو الهواء الخارج من الرنة أن خرج بطبعه دون احتكاك بالأوتار الصوتية . أما إذا احتك الهواء بالأوتار الصوتية سمي صوتًا .

بهما خفيفًا لطيفًا بعد انحباسه . وحروف الشدة ثمانية هي : أ - ج - د - ق - ط - ب ك ت . وهي مجموعة في (أجد قط بكت) .

٤-**الرخاوة** : (ضد الشدة) ويراد بها جريان الصوت في مخرج الحرف ، وذلك لضعف انحصاره فيه . وحروفها ما سوى حروف الشدة والتوسط .
التوسط : أي بين الرخاوة والشدة - ويسمى بعضها (البينية) . وحروفها هي : ل - ن - ع - م - ر . وهي مجموعة في (لن عمر) .

٥-**الاستعلاء** : لغة : الارتفاع ، واصطلاحًا : ارتفاع جزء كبير من اللسان أو معظمه عند النطق بالحرف . وحروفه سبعة : خ - ص - ض - غ - ط - ق - ظ . وأعلى درجاته في : ص - ض - ط - ظ ، حيث يرتفع أقصى اللسان . أي الجزء الذي يلي الحلق ويكون أضعف في : غ . وحروف الاستعلاء مجموعة في (خص ضغط قظ) .

٦-**الاستفال** : لغة الانخفاض ، واصطلاحًا : بعكس الاستعلاء ، أي انخفاض جزء كبير من اللسان أو معظمه عند النطق بالحروف ، وحروفه ما عدا حروف الاستعلاء ، وعند النطق بالحرف المستعلي ، يتضخم الصوت نتيجة لارتفاع اللسان ، وهو ما يسمى (بالتفخيم) ، أما عند النطق بالحرف المستفل فالصوت يرق نتيجة لانخفاض اللسان ، وهو ما يسمى (بالترقيق) .

٧-**الإطباق** : لغة : ضم شيء إلى شيء ، واصطلاحًا : زيادة درجة الاستعلاء في كل من حروف : ص - ض - ط - ظ ، حتى يكاد اللسان ينطبق مع الحنك الأعلى ، فينحسر الهواء بين اللسان والحنك بحيث يجعل الصوت في هذه الأحرف قويًا .

وأقوى درجاته في الطاء . ثم في الضاد ، ثم في الصاد ، وأضعفه في الظاء .

٨-**الانفتاح** : في سائر الحروف الباقية (سوى : ص - ض - ط - ظ) ، إما لضعف درجة الاستعلاء فيها وذلك في الغين والحاء لانعدام الإطباق فيهما وهما حرفان مستعليان ، وإما لكونها حروفًا مستفلة فيبتعد اللسان عند النطق بها من الحنك الأعلى تاركًا فتحة يمر منها الهواء والصوت .

٩- **الإصمات** : لغة : الإسكات أو المنع من الكلام ، واصطلاحًا : امتناع الحروف المصمته عن أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب حروفها أكثر من ثلاثة . ومعنى ذلك أن أي كلمة تتكون من أربعة أو خمسة أحرف أصلية ، يمتنع أن تكون فيها هذه الأحرف كلها مصمته ، بل لا بد أن يكون معها بعض من الحروف المذلقة .

فإذا وجدت كلمة رباعية أو خماسية غير مزيدة وليس فيها حرف مذلق (مثل : عسجد - إسحاق) فذلك دليل على عجمتها في الغالب .

١٠- **الإذلاق** : لغة : هو حدة اللسان أي طلاقته واصطلاحًا سرعة النطق بالحرف لخروجه من طرف اللسان كالكلام .

والإذلاق اصطلاحًا هو خروج الحرف بسهولة ويسر . وحروف الإذلاق هي : ف - ر - م - ن - ل - ب . مجموعة في جملة (فر من لب) .

١١- **الصفير** : لغة : صوت يشبه صوت الطائر .

واصطلاحًا: يراد به الصوت الزائد الذي يشبه الصفير . وهو يخرج عند نطق الزاي أو السين أو الصاد .

١٢- **القلقلة** : لغة : الحركة والاضطراب . واصطلاحًا : أن ينتهي النطق بالحرف الساكن بحركة خفيفة ، وتكون في حروف " قطب جد " . ويجب أن لا تزيد القلقله حتى تصل إلى حد تنقلب فيه إلى حركة ظاهرة فيتوهم السامع بأن الحرف مكسور .

١٣- **اللين** : ويراد به خروج الصوت بسهولة وامتداد . وهو صفة لحرفين وهما الواو والياء إذا سكنتا بعد فتح ما قبلهما .

١٤- **الانحراف** : وهذه الصفة موجودة في حرفي : اللام والراء فاللام فيها ميل ، وإذا لم يحترس القاريء عند النطق بها ، مال بها من مخرجها إلى مخرج غيرها . والراء فيها انحراف إلى مخرج اللام أو الياء .

١٥- **التكرار** : وهو في حرف واحد هو الراء . والمقصود بالتكرير أن طرف اللسان لا يستقر عند النطق بالحرف ، وإنما يرتعد ويتذبذب . ولذلك ينبغي الحرص على عدم الزيادة في التكرير عند

النطق بالراء المشددة ، مثل : " الرسل " - " الرعد " - " وخر موسى " - " الرحمن الرحيم " - " من شر " .

١٦- **التفشي** : لغة : الاتساع والانتشار . وهو صفة لحرف الشين . ويراد به أن الهواء ينتشر بين الفم واللسان عند النطق بالشين .

١٧- **الاستطالة** : وهي صفة لحرف الضاد . ويراد بها امتداد الصوت في مخرج الضاد من أول حافة اللسان إلى آخرها .

وقد قسم العلماء هذه الصفات إلى نوعين آخرين :

صفات قوية : الجهر - الشدة - الاستعلاء - الإطباق - الإصمات - الصفير - القلقلة - التكرير - الانحراف - التفشي - الاستطالة - والغنة في الميم والنون .

صفات ضعيفة : الهمس - الرخاوة - التوسط - الاستفال - الانفتاح - الإذلاق - اللين .
ولابد لكل حرف أن يتصف بخمس صفات على الأقل . والحرف الواحد لا تجتمع فيه صفتان متضادتان .

ثم يحكم للحرف بأنه قوي أو ضعيف طبقاً لأغلبية صفاته . فإن تساوت الصفات كان حرفاً متوسطاً بين القوة والضعف .

وعلى هذا فإن الحروف - بحسب قوتها أو ضعفها - تنقسم إلى خمسة أقسام :

- ١- أقوى : الطاء - الضاد - القاف - الظاء .
- ٢- قوي : الجيم - الدال - الصاد - الغين - الهمزة .
- ٣- أضعف : الحاء - التاء - الهاء - الفاء .
- ٤- ضعيف : الألف اللينة - التاء - الخاء - الذال - الراء - السين - الشين - العين - الكاف - اللام - الميم - النون - الواو - الياء .
- ٥- متوسط : الزاي - الباء .

❖ ملاحظات هامة ❖ :

١ - أقوى الحروف على الإطلاق (الطاء) لأن فيها ست صفحات قوية ، وليس فيها شيء من الصفات الضعيفة .

٢ - أضعف الحروف على الإطلاق (الفاء) لأن فيها خمس صفات ضعيفة ، وليس فيها شيء من الصفات القوية .

٣ - مراتب القلقة :

أ- قلقة كبرى : وتكون في المشدد الموقوف عليه كقوله تعالى : (الحق - الحج - وتب) .

ب- قلقة متوسطة : وتكون في الساكن المتطرف سكوناً أصلياً أو عارضاً كقوله تعالى : (فارغب - الطارق) .

ج- قلقة صغرى : ولها حالتان هما :

١ - تكون في الساكن المتوسط كقوله تعالى : (لتبلون - خلقنا) .

٢ - وتكون في الساكن الذي بعده حرف ساكن عارض لأجل الوقف عليه كقوله تعالى : (والفجر - حجر - القدر) ، وذلك في حالة الوقف فقط.

✽ الخلاصة ✽

صفات الحروف قسمان :

القسم الأول : الذي له ضد .

القسم الثاني : الذي ليس له ضد .

وإليك الصفات وأضدادها وحروف كل صفة .

١ - القسم الأول الذي له ضد .

الصفة	حروفها	الضد	حروفه
الهمس	فحثة شخص سكت	الجهر	الباقي بعد حروف الهمس
الشدة	أجد قط بكت	التوسط	لن عمر

الرخاوة	باقي بعد حروف الشدة والتوسط		
الاستفال	الباقي بعد حروف الاستعلاء	خص ضغط قط	لاستعلاء
الانفتاح	الباقي بعد حروف الإطباق	ص-ض-ط-ظ	الإطباق
الإصمات	الباقي بعد حروف الإذلاق	فر من لب	الإذلاق

٢- القسم الثاني : الذي ليس له ضد .

حروفها	الصفة
الزاي والسين والصاد	الصفير
القاف ، والطاء والباء والجيم والذال (قطب جد)	القلقلة
الواو، الياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما	اللين
اللام والراء	الانحراف
الراء فقط	التكرير
الشين فقط	التفشي
الضاد فقط	الاستطالة

جدول لبيان حروف الهجاء مخرجاً وصفة

حرف الهجاء	مخرجه	صفات القوة فيه	صفات الضعف فيه	الصفات التي لا قوة ولا ضعف فيها	عدد الصفات
الهمزة	قصى الحلق	الجهر والشدة	لاستفال والانفتاح	الإصمات	٥
الباء	ان مع انطباقهم	الجهر والشدة والقلقلة	لاستفال والانفتاح	الذلاقة	٦
التاء	اللسان وأصول لثنايا العليا	الشدة	تفالوالانفتاح والهمس	الإصمات	٥
الثاء	اللسان وأطراف لثنايا العليا		س والرخاوة والاستفال والانفتاح	الإصمات	٥
الجيم	لسان مع ما فوق الحنك الأعلى	الجهر والشدة والقلقلة	لاستفال والانفتاح	الإصمات	٦

٥	الإصمات	س والرخاوة والاستفال والانفتاح		وسط الحلق	الحاء
٥	الإصمات	س والرخاوة والانفتاح	الاستعلاء	أدنى الحلق	الخاء
٦	الإصمات	الاستفال والانفتاح	الجهر والشدة والقلقلة	اللسان وأصول لثنايا العليا	الذال
٥	الإصمات	س والرخاوة والانفتاح	الجهر	اللسان وأصول لثنايا العليا	الذال
٧	الذلاقة	(بين الرخاوة والشدة الاستفال والانفتاح	جهر والانحراف والتكرير	اللسان مما يلي ظهره	الراء
٦	الإصمات	س والرخاوة والانفتاح	الجهر والصفير	اللسان وأطراف لثنايا السفلى	الزاي
٦	الإصمات	س والرخاوة والاستفال والانفتاح	الصفير	اللسان وأطراف لثنايا السفلى	السين
٦	الإصمات	س والرخاوة والاستفال والانفتاح	التفشي	اللسان مع ما فوقه الحنك الأعلى	الشين
٦	الإصمات	الهمس والرخاوة	الاستعلاء والإطباق والصفير	اللسان مع أطراف لثنايا السفلى	الصاد
٦	الإصمات	الرخاوة	الجهر والاستعلاء والإطباق والاستطالة	حافتي اللسان مع من الأضراس العليا	الضاد
٦٦	الإصمات		والشدة والاستعلاء والإطباق والقلقلة	لسان وأصول الثنايا (مثل التاء)	الطاء
٥	الإصمات	الرخاوة	الجهر والاستعلاء والإطباق	اللسان و أطراف لثنايا العليا (مثل الذال	الظاء
٥	الإصمات	(بين الرخاوة والشدة الاستفال والانفتاح	الجهر	وسط الحلق	العين
٥	الإصمات	س والرخاوة والانفتاح	الجهر والاستعلاء	أدنى الحلق	الغين
٥	الإصمات	س والرخاوة والاستفال والانفتاح		الشفة السفلى مع لثنايا العليا	الفاء
٦	الإصمات	الانفتاح	والشدة والاستعلاء والقلقلة	اللسان مع ما فوقه الحنك الأعلى	القاف

الصفات	الصفات التي فيها ولا ضعف	صفات الضعف فيه	القوة فيه	مخرجه	الهجاء
٥	صمات	الهمس والاستفال والانفتاح	الشدة	السان مع ما فوقه من الحنك على (تحت مخرج القاف)	الكاف
٥	ذلاقة	ط (بين الرخاوة والشدة) والاستفال والانفتاح	لجهر	حافتي اللسان إلى منتهى طرفه ليقابل الأضراس الضواحك	اللام
٥	ذلاقة	ط (بين الرخاوة والشدة) والاستفال والانفتاح	لجهر	ان إذا كانت مظهرة أو مدغماً لجهر	الميم
٥	ذلاقة	ط (بين الرخاوة والشدة) والاستفال والانفتاح	لجهر	اللسان من تحت مخرج اللام كانت مظهرة	النون
٥	صمات	س و الرخاوة والاستفال والانفتاح		أقصى الحلق	الهاء
٦	صمات	خاوة والاستفال والانفتاح واللين	لجهر	(١) المدية من الجوف	الواو
٥	صمات	خاوة والاستفال والانفتاح واللين	لجهر	غير المدية من الشفتين	الواو
٦		الرخاوة والاستفال والانفتاح	لجهر	كون إمدية) - من الجوف	الألف
٦	صمات	خاوة والاستفال والانفتاح واللين	لجهر	(١) المدية من الجوف	الياء
		خاوة والاستفال والانفتاح واللين	لجهر	غير المدية من وسط اللسان ما فوقه من الحنك الأعلى	الياء

❁ وفيما يلي تقديم جدولاً نبين فيه مخارج الأصوات وصفاتها معاً على النحو الذي أوضحناه .

الصفات			المخارج
شديدة انفجارية			
مهموس	مجهور		
فخم (مرقق) منفتح	فخم (مطبق)	غير فخم (مرقق) منفتح	فخم مطبق
		ب	شفوية
			أسنانية شفوية
			أسنانية
ت	ط	د	أسنانية لثوية
			لثوية

				لثوية حنكية
				وسط الحنك
ك				أقصى الحنك
ق				لهوية
				حلقية
			الهمزة	حنجرية

الصفات				المخارج
رخوة (احتكاكية)				
مهموس		مجهور		
مفخم (مرقق) مطب	مفخم (مطبق)	مفخم (مرقق) منفتح	مفخم (مطبق)	
				شفوية
ف				أسنانية شفوية
ث		ذ	ظ	أسنانية
				أسنانية لثوية
س	ص	ز		لثوية
س				لثوية حنكية
				وسط الحنك
	خ	غ		أقصى الحنك
				لهوية
ح		ع		حلقية
هـ				حنجرية
الصفات				المخارج
متوسط			مركبة	
مجهور			مجهور	
صف حركي *	أنفي	تكراري	جانبي	
و	م			شفوية

					سنانية شفوية
					أسنانية
	ن				أسنانية لثوية
		ر			لثوية
				ج	لثوية حنكية
ي					وسط الحنك
و					أقصى الحنك
					لهوية
					حلقية
					حنجرية

الفهرس



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كلية : الآداب

قسم : اللغة العربية

كتاب السهم الذهبى

فى الدراسات اللغوية

" علم المعاجم "

تأليف

الدكتور / عاطف فكار

أستاذ النحو والصرف والعروض

رئيس قسم اللغة العربية فى كلية الآداب بقنا

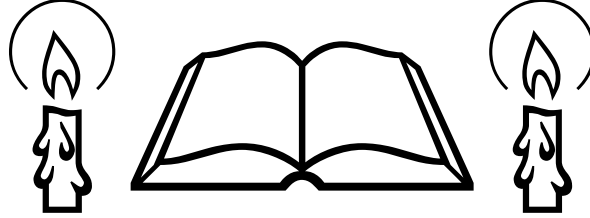
جامعة جنوب الوادي

٢٠٢١ / ١٤٤٣ هـ / م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27)
يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)

صدق الله العظيم [طه/٢٥ : ٢٨]



إهداء هذا الكتاب

إلى :

- والدي الطيب (رحمه الله).
 - ووالدتي الصابرة الغالية ، التي أعطتني ، ولم تأخذ مني
 - زوجتي الغالية ، وزهرات عمري أبنائي
 - والزملاء والزميلات .
 - كلُّ محبٍّ للغةنا العربية على امتداد الوطن العربي الكبير.
-

الفصل الأول

علم المعاجم

ويشمل قسمين :

القسم الأول : مفهوم مصطلح (المعجم)

والثاني : نماذج معجمية

المعجم بين اللغة والاصطلاح :

المعجم لغةً :

- جاء في المعجم الوسيط : المعجم : مفرد : (معاجم ، ومعجمات ، ومعاجيم) ، كمفاتيح / ومفاتيح ، ومعاذير / ومعاذير ، ومسانيد / ومسانيد ، ومذهب / مذاهب ، ومصحف / مصاحف ، وهو كثير في اللغة العربية ، ومادته (عجم) (ع . ج . م) ، تفيد الإبهام ، والخفاء ، وضده : البيان ، والإيضاح أى : بيان المعنى ، وكشف الغموض يقال : رجل أعجم ، وامرأة عجماء ، أى : لا يفصحان فالأعجم : لا يفصح ، ولا يبين فى كلامه ، واستعجم الرجل : سكت .

- ويرى د / إبراهيم مذكور أن المعجم الوسيط يذكر كلمة (المعاجم) عشر مرات ، واستعمل كلمة (المعجمات) مرة واحدة ، واستعملت اللجنة فى مقدمة المعجم كلمة (المعاجم) سبع مرات ، ولا تستعمل (المعجمات) .

- وجاء فى اللسان : حروف المعجم : حروف أ . ب . ت . ث ... سميت بذلك من التعجيم ، وهو إزالة العجمة بالنقط .

- وخلاصة ما سبق أن صيغى الجمع (معاجم ، ومعجمات) صحيحتان .
- المعجم اصطلاحاً :

- كتاب يضم ألفاظ اللغة كلها أو جُلّها بطريقة وافية ، أو بمنهج معيّن ، ومشروحة شرحاً يزيل إبهامها ، ويوضح غامضها ، ببيان اشتقاقها ، وكيفية نطقها وضبطها ضبطاً دقيقاً ، وبيان دلالتها ، مع ذكر شواهد من المأثورات تبين مواضع استعمالها ، فى أبواب وفصول مرتبة وهو مصطلح قديم ، واستعمل فى مجالات شتى ، وأن إطلاقه على العمل المعجمى فقط إنما هو عمل المحدثين ..

- تستعمل كلمة (القاموس) مرادفة لكلمة (المعجم) ، وقد أطلق الفيروز أبادى (ت ٨١٦ هـ) على معجمه كلمة (القاموس) ، ويعنى فى اللغة : ماء البحر ، أو البحر العظيم .

- دقة مصطلح المعجم : تأتى من :

١ - طريقة ضبط المادة اللغوية :

- ببيان حروفها ، وحركاتها ، وبنيتها ، وهيئتها ، ممّا يزيل العجمة ، ويمنع اللبس ، ويصحّح النطق .

٢ - بيان المعنى : بشرح ، وبتفسير ، وبتوضيح المعنى المستغلق ليكشف ما غمض .

٣ - استخدام المنهج المعجمى الذى يجعل العثور على المنشود سهلاً ميسوراً .

- نذكر أن الهنود كانت لهم أعمال معجمية للألفاظ الصعبة فى كتبهم المقدسة .. كذلك اليونانيون ، وكذلك المصريون ، والصينيون ..

- أما العرب فاهتموا بالمعاجم ساعة انتشار الإسلام واختلاط المسلمين بغيرهم من العجم ، فظهر اللحن بصورة متسعة أخافت علماء العرب على لغتهم ودينهم ، ويبدأ اللحن فى الظهور

والانتشار ، وتظهر معالمه فى الألفاظ ودلالاتها ، إضافة لوجود لهجات كثيرة عند القبائل العربى' مما استدعى الاستفسار عن معانى الألفاظ ودلالاتها فتطلبت الحاجة إلى عمل أو إنشاء معاجم توضّح ذلك ، فبدأت المعاجم صغيرة الحجم ، وخطوة خطوة كبر حجمها ، وزاد عددها مع امتداد الزمن وزيادة الحاجة إليها ، وبالفعل ارتبطت نشأة الدراسة المعجمية بالقرآن الكريم للبحث عن معانى مفرداته ، وخاصة الغريب منها ، كما فعل ابنُ عباس رضى الله عنهما فى تفسير القرآن ، والاستشهاد عليه بالشعر ..

. تمخضت الدراسة المعجمية عند العرب عن نوعين من المعاجم :

ـ النوع الأول : المعاجم الموضوعية ، أو المعنوية :

. اتجهت هذه المعاجم إلى الموضوعات؛ فجمعت الألفاظ التى تدور حول موضوع واحد ، كرسائل الأصمعى ، ومنا اتجه إلى المعانى ؛ فجمع المفردات التى تدور حول معنى واحد ، كما فعل (ابن السكيت) فى كتابه "الألفاظ" ، و (الأسكافى) فى كتابه " مبادئ اللغة " ، وابن سيده فى كتابه " المخصّص " .

ـ النوع الثانى : معاجم الألفاظ :

. وتهتم بجمع ألفاظ اللغة ، وترتيب كلماتها بطريقة ، أو بنظام معين يسهل البحث عن المعنى كما فعل الخليل بن أحمد فى كتابه (العين) ، وازدادت حركة التأليف المعجمى الموضوعى فى القرن الثانى الهجرى ، ثم تلاه تأليف معاجم الألفاظ ..

. من أهم المعاجم التى سنقوم بدراستها :

١ . أساس البلاغة : للزمخشري ت (٥٣٨ هـ) .

٢ . المصباح المنير: للفيومي ت (٧٧٠ هـ) .

٣ . لسان العرب : لابن منظور ت (٧١١ هـ) .

٤ . القاموس المحيط : لفيروز آبادى ت (٨١٧ هـ) .

معنى كلمة (المعجم)

المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة (المعجم)

نحاول هنا في عجالة إلقاء الضوء على معنى كلمة المعجم والهدف الأساسي منها ، وعلى طريقة اشتقاقها ، وعلى أول من استخدمها من العلماء العرب ، وعلى إطلاق لفظة " القاموس " عليها في استعمالات العصر الحديث .

(المعجم) هو : كتاب يضم ألفاظ اللغة ومفرداتها ، مرتبة على طريقة معينة ومضبوطة ضبطاً حسناً مفسرة ، موثقة ، منظمة ، ومشروحة شرحاً وافياً ، يزيل إبهامها ، ويوضح غموضها ، ويبين معانيها واشتقاقها ، وطريقة نطقها ، مع ذكر شواهد تبين مواضع استعمالها : لإفادة الباحث وإعانة الدارس على الوصول إلى فهم ما يريده (١) ، ويهدف المعجم إلى إزالة الغموض عن الألفاظ ، وكشف الإبهام عن الكلمات

ويشترط في المعجم الشمول والترتيب ، ولذا نجد أن تعدد طرق الترتيب المعجمي عند العرب وتفاوت هذه الطرق " صعوبة وسهولة " إنما كان سبباً في موت معاجم ، وحياة أخرى ، وخمول بعضها وشيوع أخرى .

وبالبحث في دلالة مادة " ع ج م " نجدها تعني الإبهام والغموض والخفاء (٢) ،

والأعجم : الذي لا يفصح ولا يبين كلامه ، ورجل أعجمي : في لسانه عجمة ، وسميت البهيمة عجماء ، لأنها لا تتكلم ، ولا توضح عما في نفسها ، وسميت صلاة الظهر وصلاة العصر بالعجميين ، لأنه لا يفصح - أي لا يجهر فيهما القراءة .

❖ وسمى العرب بلاد العجم بذلك ، لأن لغتها غير واضحة ، ولا مفهوم له ، والأعجم : الأخرس ،
❖ والعجم والعجمي : غير العرب ، لعدم إبانتهماً أصلاً (١) وعجم : صمت وسكت وهو لون من الإبهام .

(١) انظر : محاضرات في المعجم العربي - د/محمد حماد - ص ١٨ - دار الثقافة العربية ، والمعجم اللغوية - د/ إبراهيم

محمد نجا - ص ٥ - ط ١٩٨١ - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر .

(٢) وقد أشار إلى ذلك ابن جني في كتابه " سر صناعة الإعراب " فقال : اعلم أن " ع ج م " إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والخفاء ، وضد البيان والإفصاح .

- ❖ وعلى كل فإن مادة " ع ج م " أين تقع في كلام العرب فهي للإبهام وضد البيان ، والمقصود من عمل المعجم هو إزالة الغموض ، وكشف الإبهام والخفاء ، إذ يرجع إليه أبناء اللغة لمعرفة معاني الألفاظ الغامضة ، ومعرفة ضبطها ، وأصالتها في لغتهم .
- ❖ ولعل المعنى المراد من المعجم قد استفيد من همزة التعديّة في " أعجم " وتعني : السلب ، والإزالة والنفي ، كقولهم : أشكيتّه : إذا أزلت شكواه ، ويكون المقصود من " أعجمته " أزلت عجمته ، وأذهبت خفائه (٢) .
- ❖ فالهمزة هنا لما دخلت على " عجم " سلبت منها المعنى وأزالته ونفته عنها ، وأصبحت مستعملة في ضد معانيها .
- ❖ والذي وضّح لي أن دلالة الوضوح والبيان التي أفادها معنى المعجم قد أفادها من دخول الهمزة على الفعل " عجم " ومن ذلك قالوا : أعجمت الكتاب ، أي أزلت عجمته ، وبينته وأوضحته، أي سلبت معنى الاستبهام أو سلب العجمة ، لا إثباتها ، ومن هذا المنطلق اشتق لفظ " المعجم " وصار المراد منه : إزالة الغموض عن الألفاظ ، وكشف الخفاء والإبهام عن الكلمات .
- ❖ وأرى أن الهمزة للسلب والإزالة ، لأن الفعل الثلاثي المجرد " ع ج م " يعد فيما أورده ابن منظور أنه من الأضداد - فهو بمعنى (أبهم) وبمعنى (عرف) ، فبدخول همزة السلب والإزالة يصير الفعل " أعجم " بمعنى أزال الإعجام والإبهام ، أو بمعنى أزال المعرفة والوضوح .
- ❖ ومنه أطلق على حروف الهجاء حروف المعجم ، وذلك لأن النقط التي على الحروف الهجائية والرموز الكتابية إعجام لها ، أي إزالة لإبهامها وخفائها الاحق بها كما أنها توضح المراد منها والمعجم : اسم مفعول من الفعل الرباعي " أعجم " حيث يبدل حرف المضارعة ميماً مضموماً ، مع فتح ما قبل الآخر .
- ويطلق على الكتاب الذي يضم مفردات اللغة ويشرحها ، أي يزيل غموضها ويرتبها بشكل معين - لفظ معجم .

(١) انظر : لسان العرب - لابن منظور - مادة " ع ج م " ، ومقاييس اللغة - لابن فارس - تحقيق د/ عبد السلام هارون - ط الحلبي - ١٣٩٠هـ / ١٩٨٠م - ط٦ ، ومعجمات العربية مادتها ومنهجها - د/ عيد الطيب - ط الأمانة - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(٢) انظر : دراسات في المعجمات العربية - د / ناجح عبد الحافظ مبروك - ص ٩ - ط الأمانة - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م - ثم راجع : الخصائص - لابن جني - ٧٥/٣ وما بعدها ، وسر صناعة الإعراب - ٣٦/١ - تحقيق هندواي - ط أولى .

ويجوز أن يكون المعجم مصدرا " ميميا " من الفعل أعجم ، ومعناه الإعجام أي : إزالة العجمة والغموض والإبهام ، نحو : أدخلته مدخلا ، وأخرجته مخرجا ، أي إدخالا وإخراجا ، أو بمعنى دخولا وخروجًا ، ومن ثم يكون معجما ، أي : إعجامًا (١) .

❖ **والمعجم** : تجمع جمعًا مؤنثًا سالماً باتفاق " المعجمات " ، وتجمع جمع تكسير " المعاجم " ، وفي ذلك اختلاف (٢) والأول هو المشهور والشائع .

❖ **وبعض اللغويين أجاز الجمع الثاني** ؛ لكثرة ما ورد من ألفاظ مماثلة لكلمة " معاجم " على وزن مفاعل ، نحو : محرم / محارم ، ومسند / مساند ، ومصعب / مصاعب ، ومجلس / مجالس ، وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بصحة هذا الجمع (٣) .

وملى ذلك فجمعه على مفاعل جائز ؛ لأنه ورد عن العرب وأجازه سيبويه كما أشرت إلى ذلك .

❖ **ضبط فعل المعجم ودلالته** (٤) .

١- **عجم** : بضم الجيم ؛ الرجل إذا صار أعجم ، مثل : سمر وأدم ، وعجم عجمة وعجومة ، ثم

يفصح أي في لسانه لكنة ، وعجم الكلام فهو أعجم وهي عجماء ، والجمع عجم .

٢- **عجم** : بكسر الجيم ، اللسان عجمة ، لم يفصح .

٣- **عجم** : بفتح الجيم ، أعجم فلان الكتاب ، نقطه كعجمة ، وعجم الكتاب خطه ، وعجم الحرف

عجما : أزال إبهامه ، وعجمته إذا عرفته .

ويتضح من المضموم والمكسور أنه يدل على الإبهام والغموض وعدم البيان وضد الإفصاح ،

وبالفتح يدل على البيان والإفصاح ، أي عكس الدلالة الأولى ، ومن الضم والكسر أطلق لفظ

المعجم المعروف .

(١) انظر : عاجم وكتبة اللغوية - د/إبراهيم الدسوقي - ص ١٢٠ - دار الثقافة العربية .

(٢) فقد منعه بعض اللغويين ، واستدلوا بقول : سيبويه : " لا يصح أن يجمع جمع تكسير كل ما بديء بميم زائدة من أسماء الفاعلين والمفعولين ، مع أنه قد ورد فيه جواز جمعه على " مفاعل " وإن كان الأكثر جمعه بالألف والتاء .

انظر : الكتاب - لسيبويه - ٣/٣٩٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ . ومحاضرات في المعجم العربي - د/ محمد حماد - ص ١٧ .

(٣) انظر : البحث اللغوي عند العرب - د/ أحمد مختار عمر - ١٥٢ - ط عالم الكتب .

(٤) انظر : المقاييس - لابن فارس - ٤/٢٤٠ ، والمعجم الوسيط ٢/٨٦ ، والقاموس المحيط ٤/١٤٩ .

❖ حروف المعجم :

هي الحروف المقطعة التي يختص أثرها بالنقط من بين سائر الحروف الأم ، والتسمية من إضافة المفعول إلى مصدره ، وذلك بأن الشكل الواحد إذا اختلفت أصواته فأعجمت بعضها وتركت بعضها ، فقد علم أن هذا المتروك بغير إعجام هو غير ذلك الذي من شأنه أو عادته أن يعجم ، وحروف المعجم هي حروف : ا ب ت ث ... وسميت بذلك من التعجيم ، وهو إزالة العجمة بالنقط (...) ، لذلك توجد علاقة بينها وبين حروف الهجاء

❖ المكونات الأساسية للمعجم :

- ١- المداخل ، وتحدها النصوص اللغوية والمادة العلمية .
- ٢- المعلومات اللغوية : كمعرفة كيفية نطق الكلمة ، ومعرفة الرموز الصوتية ، ومعرفة التأصيل اللغوي ، وذكر بعض الحقائق الصرفية والنحوية .
- ٣- التوضيح الدلالي للاستخدام اللغوي ، والنصوص اللغوية (الشواهد) ، ومعرفة الترادف ، والتضاد .
- ٤- المقدمة : وتعرض تاريخ اللغة ، وتاريخ المعاجم العربية .

الفرق بين علم المعجم ، وصناعة المعجم (١) :

يهتم علم المعجم باشتقاق الكلمات وأبنيتها ودلالاتها المعنوية والإعرابية ، والتعابير الاصطلاحية ، والمترادفات ، وتعدد المعاني .

❖ أما صناعة المعجم فتشمل جمع المعلومات والحقائق ، واختيار المداخل ، وترتيبها طبقاً لنظام معين ، وكتابة المواد ثم نشر النتائج النهائي الذي هو المعجم أو القاموس .

ومعنى ذلك : أن صناعة المعجم عمل تطبيقي يستثمر نتائج علم المعجم في سبيل إنجاز عمل لغوي هو (المعجم) ، فالمعجم أداة للبحث ، ومرجع للباحثين ، يتميز بالوضوح والدقة ، والتبويب المحكم .

ونسأل متى أطلقت كلمة المعجم في اللغة العربية ؟

لم يتوصل الباحثون إلى معرفة الزمن ، ولا معرفة من أطلقها أولاً ، ولا الكتاب الرائد في حمل هذه الكلمة في عنوانه ، وذلك لضياح الكتب والآثار القديمة ، أن القدامى من اللغويين لم

(١) انظر : علم اللغة بين التراث والمعاصرة - د/ عاطف مذكور - ط ١٩٨٧ - ص ٧٩ .

يستعملوا هذه الكلمة ولم يطلقوها على مؤلفاتهم اللغوية ، فكانوا يختارون لمؤلفاته أسماء :
العين ، والجمهرة ، والتهذيب ، والصحاح ، والمحكم ، وغيرها (١) .
والواضح أن علماء الحديث النبوي ورجالاته هم أول من أطلق كلمة المعجم على كتبهم المرتبة ترتيباً
هجائياً حيث جمعوا فيها أسماء الصحابة ورجال الحديث .

ويؤيد ذلك ما قاله د/ عدنان الخطيب : " لا يعرف بالتحديد متى استعملت كلمة " معجم " بهذا
المعنى ، وإن علماء الحديث النبوي الأوائل هم الذين ألفوا الكتب بترتيب حروف الهجاء " .
وقيل : "إن الإمام البخاري كان نفسه أول من أطلق لفظ " معجم " وصفا لأحد كتبه المرتبة على
حروف المعجم " (٢) .

وهناك المعجم الكبير ، والأوسط ، والصغير في مجال القرآن الكريم وقراءته - لأبي بكر محمد بن
الحسن النقاش الموصلية (ت ٣٥١هـ) .

وذكر الأستاذ عبد الغفور عطار : أن أول من استعمل الكلمة رجال الحديث ، وأول ما عرف كان في
القرن الـ " ٣هـ " ، وأول كتاب أطلق عليه اسم المعجم هو كتاب (معجم الصحابة) لأبي يحيى
التميمي الموصلية (ت ٣٠٧هـ) ، ثم كتابا أبي القاسم عبدالله بن محمد عبد العزيز البغوي
(ت ٣١٥هـ) اللذان أفهما في أسماء الصحابة ، وهما : المعجم الكبير ، والمعجم الصغير .
❖ ثم أطلق لفظ معجم بكثرة عند من ألفوا في فنون العلم ، ومنهم أخذه اللغويون ، وإن إطلاقه على
الأعمال المعجمية إنما هو عمل المحدثين ، وإن كان المعجميون القدامى قد فطنوا إلى ذلك
قديما ، فقد حرصوا على تهذيب اللغة ، وتنقيتها من الشوائب .

❖ ثم أطلقت هذه الكلمة " المعجم " على هذا اللون من الكتب اللغوية التي تعالج اللفظة فتشرحها لغة
واصطلاحاً ، أو الكتب التي تجمع الألفاظ التي تتصل بموضوع أو بمعنى واحد في رسالة أو
كتاب أو باب من كتاب .

❖ لفظ " القاموس " (٣) .

(١) انظر : البحث اللغوي عند العرب - ص ١٥٥ ، ومحاضرات في المعجم العربي ص ٢٢ .

(٢) انظر : المعجم العربي بين الماضي والحاضر - د/ عدنان الخطيب - ص ٣٠ وما بعدها .

(٣) القاموس لغة : البحر العظيم ، أو البحر المحيط الواسع الشامل ، وفي اللسان : القاموس : قعر البحر ، أو
وسطه ، أو معظمه ، وقال أبو عبيد : القاموس أبعد موضع غورا في البحر ، والقاموس : من قمس في الماء يقمس

لفظ " القاموس شاع واشتهر بين الناس حديثاً لفظ " القاموس " فأخذوا يطلقونه على أي معجم باللغة العربية أو غيرها من اللغات ، فهو مرادف لكلمة " المعجم " ، واتخذها (الفيروز ابادي) عنواناً على معجمه ، فسماه (القاموس المحيط) ، لأنه البحر الأعظم ، أي كالبحر العظيم ، لما فيه من ألفاظ اللغة ومادتها الغزيرة المضبوطة بدقة وإيجاز دون إخلال بالمعنى . وقد اكتسب هذا المعجم شهرة واسعة ، ورواجاً كبيراً ، فهو كالبحر في التيمن به في أن يذيع وينتشر ، وإن كان ذلك غرض الفيروز ، فتلقفه المثقفون ، والتفوا حوله فطغت شهرته على غيره من المعاجم اللغوية إذ يمتاز بضبطه للألفاظ ومعانيها ، وشرحها وتوثيقها ، وإزالة الغموض عنها ، حتى صارت كلمة (قاموس) تعني " موسوعة " اهتم به المتخصصون في مجال الدراسات اللغوية ، وغيرهم من المثقفين ، واعتبر إطلاق لفظ (القاموس) على أي معجم من قبيل المجاز أو التوسع في الاستخدام ؛ لذا أطلق على جميع المعاجم اللغوية الأخرى المتقدمة والمتأخرة .

الحاجة إلى المعاجم

أولاً : لم يكن العرب في حاجة إلى معاجم في الجاهلية لعدة أسباب ، منها :

- ١- اعتمادهم على الحفظ والرواية ؛ لما حباهم الله من قوة الذاكرة ؛ لبعدهم عما يفسد طباعهم
- ٢- عدم فساد اللغة ؛ لسلامة الفطرة ؛ لعدم اختلاطهم بالعجم .
- ٣- الأمية : حيث كانوا لا يقرأون ولا يكتبون ، فلم يتيسر لهم عمل معجم عربي .

ثانياً : وجود بعض العوامل التي أدت لعدم ظهور المعجم قبل العصر العباسي ، ومنها :

قموسا ، أي : انغمط ثم ارتفع ، لهذه العلاقة سمى بعض علماء اللغة مؤلفاتهم : البحر ، المحيط ، العباب ، مجمع البحرين . انظر : لسان العرب - مادة (ق م س)

والقاموس : كلمة مولدة أقرها المجمع اللغوي في القاهرة ، وبين معناها في المعجم الوسيط ، فقال : " القاموس : البحر العظيم ، وعلم على معجم الفيروز أبادي ، وكل معجم لغوي على التوسع ، وأشهر هذه المعاجم : أساس البلاغة للزمخشري ، ولسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي ، والمصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ، ومختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي

انظر : قواعد الصرف بأسلوب العصر - د/ محمد بكر اسماعيل - ص ١٧٢ - ط عيسى البابي الحلبي - القاهرة

- ١- عدم الحاجة الملحة إلى ذلك النوع من المؤلفات ؛ لأن العرب كانوا متقنين للغتهم ؛ حيث كانت العربية عندهم لسان المحادثة والخطابة والشعر .
- ٢- عدم توفر الأداة ، أي أداة إخراج المعجم إلى الوجود ، وتمثل في الكتابة أو الخط وما يتصل بها من معرفة تامة بالقراءة والكتابة ، وشيوع هذه المعرفة بين المستفيدين .
- ٣- الظروف السائدة منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ، كالحرب ، والتعصب القبلي ، والتنقل والترحال ، والأمية السائدة .

ثالثاً: دعت الحاجة إلى وضع المعاجم وذلك بسبب ما حدث في العصر العباسي من :

- ١- شيوع اللحن .
- ٢- إحساس العرب بضياع جزء ضخم من الثروة اللفظية للغة العربية .
- ٣- بروز الحاجة إلى فهم القرآن والحديث ، والشعر الجاهلي .
- ٤- التطور الضخم الحادث في الثروة اللفظية للغة العربية شكلاً ودلالة .
- ٥- شيوع التعلم وكثرة المتعلمين ، وانتشار الوراقين في العواصم العربية والإسلامية .
- ٦- سهولة الكتابة والتدوين عما كانت عليه أيام الجاهلية وفي صدر الإسلام .
- ٧- تحول المجتمع العربي الإسلامي في حياة البداوة والتنقل والترحال إلى حياة الاستقرار والتأليف في مختلف المجالات .
- ٨- الامتزاج بالثقافات الأجنبية والأجناس الأخرى غير العربية .

وخلاصة ذلك: أن هناك أمورا دعت إلى الحاجة للمعاجم ، منها :

- ❖ استفسار العرب عن معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم .
- ❖ وكثرة الكتب التي ألفت في غريب القرآن ، ونشأة العلوم العربية من تفسير وفقه وبلاغة ونحو
- ❖ ، لخدمة وحفظ وتفسير القرآن واللغة العربية .
- ❖ بالإضافة إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، واختلاط العرب بالأعاجم ، وخيف من أن يستغلق كتاب الله على الأفهام ، رحل العلماء ممن يهتمهم أمر اللغة العربية ، فأخذوا في جمع مفردات اللغة ، والحفاظ عليها ، وكان منهم : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وخلف الأحمر ، ويونس بن حبيب الضبي ، والأصمعي ، وأبو زيد الأنصاري - فأخذوا اللغة من الرجال الموثوق فطرتهم ك (الخثعي ، وأبي خيرة العدوي ، وأبي الدقيش) ، منكرين استخدام الكلمات غير الفصيحة

وظيفة المعجم

من مكملات التعريف توضيح الوظيفة الأساسية للمعجم، ومنها:

١- الاهتمام بالجذور المعجمية وهي أصل المفردات أو الكلمات ، أي المادة الأساسية للمعجم ، ويتمثل في استعمال الجذور أو عدمه ، أي المستعمل المهمل الذي قصده الخليل في العين وذلك من جهة الكثرة والقلة والمشتقات ، ومحاولة الإفادة من هذه الجذور في المجالات العلمية ، كما يتمثل في كون الجذر ثلاثيًا أو أكثر ، أو كونه عربيًا أو معربًا (دخيلا) ، قديما أم وسيطا أم حديثا .

٢- شرح المفردات أو الألفاظ أو الكلمات ، وبيان معانيها وتطورها عبر العصور .

٣- كشف الخصائص الصوتية : بتوضيح السمات الفوناتيكية ك : (الجهر والهمس والتفخيم والترقيق ومواقع النبر ، والمقاطع) .

٤- كشف الخصائص الصرفية كالاسم والفعل والاداة وأنواع كل منها من حيث : الزمن والبناء والأصالة ، والتذكير والتأنيث ، والمعرفة والنكرة ، والإفراد والتثنية والجمع .

٥- كشف الخصائص النحوية : وهي متشعبة وتختص بالتراكيب (الجملة) .

٦- الكشف عن جوانب لغوية أخرى كبيان الحقيقة والمجاز ، والترادف ، والتضاد والمشارك اللفظي ، والمصطلحات ، واللهجات ، والتعرض للدلالات اللغوية في ضوء التطور اللغوي

بعض أنواع المعاجم

حضارة العرب عاصرت اتجاهات عديدة في التأليف المعجمي منذ القرن (٢ هـ) وأهمها ، الرسائل اللغوية الموضوعية ، ومعاجم المواد اللغوية ، والمعاجم الموضوعية

١- معاجم المفردات : ذات نصوص محددة لهدف تعليمي .

٢- معجمات مفهومة : ذات نصوص كبيرة الحجم كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، حيث يذكر الكلمة ودلالاتها في سياقاتها المختلفة .

٣- المعجمات السياقية : معاني الكلمات في سياقات متنوعة لهدف تعليمي .

٤- معجمات المراحل : تقوم بحصر الألفاظ المستخدمة في مراحل تاريخ اللغة ، مع بيان دلالاتها وأصولها .

٥- معجمات اشتقاقية : توضح أصل الكلمات وتبين الدخيل أو المقترض منها ، حيث تشارك في تأصيل الكلمات في العربية .

٦- معجمات المترادفات : تساهم في بيان الفروق بين المفردات ، والاستخدام الصحيح لها عن طريق الأمثلة أو الشواهد أو الشروح .

٧- معجمات المعاني : من أهم أنواع المعاجم العربية القديمة ، ومن أهمها : الغريب المصنف - والمخصص .

٨- معجمات النطق : لتوضيح النطق الصحيح للألفاظ ، ويلتزم به العاملون في الإذاعة والتلفزيون

٩- معاجم الموضوعات : هي معاجم لغوية تتفق مع معاجم الحقول الدلالية الحديثة ، فكلاهما يقسم الأشياء إلى موضوعات ، وكلاهما يعالج الكلمات تحت كل موضوع ، وكلاهما سبق بنوع من التأليف الجزئي المتمثل في جمع الكلمات الخاصة بموضوع واحد ، ودراستها تحت عنوان واحد ومن الموضوعات التي عالجها العرب في رسائل أو كتيبات مستقلة ، وكلها مأخوذة من أشياء موجودة في البيئة ، ومنها :

كتاب الحشرات لأبي خيرة الأعرابي ، وكتاب النحل والعسل لأبي عمر الشيباني ، وكتاب للأصمعي وكتاب لأبي حاتم السجستاني ، وكتاب الذباب لابن الأعرابي ، وكتاب خلق الإنسان لكثيرين ، وكتاب الصفات لابن شميل ، وكتاب الألفاظ لابن السكيت ، والمنجد في اللغة لكراع ، والألفاظ الكتابية للهمذاني ، والمخصص لابن سيده .

١٠- معاجم المصطلحات : وتستخدم للمصطلحات العلمية: وتشرحها موجزة ، وتساعد الباحث وتغنيه عن المعاجم المطولة ، ومنها : المعجم الإنجليزي - العربي في علوم الطب ، والطبيعة والزراعة ، وغيرها .

١١ - المعجم المجنس والمعجم المبوب

الفرق بينهما :

١- يحتاج للأول عندما يغمض المعنى ، وللثاني في إيجاد الألفاظ التي تعبر عما يدور في الذهن من خواطر وأفكار .

٢- يقوم منهج المعجم المبوب على أبسط أنواع الجمع ، وهو أمر طبيعي دعت إليه الحاجة والخوف من ضياع اللغة ، وهو منهج يسهل حفظه الإمام بأطراف الموضوع للوقوف على أجزائه ومسمياته ، أما منهج المعجم المجنس فمخالف لذلك تماما ، فهو يتطلب الإحاطة والمعرفة التامة بالأبجدية الصوتية أو العادية ، وفي ذلك صعوبات في الجمع والبحث على حد سواء .

٣- أن المعاجم المبوبة (معاجم الموضوعات) أسبق في الظهور من المعاجم المجنسة ، لما يأتي :
أ- أن أول من ألف فيها هم من أساتذة الخليل ، ومنهم :

أبو مالك عمرو بن كركره ، وأبو خيرة الأعرابي .

ب- يعتبر جمع المعاجم المبوبة بسيطاً ومحتاجاً إليه كثيراً في خدمة اللغة ، والخوف عليها من الضياع .

وهكذا تنوعت المعجمات تنوعاً كثيراً ، وتهدف إلى التعليم وربط الثقافات، وزيادة الاهتمام بالترجمة وربط اللغات بعضها ببعض .

مراحل اللغة وتكوين المعجمات

مرت اللغة بمراحل ومحاولات حتى تم تجميعها في مؤلفات (معاجم) ، أي أنها لم تجمع دفعة واحدة .

❖ أولاً : مرحلة التأليف في الغريب (في غريب القرآن ، وغريب الحديث) وتشمل :

١- مرحلة تفسير الرسول ﷺ ما استغلق على الصحابة من معاني بعض الألفاظ في القرآن أو الحديث ، ويقوم بعضهم بحفظه أو كتابته وروايته

٢- مرحلة تفسير ابن عباس (رضي الله عنه) للغريب من ألفاظ القرآن والحديث ، حيث يقوم بشرح معاني المفردات مصحوبة بأقوال العرب .

ثانياً : مرحلة تأليف الرسائل الخاصة ، وتشمل :

١- مرحلة جمع الألفاظ الخاصة ببعض الموضوعات .

وتحتاج للترحل إلى البادية وغيرها، للسمع للألفاظ في : المطر ، والسيف ، والزرع ، والنبات

ووصف الأشياء ، ثم يدون ما سمع ويرتبه ترتيبًا غير دقيق ، وقد ظهر ذلك في شكل رسائل صغيرة (١) .

٢- مرحلة جمع الألفاظ الموضوعية لختلف المعاني .

ويرجع إلى معرفة العلماء للمعاني ، فيرغبون في أن يقفوا على الألفاظ الموضوعية لها ، ومن أهم ما ألف من كتب هذه المرحلة : كتاب (الألفاظ) لابن السكيت، وكتاب للهمذاني (ت ٣٢٧ هـ) ومبادئ اللغة (لإسكافي) ، و فقه اللغة (لثعالبي) ، و (المخصص) لابن سيدة .

وقد أطلق على هذا النوع من التأليف اسم - المعاجم المبوبة - أو معاجم المعاني أو الموضوعات ، أو المعجمات الموضوعية المعنوية وهي كتب تعليمية لا تهتم بالألفاظ الغريبة .

٣- مرحلة جمع الألفاظ على نظام معجمي دقيق

حيث جمع العلماء ألفاظ اللغة ، ونظموها بدقة ، وشرحوها شرحًا وافيًا مؤيدًا بمأثور كلام العرب شعرًا ونثرًا ، وأيدوها بكلام الله تعالى ، والحديث النبوي الشريف ، وهو ما يسمى بالنظام المعجمي ، ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) الرائد في هذا الميدان وتأسست به جهود العلماء ، فألف ابن دريد " جمهرة اللغة " ، وألف الأزهري " تهذيب اللغة " والجوهري " صحاح اللغة وتاج العروس ، ثم ألف بعد المعجم الكبير ، والوسيط ، والوجيز وتسمى المعاجم المجنسة ، أو معاجم الألفاظ (٢) .

إذا مرت مرحلة تأليف المعاجم بالرسائل أولاً ، ثم الكتب المؤلفة في موضوع واحد " المعاجم المبوبة " ، ثم المعاجم المنظمة " المعاجم المجنسة " ، وإن كان ذلك لا يعد نظامًا متبعًا .

(١) كرسائل عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) في : الإبل - الخيل - الشاه - الوحش - النبات - الشجر - خلق الإنسان ... ورسائل أبي المنذر الكلبى (ت ٢٠٦ هـ) في الخيل ... وأبي عبد الله الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) في الخيل ، ومثله لأبي عبيدة معمر بن المثنى ... وألف قطرب (ت ٢٠٦ هـ) كتابه في الوحوش ... وأبو إسحاق الزجاج (ت ٣١٠ هـ) في خلق الإنسان ... وأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في أعضاء الإنسان ، ومثله كتاب أبي عبد الله الإسكافي (ت ٤٢١ هـ) ، وأبو زيد الأنصاري (ت ٢١٤ هـ) في التبرج والدينوري (ت ٢٨٠ هـ) في النبات .

(٢) وهي التي تعالج اللفظة : ضبط - بيان أصل واشتقاق - شرح مدلول - ترتيب خاص وفق نمط معين يسهل على الباحث الرجوع إليها ، لكشف ما استغلق في معانيها .

ـ الخلاف حول عدد حروف العربية :

١- الفريق القائل بأنها تسعة وعشرون حرفاً ، والألف عندهم حرف علة ، ومنهم : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه ، وابن جني : " أصل الحروف تسعة وعشرون حرفاً ، الهمزة والألف و.... " (١) .

٢- الفريق الآخر القائل بأنها ثمانية وعشرون حرفاً ، ومنهم : الجوهري في صحاحه ، والمبرد على أساس أن الألف هي الهمزة ، وأنها غير ثابتة على صورة واحدة (٢) وإن كان هذا الكلام بعيداً عن الصواب ؛ لأن لكل صوت صفات ومخارج تختلف عن الآخر ، فالهمزة حرف ، والألف حرف ، وقد ذكرت ذلك في فصل سابق (صفات الحروف ومخارجها) .

وعلى أي حال فإن مرجع الاختلاف حول حروف المعجم هو الألف ، فمن اعتد بها عدها تسعا وعشرين ، ومن أسقط الألف عدها ثمانية وعشرين ، وقد جمعت في الأبجدية الآتية : أبجد - هوز - حطي - كلمن - سغفص - قرشت - ثخذ - ضظغ .

أما الترتيب الذي نحن عليه الآن وهو : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ... فهو ترتيب نصر بن عاصم (٣) بتوجيه من الحجاج بن يوسف ، للحفاظ على العربية من تفشي اللحن .

ترتيب الحروف العربية :

تعد الحروف اللبنة الأساسية التي تتكون منها الألفاظ ، والألفاظ هي اللبنة الرئيسية التي تتكون منها اللغة .

١- الترتيب الأبجدي : وهو ترتيب (أبجد هوز) وهو الترتيب الفينيقي الذي اتخذته اللغات السامية عموماً ، والعربية خاصة ، حيث أخذت طريقة الكتابة عن الأنباط ، أو سكان الحيرة عن الفينيقيين .

ولا يزال هذا الترتيب وجود حتى الآن ، حيث يستخدمه المؤلفون في ترقيم صفحات مقدمات كتبهم ، أو في التقسيمات المتنوعة داخل مؤلفاتهم .

(١) انظر : الكتاب ٤/٣٢ ، وسر صناعة الإعراب ١/٤٦ .

(٢) انظر : المقتضب - للمبرد ١/٢١٨ .

(٣) ت ٧٠٧/٥٨٩ - والمعجم العربي مدين له بترتيب حروفه .

٢- الترتيب الأبجدي : وذلك لإثبات الشخصية العربية الذاتية المستقلة ، فابتكروا هذا الترتيب الذي يبدأ بالألف والباء والتاء وينتهي بالياء

والمعجم العربي يدين بهذا الترتيب إلى نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩ هـ)، وإن كان قد تأخر انتشاره بسبب طبيعة المعاصرة التي تعد حجابًا كثيفًا بين العلماء .

٣- الترتيب الصوتي : ابتكره العالم اللغوي " الخليل بن أحمد الفراهيدي " متجنبًا طرق أسلافه ، فقد أبى إلا أن يكون ندا لنصر بن عاصم ، فقام بترتيب الحروف (حسب مخارج الأصوات " ولم يقل في دقته عن نظام نصر بن عاصم ، حيث أعمل الخليل فكره ، فرتب الحروف ترتيبًا لم يسبق إليه ، فبدأ بحروف الحلق ، ثم اللسان ، ثم الشفة ، ثم الهوائية ، ثم الهمزة ، نحو : (ع - ح - ه - غ) ، و (ق - ك) ، و (ج - س - ض) ، و (ص - س - ز) ، و (ط - د ت) ، و (ظ - ث - ذ - ر - ل - ن) ، و (ف - ب - م) ، و (و - ا - ي) ، و (الهمزة) .

وسار على هذا النظام علماء اللغة من بعده ^(١) مع وجود يسير من الاختلاف لا يخرج عن الإطار العام لمنهج الخليل ، أما (ابن دريد) فكان في مقدمة من عدلوا عن نظام الخليل ، ليس غضًا من شأنه، بل لصعوبته وحاجة هذا النظام لنوع خاص من الدراسات والثقافات اللغوية ليست ميسورة للناس .

فهو نظام للخصوص ، في وقت خارت فيه القوى ، وضعفت عزائم الناس وكان (ابن دريد) اللغوي يميل إلى الترتيب (الأبجدي) وهو يستوي فيه خاصة الناس وعامتهم ، فسار على هذا النظام السهل المفيد كتاب (معجم الجيم) لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) ، وكتاب (الجمهرة) لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، وكتاب (أساس البلاغة) للزمخشري ، ومعجم أخرى كثيرة .

(١) أمثال سيبويه - ابن جني - أب ٢٠ هـ و علي القالي - الأزهرى ، وغيرهم .

الفصل الثالث

**التفكير المعجمي عند العرب
(نشأته وأطواره التاريخية)**

التفكير المعجمي عند العرب (نشأته وأطواره التاريخية)

أرى أن لفظة معجم قديمة قدم الإنسان ، أدركتها الأمم والشعوب المتقدمة ، لأن اللغة ظاهرة اجتماعية تنمو وتتطور مع المجتمع بشكل ملحوظ ، فهي صورة حية لحياة الأمة .
ولاشك أن هذه الأمم قد استخدمت هذا اللون من التأليف وجمع وحشد الألفاظ ، وبيان معانيها واشتقاقاتها ، لتيسير مهمة أبنائها ، وتذليل اللغة أمام بحوثهم .
وقد روت كتب التاريخ أن التفكير المعجمي - عند غير العرب - كان أسبق في الظهور ؛ فقد سبق الآشوريون العرب حيث اهتموا باللغة ومفرداتها وقواعدها ، وعرفوا المعاجم قبل العرب بأكثر من ألف سنة ، وإن كان ترتيبهم مغايراً للترتيب عند العرب ، وقد فعلوا ذلك حرصاً على لغتهم أن تضيع - فكانوا أول المبتكرين للمعاجم ، كما عرفه الصينيون ، واليونان ، والهنود ، وهي من الأمم ذات القدر الكبير في التفوق العلمي ، والنضوج الفكري (١) .
ولعل اعتماد العرب في جاهليتهم على الحفظ والرواية بطبيعتهم الأمية ، وعدم معرفتهم للقراءة والكتابة ، ولعل وجود لغة طيبة في أفواههم ومعاني ألفاظها حاضرة في أذهانهم ، جعلهم غير محتاجين لمعجم لغوي ؛ لأن المعجم عمل كتابي منظم ، ولم يكن ذلك ميسوراً لهم ، كما أن المعجم عمل حضاري ، وحياتهم تتصف بالبداوة في جميع مظاهرها بما فيها العلمية والثقافية .
كل هذه أمور جعلت العرب يتأخرون في وضع المعاجم اللغوية حتى سبقهم الآشوريون ، والصينيون ، واليونانيون ، والرومانيون في ذلك .
ولاشك أن فكرة المعجم كانت تراودهم منذ بدأوا يشرحون القرآن الكريم (٢) معتمدين في شرحه

(١) من معاجم الصين واليونان : معجم يوبيان - لكوبي وانج - طبع عام ٥٣٠م ومعجم شوفان - لهوشن - طبع عام ١٥٠ ق.م ، ومعجم يوليوس ، وهلاديوس السكندري في القرن ٤م - وأقدم معاجم الهنود : معجم أمارستها في القرن الخامس م ، ومعجم ساسغان وهيمكاندرا في القرن ٦م

انظر : المعاجم اللغوية - د / نجا - ص ٦ .

(٢) كسؤال سيدنا عمر بن الخطاب عن معنى "أبا" في قوله تعالى : ﴿وَفَكِّهَةٌ وَأَبَا﴾ [عبس ٣١] ، واستفسر سيدنا عبد الله بن عباس عن معنى "فاطر" في قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر : ١] ، وسؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس عن معاني ألفاظ قرآنية موجودة في أقوال العرب ، وقد استمرت هذه المحاور بينهما ، فهي تعد البذور الأولى المنشأة للمعجم العربي ، حيث ألف ابن عباس كتابه : غريب القرآن ، وكتابه : التفسير ، كنواة للمعاجم العربية ، حيث بدأت الدراسة بالبحث في المعاني الغريبة لألفاظ القرآن الكريم ، وجمع اللغة وتأليف المعاجم رغبة في حراسة كتاب الله من أن يقتحمه خطأ في النطق أو الفهم ، لذا اعتبر ابن عباس أول واضعي المعاجم عند العرب .

على الشعر ، وهو ديوان العرب ، يلتمسون فيه كل معنى خفى عليهم من ألفاظ القرآن ،
فيمدهم بالمعرفة ، ويزيل الغموض الذي علق باللفظ .

هذا وقد ألف علماء كثيرون في (غريب القرآن) ، من أمثال : أبي سعيد البكري (ت ١٤١ هـ)
وأبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٣ هـ) ، والنضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) ، وأبي عبيدة
معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) ، وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، والأخفش
الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢٣١ هـ) ، ومحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١ هـ) ، وغيرهم
ثم ألقت كتب في فريب الحديث - لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، والنضر بن شميل ، وأبي سعيد أحمد
ابن أبو خالد الضرير الكندي ، وأبي عمرو الشيباني ، وقطرب ، والأصمعي ، وأبي زيد الأنصاري
 وغيرهم ، وكذلك ألقت معاجم في الفقه ، واللهجات ، والحيوان ، والنوادر ، والبلدان ، والمواضع
 والأبنية ، والإفراد ، والتثنية ، والجمع .
وكانت هذه الأعمال (التأليف في غريب القرآن والحديث ، وغيرها) النواة الأولى في نشأة
 المعجمات العربية^(١) .

من تراثنا اللغوي : المعاجم العربية

بالقرآن الكريم بدأ تاريخ علم اللغة العربية ، وبالتالي قد بدأت الدراسة المعجمية للغة العربية ،
 وكلها دراسات تهدف إلى خدمة الدين وفهم القرآن ، فأخذ اللغويون بالبحث عن معاني الألفاظ
 الغريبة في القرآن الكريم .

يوجد ثلاثة أنواع من المعاجم حسب ترتيب الكلمات بها :

١- كتاب " العين " للخليل و " تهذيب اللغة " للأزهري ، و " المحكم " لابن سيدة الأندلسي ، وقد رتبت
 كلماتها على حسب المخارج الصوتية ، وطريقة التقاليد .

٢- كتاب " الصحاح " للجوهري ، و " لسان العرب " لابن منظور ، و " القاموس المحيط " للفيروز أبادي
 و " أساس البلاغة " للزمخشري ، وقد رتبت كلماتها ترتيباً أبجدياً بحسب الأصل الأخير ، أو
 الأول للكلمة .

(١) ومنها : المعاجم اللغوية كـ " لسان العرب - القاموس - المعجم الوسيط - والمعاجم المعنوية ، ك : خلق الإنسان - الخيل -
 النوادر - الحشرات ، ومعاجم الأبنية ك : الكتاب لسبويه ، ومعاجم الترجمة ، ك : القاموس عربي / انجليزي / فرنسي ... ومعاجم
 الاشتقاق والتاريخ والتخصص ونوادر المعارف .

٣- كتاب " الغريب لابن سلام ، و " فقه اللغة " للثعالبي ، و " المخصص " لابن سيدة ، وقد رتبت كلماتها بحسب الموضوعات .

وقد كانت المعاجم عبارة عن رسائل لغوية صغيرة ^(١) ، استقى اللغويون العرب الأقدمون مادتهم المأخوذة من أفواه البدو ، عندما ساحوا في الجزيرة العربية (بوادي الحجاز ، ونجد ، وتهامة)
ومن أهم هذه الرسائل :

رسائل الأصمعي ، والفراء (ت ٢٠٦ هـ) ^(٢) ، وأبي زيد الأنصاري ، ابن إسحاق السكيت (ت ٢٤٤ هـ) " كان يطيل السكوت " ، والسجستاني (ت ٢٥٥ هـ) ، وأبو بكر الأنباري (ت ٣٢٧ هـ) و غلام ثعلب (ت ٣٤٥ هـ) ، وأبي الطيب الحلبي (ت ٣٥١ هـ) ، وابن الدهان (ت ٥٦٩ هـ) ، والصاغاني (ت ٦٥٠ هـ) .

وتعد هذه الرسائل اللغوية الصغيرة النواة الأولى للمعجم العربي الذي اتبع طرقاً وأنظمة متعددة ، ولعل أول ما وصل إلينا من هذا النوع كتاب " الغريب المصنف " لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، مأخوذاً عن البدو من الأعراب ^(٣) ومعتمداً على اللغويين من أمثال الأصمعي ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي عبيدة ، والأحمر ، واليزيدي ، وهشام بن الكلبي ، وابن الأعرابي .
ومن المعاجم ذات الترتيب الموضوعي ، والتي تأثرت بطريقة ومنهج أبي عبيدة ، كتاب " الألفاظ الكتابية " للهمذاني ، وكتاب " جواهر الألفاظ " لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) وكتاب " متخير الألفاظ " لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، وكتاب " التلخيص في معرفة أسماء الأشياء " لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، وكتاب " مبادئ اللغة للإسكافي ، وفقه اللغة وسر العربية " للثعالبي ، و " المخصص في اللغة " لابن سيدة الأندلسي ، وكفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ من اللغة وغريب الكلام " لابن الأجدابي (ت ٦٠٠ هـ) .

(١) مثل : كتاب الخليل للنضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) ، وكتاب الإبل ، وخلق الإنسان ، والسلاح للأصمعي ... وكتاب الأنواء ، والنبات للدينوري ... وكتاب المطر لأبي زيد الأنصاري وهم من علماء القرن ال ٣ هـ ، وقد ألف في المطر والشجر وخلق الإنسان

(٢) صاحب كتاب : الأضداد - شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة - كتاب الإتياع - المثني ، والإبدال .

(٣) من البدو وفصحاء العرب ، أبو الجراح العقيلي - أبو الحسن الأعرابي العدوي - الفناني - الكلابي - أبو القعقاع اليشكري - أبو شنبول الأعرابي ، وأبو جحوش الأعرابي .

- ❖ يقابلنا في أوائل القرن الرابع الهجري - معجم "الجمهرة" لابن دريد ، ثم معجم "ديوان الأدب في بيان لغة العرب" للفارابي (ت ٣٥٠ هـ) ، وهو معجم لألفاظ اللغة العربية ، وتبعاً للترتيب الأبجدي ، ثم ظهر كتاب "البارع في اللغة" لأبي القالي (ت ٣٥٦ هـ) متبعاً منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي في ترتيب مادته اللغوية على حسب مخارج الأصوات ، مستمداً مادته العلمية من "العين" والغريب المصنف ، وكتاب أبي زيد ، وأبي حاتم ، وابن السكيت ، وغيرهم .
 - ❖ وفي أواخر القرن الرابع الهجري ظهر معجما أحمد بن فارس وهما : مجمل اللغة ، ومقاييس اللغة ، ثم معجم "تاج اللغة وصحاح العربية" للجوهري (ت ٤٠٠ هـ) .
 - ❖ وفي القرن الخامس الهجري ظهر معجم المخصص ، ومعجم المحكم ، والمحيط الأعظم لابن سيده الأندلسي .
 - ❖ وفي أوائل القرن السادس الهجري ظهر "أساس البلاغة" للزمخشري ، وفي أواخره ظهر معجم "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم" لابن سعيد الحميري (ت ٥٧٣ هـ) .
 - ❖ وفي منتصف القرن السابع الهجري ظهر معجما : رضي الدين الحسن بن محمد الصاغانى (ت ٦٥٠ هـ) ، وهما "التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية" وكتاب "العباب الزاخر واللباب الفاخر" .
 - ❖ وفي أوائل القرن الثامن الهجري ظهر المعجم الضخم "لسان العرب" لابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، وفي أواخره ألف الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) كتابه "المصباح المنير" .
 - ❖ وفي القرن التاسع الهجري : ظهر كتاب "القاموس المحيط" للفيروز ابادي (ت ٨١٧ هـ) ، وقد شرحه الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) في كتابه "تاج العروس في شرح جواهر القاموس"
- ومن عيوب المعاجم العربية القديمة (١)**
- ❖ التصحيف والتحريف ، كقولهم في معجم العين : عسا الليل : أظلم ، والصواب : عسا .
 - ❖ التكرار والتقليد لمنهج الغير دون تعديل أو تصحيح في المادة أو الشروح والتفسيرات .
 - ❖ عدم تسجيل المعاجم للمادة اللغوية الفصيحة المعاصرة والتزامها بالمادة التاريخية المسجلة قديماً .

(١) انظر : محاضرات في المعجم العربي - ص ١٢٣ : ١٣٦ ، نقلاً عن المعجم العربي : نشأته وتطوره - د/ حسين نصار ، والمعجم العربي بين الماضي والحاضر - ص ٦٣ وما بعدها ، والبحث اللغوي عند العرب - ص ٢٦٠ وما بعدها ، والمعاجم العربية المجنسة - د/ عبد الحفيظ العريان . والمعاجم العربية - د/ عبد السميع محمد أحمد .

- ❖ كثرة الاستطراد ، والعناية بالأعلام ، والتعسف أحياناً في أصولها الاشتقاقية ، كما في الجمهرة لابن دريد .
- ❖ الاكثار من الحدث عن الأمور والفوائد الطبية والاهتمام بالأماكن والبلدان والمياه والجبال ، كما في القاموس المحيط .
- ❖ الاهتمام بالألفاظ الاصطلاحية في العلوم المختلفة والفقه والعروض ، كما في القاموس المحيط .
- ❖ الاضطراب في المنهج : ترتيب المواد داخل المعجم ، أو اختيار المادة اللغوية ، أو جمع المفردات.
- ❖ العيوب في الشرح والتفسير . وعدم الدقة ، وإبهام " غموض العبارات عند تعريف الألفاظ .
- ❖ ترك الشرح وإهماله في بعض المواد أحياناً ، أو التعسف في الشرح ، أو القصور فيه أحياناً .
- ❖ عدم الضبط ، والوقوع في بعض الأخطاء اللغوية " صرفياً أو نحويًا أو اشتقاقياً "
- ❖ حذف الشواهد أو عدم الاستشهاد ، رغبة في الاختصار ، أو الخطأ في رواية الشواهد وبخاصة الشعرية ، والتغيير في أشطر الأبيات ، أو عدم مراجعة الشواهد بدقة .
- ❖ الخلط بين المعنيين الحقيقي والمجازي ، وعدم تفسير الألفاظ الدخيلة - غالباً .

عيوب معاجمنا العربية

هناك بعض العيوب التي تعترى المعاجم العربية المتأخرة ، ومنها :

- ❖ التضخم الذي نراه في لسان العرب وتاج العروس ، وذلك لكثرة الاعتماد على أكثر من مصدر في نقل المادة اللغوية الواحدة ، ولأن صاحب اللسان ينقل عن تهذيب اللغة للأزهري ، والمحكم لابن سيدة ، والصاحح للجوهري ، فتتكرر العبارات أكثر من مرة ..
- ❖ خلط هذه المعاجم بين مستوى العربية الفصحى ، واللهجات القديمة، في اللفظ والدلالة دون إشارة إلى ذلك في أحيان كثيرة ، نحو : السراط و الصيراط و الزراط ، بمعنى الطريق .
- ❖ التصحيف والتحريف في مادتها اللغوية ، بسبب كثرة تعاور النساخ لها على مر العصور .
- ❖ عدم المنهجية في ترتيب مفردات ذات المادة الواحدة ، فيوجب على الباحث قراءة المادة كلها للعثور على بغيته .

كيف نعالج عيوب معاجمنا ؟

وعلاجاً لتلك العيوب يمكن إعادة النظر في المعاجم العربية ، وتصنيفتها من الحشو والتكرار ، والعمل على الفصل بين مستوى العربية الفصحى واللهجات القديمة في اللفظ والمدلول ، والقيام بترتيب كلمات المادة الواحدة ترتيباً منهجياً ، ثم إعادة .
استقراء النصوص القديمة من جديد لتخليصها من التحريف أو التصحيف ، أو من مواد هي من صنع اللغويين .

وعلاجٌ لذلك أيضاً: أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الأول من " المعجم الكبير " ١٩٧٠م - وهو معجم ضخم مستخدم للمعاجم العربية ، وكتب الأدب واللغة ، ودواوين الشعر ، بمنهج خاص تغلب المتخصصون فيه على الكثير من العيوب .

وخلاصة هذا المبحث نتركز في :

أن المعجم هو اتجاه يقوم على أساس جمع ألفاظ اللغة وتنظيمها بطريقة خاصة وشرحها شرحاً وافياً مؤيداً بمأثور الكلام شعراً ونثراً ، وعلى رأس ذلك القرآن الكريم والحديث الشريف ، ويسمى ذلك بالنظام المعجمي الذي بدأت طرقه على يد الخليل مبتكر طريقة التقليلات الصوتية في أول كتاب عربي " العين " وسار على طريقته الأزهري في تهذيبه ، والقالي في بارعه ، وابن سيده في محكمه ، وتابعه ابن دريد في جمهرته، ثم طريقة القافية التي انتهجها الجوهري في صحاحه ، والفيروز ابادي في قاموسه ، وابن منظور في لسانه ، وطريقة الأبجدية العادية التي اتبعها ابن فارس في مقاييسه ومجمله ، والزمخشري في أساسه ، والمقرب (ت ٧٧٠ هـ) في مصباحه ، وغير أولئك من أرباب المعاجم الحديثة .

المدارس المعجمية (طرق جمع ألفاظ المعاجم)

١-مدرسة التقليلات الصوتية .

٢-مدرسة التقليلات الهجائية (الألفبائية) .

٣-مدرسة القافية (مدرسة مراعاة طرفي الكلمة وحشوها) .

٤-المدرسة الهجائية العادية .

أولاً " طريقة التقلبات الصوتية

ابتكرها الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه " العين " ، وتقوم على أساس جمع المادة وتقلباتها في مكان واحد^١ وتحتاج لمعرفة الباحث لمخارج الحروف العربية وترتيبها من حلقية ولسانية وشفوية وقد سار على هذه الطريقة الأزهري في كتابه " تهذيب اللغة " ، وابن عباد في " المحيط " ، وأبو علي القالي في كتابه " البارع " ، وابن سيده في كتابه " المحكم والمحيط الأعظم في اللغة " ، وغيرهم .

ويقصد منها : جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة تحت نطاق واحد ، فمثلا الكلمات " ركب - ريك - برك - كركب - بكر " - يبحث عنها في باب واحد (٢) .

ولهذه الطريقة نقوم بـ دراسة لكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٣)

كتاب العين : أول معجم عربي شامل ، على نمط خاص وطريقة معينة ، ابتكره الخليل وسماه العين ، لأنه أنصع الحروف ، والتسمية صحيحة فقد سميت بعض سور القرآن بحروف (ص - ق - ن - حم) وهكذا (١) .

(١) مثلا : " ك ت ب " فيها (ك ت ب ، ك ب ت) ، و (ت ك ب ، ت ب ك) ، و (ب ك ت ، ب ت ك) ، ويقال إن هذا الترتيب الصوتي لم يبتكره الخليل ، وإنما هو ترتيب اللغة السنسكريتية " اللغة الهندية القديمة " ، وقد أخذها المسلمون عنهم عند اتصالهم بهم في الفتوحات الإسلامية ، فقيل : إن الخليل عرف منهم هذا النظام ، غير أن أبنية المضعف الثلاثي والرباعي من خصائص اللغة السامية ، ولم تستخدمها اللغة الهند أوروبية .

(٢) انظر : المعاجم اللغوية - د/ إبراهيم محمد نجا - ص ١٠ .

(٣) والخليل هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن فرهود الأزدي البصري من أصل عربي ، وينسب الفراهيدي إلى فراهيد من قبيلة أزد شنوءة أو قبيلة فرهود بن شابه البصري ، وقد ولد الخليل في عمان سنة (١٠٠ هـ) ونشأ في البصرة وتعلم بها ، وصار شيخاً لعلمائها ، كان فقيراً انقطع للعلم فأخذ يقرأ ويؤلف ، ولم يسع إلى قصور الأمراء ومنازل الأثرياء ، اعتزلت بنفسه واعتادوا بعلمه ، ورضا بحياته ، فكان سمحا ، لذلك رفض أن يكون مؤدباً لولد الأمير سليمان بن عبد الملك حينما طلب منه ذلك ، وهو والي الأهواز .

ومن تلاميذ الخليل : الأصمعي وسيبويه والنضر ، وتلمذ الخليل على يد أبي عمرو بن العلاء - وبرع الخليل في علم اللغة ، والموسيقى والنغم والأصوات والإيقاع ، والحساب ، والنقط ، والشكل ، والعروض ، والشواهد وألف فيها جميعا - (ت ١٧٥ هـ)

انظر : المزهري للسيوطي ٧٦/١ ، وطبقات النحويين للزبيدي - ص ٤٧ : ٥١ ، والمعاجم اللغوية - د/ إبراهيم محمد نجا - ص ١٣ وما بعدها .

ويعد هذا المعجم عماد ورأس التقليبات الصوتية وأصل لكل الكتب المصنفة في اللغة .

الهدف من وضعه :

الميل إلى جمع ألفاظ ومفردات اللغة وشرحها شرحًا وافيًا ، يوضح إبهامها ، ويزيل غموضها ، مستشهدًا في ذلك بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، والمأثور من كلام العرب شعرًا ونثرًا ، وكل ذلك حفاظًا على اللغة من الضياع .

والخليل بذلك يعد صاحب يد لا تنسى بما أسداه للغة العربية حين هداه عقله الناضج إلى فكرة حصر مفردات اللغة ، وضبطها في كتاب مشروح ومحلل وذاخر بالشواهد من كلام العرب .

الآراء في نسبة المنهج (الطريقة) للخليل

قيل : إن الخليل قد أخذ منهجه في كتابه " العين " من الهنود ، رابطين ذلك بمولده في (عمان) الواقعة على الخليج والمواجهة للهند .

والحق غير ذلك ، لأن الخليل رحل من عمان للبصرة وهو صغير ، ونشأ وتعلم بها حتى صار شيخًا وإمامًا لعلمائها ، فضلًا عن عمد معرفته إلا للغة العربية - فكيف ينقل الهندية - وهو لا يعرفها - إلى العربية ؟ ، كما أنه من ناحية أخرى لم يثبت معرفة الهنود لنظام التقليبات الصوتية .

وقيل : إن الخليل عرف اليونانية ، فأخذ منهجه عن اليونانيين ، وأنه كان على صلة ب (حنين ابن إسحاق) المشهور في الطب ، والذي لزم الخليل وأخذ عنه العربية وبرع فيها .

والحق أن الخليل (ت ١٧٠ أو ١٧٥ هـ) ، وولد حنين بن إسحاق عام ١٩٤ هـ - فلا محال للشك في أن الخليل لم يتصل بحنين . بالإضافة إلى أن الخليل لم يعرف اليونانية ، وعلى افتراض أنه يعرفها - إلا أن اليونانيين لم يؤثر عنهم معرفتهم لترتيب الحروف حسب مخارجها .

(١) أو ربما لأنه الحرف الذي بدأ به الترتيب الصوتي للمعجم ، أو لاستغراق كتاب العين أكبر مساحة في المعجم ، أو لاعتزازه واعتداده بأن خير أعضاء الإنسان التي يعد بها العين ، أو لأن العين هي التي توقف صاحبها على حقائق الأشياء .

ونستطيع القول : بأن منهج الخليل في " العين " منهج ذاتي مستقل ، ولم ينقله عن أمة من الأمم ، أو لغة من اللغات ، فهو مبتكر في معجمه للمنهج والطريقة والترتيب ، لا مقلد ، وهو مخترع لا متبع ، وفي ذلك يقول المستشرق (براو فلتش) : " إن نظام العين ليس غريباً أن يكون للخليل ، بل الغريب ألا يكون منسوباً إليه " .

وأيضاً فالخليل هو : تلميذ أبي عمرو بن العلاء ، وعاصم الأحول ، وأستاذ النضر بن شميل ، والأصمعي وسيبويه ، وقال عنه سفيان الثوري : من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فليُنظر للخليل بن أحمد .

الآراء في نسبة " العين " للخليل (١)

• **الرأي الأول :** ذهب أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) إلى أن الخليل لم يؤلف الكتاب ، ولا صلة له به ، لأن الكتاب لا سند له ، وأن تلاميذه لم يقتبسوا منه في كتبهم .

ورداً على ذلك فإن هناك كثيراً من كتب التراث وصلت إلى الأجيال اللاحقة خالية من الإسناد ولم ترفض (٢)

• **الرأي الثاني :** ذهب الأزهري إلى أن " الليث بن المظفر " قد نحل الخليل كتاب العين لينفقه باسمه ، وأن الخليل صاحب فكرة تأليفه ، لكنه لم يضع نصه .

والواقع أن الأزهري صاحب هجومات على أصحاب المعجمات ، فقد هاجم ابن دريد ، والخروسخي صاحب كتاب " تكملة العين " ، وغيرهم ، ليقدر عدم أهمية ما سبقه من معاجم ، إبرازاً لصورة

(١) اختلفت الآراء للأسباب الآتية :

أ- خلو الكتاب من الإسناد .

ب- اشتماله على رواة معاصرين كالأصمعي ، وعلى رواد متأخرين كالزجاج .

ج- اختفاء المعجم فترة من الزمن منذ عصر الخليل حتى منتصف القرن الثالث الهجري .

د- كثرة الأخطاء الصرفية والاشتقاقية والتصحيقات ، إذ لا يجوز أن تقع منه .

هـ- الخلاف حول الترتيب الصوتي بينه وبين تلميذه سيبويه ، وإلا كانا متطابقين معاً ، باعتبار سيبويه حامل علمه .

و- كتاب العين : لم يذكره أحد من تلاميذ الخليل ولا معاصريه .

(٢) ذكر ذلك " ابن دريد " في جمهرة اللغة ، وابن فارس في مقاييس اللغة ، والسيوطي في المزهري في علوم اللغة .

كتابه " التهذيب " في أنه ليس له قرين ، وقد صرح بذلك في مقدمته ، وهنا نسأل ، ألم يقل الأزهري: لما أراد الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين ...ثم قال: إن الليث تلقفه من فم الخليل!؟

فكيف ينكر بعد ذلك أن الكتاب للخليل ؟ !

ألم ينقل الأزهري مقدمة كتاب العين ، وكثيراً من النصوص منه إلى كتابه " تهذيب اللغة " ؟ ! ثم لماذا لم ينسب " الليث " الكتاب لذاته رغبة في الفخار والسمعة ؟ ! ثم ينزل عنه للخليل ، ويرضى أن يكون تابعاً وتلميذاً ، وغيره مبتكراً لعلم ، ومخترعاً لفن ؟ !

● **الرأي الثالث:** ذهب أبو الطيب اللغوي ، وأبو بكر الزبيدي من القدامى ، ويوسف العث من المحدثين إلى أن الخليل وضع قسمًا من كتاب العين ، ثم أكمله الليث بن المظفر ، واستدلوا بأن ما جاء فيه من معاني النحو إنما هو على مذهب الكوفيين ، وهو بصري ، كما أن الكتاب تضمن بعض الأخطاء التي لا يمكن أن يقع فيها عالم لغوي كالخليل .

● وهذه ليست أدلة على عدم نسبة الكتاب للخليل ، فكونه فيه مسائل نحوية كوفية غير مسايرة للبصريين وهو منهم ، ربما وضعت هذه المسائل داخل الكتاب تشويهاً لحقائقه ، أو تأييداً لمدرسة الكوفة ، وتعصبا بعد أن استشرى الخلاف بين المدرستين .

● أما من ناحية الأخطاء النحوية ، فيجوز من عمل النساخ الذين قلما سلمت مخطوطاتهم من تصحيقاتهم وتحريفاتهم .

● **الرأي الرابع:** انفرد به " ابن المعتز " الذي ذهب إلى أن الكتاب من وضع الخليل ، لكنه أحرق ، فتولى " الليث " إعادة وضعه (١) .

وهي حكاية بعيدة عن الذهن فهي تشبه القصة الخرافية الغرامية ، مما يحملنا على ترك هذا المذهب .

● **الرأي الخامس:** ذهب " ابن دريد " ، وابن فارس " إلى أن كتاب العين للخليل ، فقال ابن دريد :

● "وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي كتاب العين ، فأتعب من تصدى لغايته فكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد .

(١) روى ابن المعتز : أن الخليل زار الليث في خراسان وأهداه كتاب العين ، فأحرقته زوجة الليث انتقاماً من زوجها ، لشغفه بجاريته الحسنة ، فاضطر إلى إعادة وضعه نظر : المعاجم العربية - د/ عبدالله درويش - ص ٥١، ٥٠.

وابن فارس حين ذكر مصادره الكبرى ، قال : أعلاها وأشرفها كتاب " العين " للخليل بن أحمد .

ويرى د/ إبراهيم أنيس وغيره من العلماء اللغويين بأن الترتيب الصوتي الموسيقي لا يقوم به إلا الخليل الموسيقي ذو الحس المرهف ، وعالم الأصوات ، ومخترع علم العروض ، ومؤلفه كتابه في الموسيقى (١) .

منهج الخليل في كتابه " العين " (٢)

١- ترتيب مواد كتابه حسب مخارجها وفقاً للنظام الصوتي لتقسيم الحروف حسب مخارجها التي سبق شرحها في الصفحات السابقة .

٢- تنظيم الكلمات تبعاً لحروفها الأصلية " الجذور دون النظر إلى الأحرف الزائدة أو المقلوبة عن أحرف أخرى ، نحو : استقال ، وترد إلى أصلها "قول" ، و كلمة " صلة - زنة - عدة " ، فترد إلى أصلها " وصل - وزن - وعد " وهكذا .

٣- اتبع نظام التقليلات الصوتية ، فقد عالج الكلمة ومقلوباتها في موضع واحد كما ذكرت في كلمة " كتب " من قبل .

٤- قسم المعجم إلى كتب بعدد حروف الهجاء مرتبة صوتياً حسب مخارجها عنده " حلقيه - لسانية - شفوية - " .

٥- بوب كتابه طبقاً لنظام الكمية " الأبنية " حسب النظام الآتي :

الثنائي : نحو " لو - قد "

والثلاثي الصحيح : نحو " جعل "

(١) انظر : المزهر للسيوطي ٥٢/١ وما بعدها ، ومقدمة تهذيب اللغة ٢٧/١ : ٤٩ ، والمعجم العربية - د/ عبدالله درويش - ص ٤٧ : ٦٨ ، والعين ٦/١ : ٢٧ - تحقيق د/ عبدالله درويش ، والمعجم العربي - د/ حسين نصار ١ / ٢١٩ وما بعدها .

(٢) تلخص أسس هذا المنهج على ثلاثة :

١- الأساس الصوتي : باعتبار مخارج الحروف هي أساس ترتيب مواد اللغة .

٢- التقليلات : بالحديث عن جميع تصرفات المادة ووجوهها في وضع واحد .

٣- اعتبار الأبنية : وذلك بملاحظة عدد حروف المادة الأصلية التي عقدت منها وقد رأى الخليل أنها أربعة : الثنائية ، والثلاثية ، والرباعية ، والخماسية .

- والثلاثي المعتل : نحو : وقف - وباع - وسقى " .
- واللفيف بنوعيه : نحو " ولى - ولوى " والرباعي : نحو " جعفر "
- والخماسي: " نحو " سفرجل " وهكذا .
- فإذا دققنا النظر في المعجم نلاحظ ما يأتي :**
- ١- الاهتمام بالضبط ، والشرح بألفاظ واضحة .
 - ٢- استيفاء ألفاظ المادة من مضارع ومصدر ومشتق .
 - ٣- الاهتمام بالمادة المعجمية ، وهو ما اشتمل عليه المعجم ووقع بين دفتيه من مادة لغوية وضبطها وشرحها وتوثيقها بالنص والشواهد اللغوية من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وسائر الكلام نثرًا وشعرًا .
 - ٤- ذكر المعجم للفعل ومصدره ، وبيان المتعدي واللازم منه وتفسيره .
 - ٥- ذكره للأعلام الجغرافية ، كقوله : العقيق ، واد بالحجاز ...
 - ٦- ذكره لمصادر المادة المعجمية ، وينص على من نقل عنه .
 - ٧- ملاحظته للأمور النحوية ، والعلاقة أو الصلة الاشتقاقية ، كقوله : العقيق غلبت عليه الصفة غلبت الاسم ، وأصل العق : الشق ، وإليه يرجع عقود الوالدين وقطعها ؛ لأن الشق والقطع واحد ، ويقال : عن ثوبه : إذا شقه
الأسس التي قامت عليها فكرة تنظيم كتاب العين :
- أ- الأساس الصوتي : حيث تعتبر مخارج الحروف أساسًا في ترتيب مواد اللغة .
 - ب- التصريفات أو التقليلات : وذلك بالحديث عن جميع تصرفات المادة ووجوهها في وضع واحد .
 - ج- اعتبار الأبنية: وذلك بملاحظة عدد حروف المادة الأصلية التي عقدت منها .
 - د- حديثه عن : الثنائية والثلاثية والرباعية اتخذ أساسًا للبحث عن أصول ومصادر الكلمات العربية.
- ٩- للبحث عن معنى اللفظة تجردها من الزوائد ، ويحول الجمع إلى مفرد ، ويفك التضعيف وترتب حروف المادة ترتيبًا صوتيًا نحو " جعد " نبحث عنها في مادة (ع ج د) ، وهجع نبحث عنها في مادة (ع ه ج) وهكذا .

المآخذ على كتاب " العين "

هناك أمور " مآخذ " وإن كانت لا تفل من شأنه ، أو تنقص من قيمته ، ومنها :

- **أولاً :** صعوبة الأخذ من الكتاب لقيامه على الترتيب الصوتي وهو للخصوص من دارسي أصوات اللغة ، بالإضافة لذكره المادة المعجمية وتقلباتها في نطاق واحد .
- **ثانياً :** اضطرابه في جمع المواد ، وخلطه بن الرباعي والخماسي .
- **ثالثاً :** اشتمال الكتاب على كثير من التصحيف والتحريف ؛ نظراً لعدم النقط في الألفاظ .
- **رابعاً :** عدم شرح الغريب مما يذكر من استشهاد .
- **خامساً :** استشهاد الكتاب بشعر بعض الشعراء المحدثين .
- **سادساً :** اشتمال الكتاب على بعض الأخطاء الصرفية والاشتقاقية والنحوية ، كقوله : ليس في الكلام نون أصلية في صدر الكلمة، وهذا عكس الكلمة " نهش ، ونصع " .
- **سابعاً :** إذا ذكر النبات أو الحيوان أو الحشرات شعر القارئ بالحاجة إلى من الشرح والتفسير لها .

**** وأعتقد :** أن هذه المآخذ ربما جاءت مدسوسة في كتابه ، للدس عليه، قصد التنكيل به والنيل من شهرته والتقليل من شأنه ، أو هي مآخذ ربما أدخلها الوراقون والنساخون - جهلاً منهم - رغم أنها لا تمثل شيئاً من النقيصة لمكانة هذا العالم اللغوي الكبير.

وفي ذلك يقول الإمام السيوطي : " أما أنه يخطيء في لفظة من حيث اللغة ، فمعاذ الله لم يقع ذلك ، وحينئذ لا قدح في معجم العين (١) "

أثر كتاب " العين " في التأليف المعجمي

- ١- فتح الباب أمام اللغويين فحذوا حذوه في التأليف المعجمي ، كما فعل الأزهري في كتابه " تهذيب اللغة " ، وأبو علي القالي في كتابه " البارع " وابن عباد في " المحيط " ، وابن سيده في " المحكم والمحيط الأعظم في اللغة " .
- ٢- قامت عليه دراسات كثيرة منها :
- التكملة - لأبي عبدالله محمد الكرمانى (ت ٣٢٩ هـ) .

(١) انظر : المزهري ١/٨٦:٨٣ ، والمعجم العربية - د/ إبراهيم نجا - ص ٣٥ .

- التكملة لأبي حامد الخارزنجي (ت ٣٤٨ هـ) .
- الاستدراك لما أغفله الخليل - لأبي الفتح الهمداني المراغي (ت ٣٧١ هـ) .
- استدراك الغلط الواقع في كتاب العين - لأبي الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) .
- غلط العين - للإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) .
- وكتب كثيرة أخرى ، ودراسات حديثة استدركت على العين ذكرها د /حسين نصار في كتابه " المعجم العربي - الجزء الأول " ، واتبع بعض العلماء كتاب العين في بعض خصائصه ، مما أدى إلى ظهور معاجم ذات مناهج تمثل مراحل جديدة في ميدان الكتابة اللغوية (١) .

ثانياً مدرسة التقليلات (الألفبائية)

عرفنا أن العلماء ومنهم " ابن دريد (ت ٣٢١ هـ)^٢ قد عدلوا عن مدرسة التقليلات الصوتية ، لصعوبة البحث ، فألف ابن دريد معجمه " الجمهرة " ورتبه ترتيباً هجائياً " ألفبائياً ، فهي طريقة العامة والخاصة .

فكانت هذه الطريقة هي الأولى في طريق التيسير المعجمي .

- ورغم ذلك فلم يتابع منهجها أحد من المعجميين الذين عاصروه ، أو أتوا بعده ، مع أنهم وقفوا على كتاب ابن دريد ، وأفادوا منه لأنه النموذج والرائد ، ولأنه مدرسة بذاتها .
- ويهدف ابن دريد من وضعه لكتابه الجمهرة الى جمع الشائع المشهور من كلام العرب ، والبعد عن الغريب والحوشي والمستنكر - وقد ذكر في مقدمة ونهاية الجمهرة .
- ولم يفته أن يعقد ملحقات خاصة دون فيها ما نبه على إبعاده من الغريب والحوشي .

منهج ابن دريد في " جمهرة اللغة " (١)

(١) انظر : المعجم العربي - د / حسين نصار ٢٩٧/١ وما بعدها .

(٢) ابن دريد هو : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، وينتهي نسبه إلى يعرب بن قحطان ، ولد بالبصرة في خلافة المعتصم (سنة ٢٢٣ هـ) من أسرة عريقة غنية ذات علم ورياسة فأتاح له هذا الفرصة للنبوغ العلمي ، بالإضافة إلى تلقيه العلم على أساتذة علماء نابغين ، ومنهم عمه " الحسين بن دريد ، وأبو حاتم السجستاني ، وأبو الفضل الرياشي " ، وتمتع ابن دريد بحافظة قوية ونكاه حاد ، فكان أحفظ الناس وأكثرهم علماً ، وأقدرهم على الشعر ، ومن تلاميذه : " السيرافي ، وابن خالويه ، وأبو الحسن الرماني ، والقالبي ، وغيرهم " وترك لنا ثروة علمية كبيرة ، ومن أهمها : " الجمهرة ، والاشتقاق ، وغريب القرآن ، والمقصود والممدود ، واللغات " ت ٣٢١ هـ) . انظر : معجم الأدباء - لياقوت - ١٣٦/١٧ ، وفي معجمات العربية - د/عبد الهادي أحمد محمد السلاموني - ص ٣٩ ، ٤٠ ، ومعجم اللغة د/ إبراهيم محمد نجا - ص ٥٢ وما بعدها .

لم يرض ابن دريد عن طريق الخليل في ترتيب الكلمات على مخارج الأصوات .لتغير الزمن والظروف ، مشيرًا إلى أن الخليل ألف كتابه متمشيًا مع ثقب أفكار أهل عصره ، وحدة أذهانهم ، أما في عهد ابن دريد فخارت قواهم ، وضعت ذاكرتهم فاحتاجوا إلى التسهيل والبعث عن الصعوبة ، ولذلك جاء منهجه في الجمهرة على النحو التالي : -

١- اتبع نظام التقلبات الهجائية ، وهي جمع كلمات في نطاق واحد ، ووضعها تحت أسبق الحروف ترتيبًا هجائيًا ، وهذا يختلف عن الخليل ، فمثلًا مادة (ك ت ب) فعد الخليل يبحث عنها في باب (الكاف) لأنه أبعد الحروف مخرجًا ، بينما يبحث عنها عند ابن دريد في باب (الباء) وهي أسبق الحروف في ترتيبها الهجائي (الألفبائي) .

٢- نظر إلى الحروف الأصلية وجردها من الزوائد ، فمثلًا : " استعبد " تصبح " عبد " ويكشف عنها في الجمهرة في باب " الباء " لأنها أسبق الحروف ألفبائيا ، وبذلك يكون قد راعى فكرة الجذر

٣- قسم الكتاب إلى ستة أبنية ، وهي : الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي ، والسداسي ، واللفيف ، ثم اختتمها بباب النوادر من خلال الصياغة أو المعنى الدلالي .

وعلى ذلك فإذا أردنا أن نكشف عن الكلمة أو اللفظة في معجم " جمهرة اللغة " يلزمنا معرفة أصل اللفظ، كميته : ثنائيًا أو ثلاثيًا أو رباعيًا... ويلزمنا معرفة نوع الحروف : صحة واعتلالا..... فإذا وقفنا على معرفة هذه الأمور أمكننا معرفة أسبق الحروف الأصلية من حيث الترتيب الألفبائي المعروف ، وبهذا نكون قد عرفنا موضع الكلمة أو اللفظة في الجمهرة .

٤- وفي آخر الكتاب عقد ابن دريد بابا سماه " النوادر " قسمه إلى أبواب بحسب الصيغ ، كباب لـ فعلاء ، وآخر لـ فاعلاء - و إن لم يراع في هذه الأبواب الترتيب الأبجدي عند ذكر مفرداته (٢) .

(١) علل ابن دريد تسميته لكتاب الجمهرة بقوله ،: وإنما أعربها هذا الاسم ، لأننا اخترنا الجمهور من كلام العرب ، وأرجننا الوحشي المستنكر - انظر : جمهرة اللغة ١/٤ ، وفصول في فقه العربية ص ٢٧٣ .

(٢) انظر : فصول في فقه العربية - د/ رمضان عبد التواب - ٢٧٤ - ط ثانية - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م مكتبة الخانجي - القاهرة .

ه-تحتوي "الجمهرة" على شروح للكلمات وأبيات من الشواهد - لا توجد أحياناً في غيرها من المعاجم العربية ، وقد اعتمد في تأليف المعاجم على هذا الكتاب علماء اللغة ، أمثال : ابن سيده الأندلسي والصاغانى في كتبهم : "المخصص والمحكم والعباب والتكملة" (١)

المأخذ على الجمهرة

- ١-رغم أنها خطوة في طريق التيسير ، قد أعفت الباحث من عناء التعرف على مخارج الأصوات في المدرسة الصوتية ، إلا أنها لم تعف الألفاظ من التراكم والتزاحم .
 - ٢-كان يعتبر تاء التأنيث - أحياناً - من بنية الكلمة وعدها ضمن حروفها ، ولا شك أن هذا خطأ.
 - ٣-في آخر الجمهرة عدة أبواب صغيرة كباب في صفة النعل ، وهو خلط النظام الأبجدي ونظام الموضوعات والمعاجم .
 - ٤-إكثاره من الألفاظ المولدة والغريبة .والمفروض أن تلك حسنة من حسنات الجمهرة ، حيث تحكي حال اللغة .
 - ٥-انفراده بأشياء لم توجد في كتب المتقدمين .
- وأظن أن ذلك لا يعد عيباً ، ولا سبباً من أسباب النيل منه ، مع أنهم يقولون: من حفظ حجة على من لم يحفظ ، فليس عيباً أن نجد هنا ألفاظاً افتقدت في غير الجمهرة .**
- ٦-التصحيح " الكذب " وهي تهمة علقها به الأزهرى حيث قال في مقدمة تهذيب اللغة " وتصفحت كتاب " الجمهرة " فلم أراه دالا على معرفة ثاقبة ، وعثرت منه على حروف كثيرة أزالها عن وجوهها .
 - وأعتقد أن ابن دريد من ذلك بريء ، فربما يرجع التصحيح إلى عمل النساخ ، كما حدث في كتاب العين للخليل " .**

وما أعظم قول السيوطي في مزهره "ومن طالع " الجمهرة " رأي تحريه في روايته " ٧- تفصيله في شرح الألفاظ الدالة على الحيوان والنبات والآلات مكتفياً كالعادة بالتعقيب أثر "

(١) انظر: فصول في فقه العربية - د/ رمضان عبد التواب - ٢٧٤ - ط ثانية - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م مكتبة الخانجي - القاهرة .

أثر جمهرة اللغة " في المعجمات العربية

أولاً: رغم الابتعاد عن طريقة الترتيب الصوتي ، فإن منهجه تعرض لهجوم عنيف من علماء عصره " الأزهري - نبطويه ، وغيرهما " ، وذلك لكثرة التقلبات في المادة ، وكثرة التبويب ، وتقسيم الحرف إلى عدة أبواب ، وكل باب إلى عدة تقسيمات فرعية ، مما جعل العثور على اللفظ في غاية المشقة ، والحاجة إلى وقت وجهد كبيرين ، فأدى ذلك إلى انصراف العلماء من اتباع منهجه ، ومع ذلك فقد أفادوا من مادته العلمية كثيراً ، وتردد اسم الجمهرة في معجمات مختلفة كثيرة .

ثانياً: قامت حوله كثيراً من الدراسات ، نحو :

- ١- كتاب جوهرة الجمهرة - للصاحب بن عباد (ت ٤٣٦ هـ) .
 - ٢- كتاب نظم الجمهرة - ليحيى بن معط المغربي الزهاوي (ت ٦٢٨ هـ) .
 - ٣- كتاب مختصر الجمهرة - لشرف الدين محمد بن نصر الله الأنصاري الشاعر (ت ٦٣٠ هـ) .
- وكلها كتب ضاعت فيما ضاع من تراثنا ، وقد احتفظت بأسمائها كتب التراجم .

ثالثاً : مدرسة القافية (١)

وتقوم هذه الطريقة على أساس ملاحظة الحرف الأخير من الكلمة والأول منها ، فيسمى الحرف الأخير " بابا " ويسمى الحرف الأول " فصلاً " ، نحو : كتب ، فتقول : باب (الباء) فصل (الكاف) .

وكل ذلك يأتي بعد تجريد الكلمة من الزوائد ، والاعتماد على أصولها .

ويبدو أنها كانت ملاحظة عند أبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) ، وأبي البشر اليماني البندنجي (ت ٢٨٤ هـ) (٢) ، والفارابي وهو خال الجوهري الذي لاحظ أوائل الكلمات وأواخرها في كتابه " ديوان الأدب " ، وعنه أخذها الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) صاحب كتاب " تاج اللغة وصحاح العربية " واشتهرت هذه الطريقة بين اللغويين ، والتفوا حوله .

(١) سميت بهذا الاسم لأنها تساعد الشاعر أو الساجع على الاختيار المناسب للكلمات التي يريد لها لقافية البيت ، أو نهاية الجملة المسجوعة ، وذلك لوجود الكلمات مرتبة في هذا المعجم حسب أواخرها .

(٢) له كتاب (التقفية في اللغة) ويعد البندنجي رائد المدرسة ، وأول من ألف فيها .

ادعى الجوهري أنه المبتكر لهذه الطريقة حيث قال في مقدمة كتابه :

" أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم

أغلب عليه في ثمانية وعشرين بابا ، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا ، على حروف

المعجم وترتيبها (١)

سار على نهجه معجميون كثيرون ، منهم : الفيروز ابادي في كتابه " القاموس المحيط " ، وابن منظور في كتابه " لسان العرب " ، والرازي في كتابه " مختار الصحاح " ، وغيرهم من اللغويين

ولهذه المدرسة نقوم بـ دراسة في كتب التراث اللغوي العربي

أولاً : دراسة لكتاب " تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري (٣٣٢-٣٩٨ هـ) (٢).

قيل : كتاب الصحاح بالكسر وهو المشهور ، جمع صحيح ، كظريف وظراف
وقيل : الصحاح بالفتح ، وهو مفرد نعت كصحيح ، وقد جاء " فعال " بفتح الفاء لغة في فاعيل ،
كصحيح وصحاح ، وشحيح وشحاح ، وبريء وبراء (٣)

يعد هذا المعجم مرحلة متطورة ناجحة في مراحل تدوين المعجم العربي بعد مرحلتي " العين " للخليل ، " وجمهرة اللغة " لابن دريد ، ولهما أتباعهم ، وإن كانت طريقة الصحاح للجوهري قد تميزت بالابتكار والتي فاقت طريقة ما تقدمه من معاجم ، في تقريب وتناول اللغة ، نهجا

(١) انظر: الصحاح ٣٣/١ - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين.

(٢) الجوهري هو : إسماعيل بن حماد أبو نصر النيسابوري الفارابي (من فاراب من بلاد الترك) الجوهري ، ويعد إماماً في اللغة والأدب ، تتلمذ على يد أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ، وخاله أبي إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠ هـ) ، والسيرافي (٣٦٨ هـ) ، واخترق البدو والحضر طلباً للعلم حتى أتقن اللغة ، ثم اشتغل بالتدريس والتأليف وتعليم الخط ، وكتابة المصاحف والدفاتر الجميلة ، فحياته عكوف على العلم ، ورحلاته وصلاته تدور حول العلم .

يقول القفطي : " إنه من أعاجيب الدنيا " ، ويقول ياقوت : " إنه من أعاجيب الزمان ، ذكاء وفطنة وعلمًا " ، وامتدحه ابن رشيق القيرواني في كتابه " العمدة " ، له مؤلفات كثيرة ، منها : تاج اللغة وصحاح العربية وشهرته " الصحاح " ، وله كتاب في العروض ، وله مقدمة في النحو (ت ٤٠٠ هـ)

انظر : بغية الوعاة - للسيوطي ٤٤٦/١ ، وإنباه الرواة - للقفطي ١٩٤/١ ، ومعجم الأدباء ١٥١/٦ ، والمزهر ٩٨/١ ، والعمدة - لابن رشيق ١٣٥/١ ، ومقدمة الصحاح - ص ١٠٨ وما بعدها .

(٣) انظر: المزهر ٩٧/١ ، ومقدمة الصحاح - ص ١١١ ، ومن تراثنا اللغوي : المعاجم العربية - د/ كمال حسين أحمد عيد - ص ٢٤٦ - جامعة الأزهر .

وحسن مأخذ ، وذلك بتبويب المعجم أبوابًا حسب عدد حروف المادة الأصلية قاضيًا بذلك على أول صعوبة ظهرت في المرحلة الأولى وهي حرص اللغويين على كون البناء الكمي والنوعي أساسًا لا يستغنى عنه في تدوين المعاجم ، وكذلك الصعوبة الأخرى التي ظهرت في المرحلة الأولى والثانية وهي الحيرة في ترتيب المواد حسب المنهج السابق ، وكان جمع مشتقات المادة الواحدة وحشدها في موضع واحد تبعًا لمخارجها الصوتية عند الخليل ، أو تبعًا للترتيب الأبجدي المعتاد " أ - ب - ت - ث - ج - ح - " عند ابن دريد .

كل ذلك فيه صعوبة وجهد وعناء في البحث عن المادة ، لذا كان القضاء على هذه المشكلات جميعًا في معجم الصحاح للجوهري عملاً جديرًا بالتقدير .

منهج الجوهري في الصحاح

يعد آية في فن التصنيف المعجمي مبتعدًا عن المنهج الصعب الذي التزمه الخليل وابن دريد ، ملتزمًا منهجًا جديدًا ميسرًا في عرض اللغة .

فالأساس الوحيد الذي ارتضاه الجوهري في ترتيب كتابه : أنه قسمه أبوابًا بعدد حروف الهجاء ، ووفق الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية ، وجعل المواد الواوية ، واليائية .

الأخر في باب واحد ، ثم قسم كل باب فصولًا بعدد حروف الهجاء ، وذلك حسب الحرف الأول من حروف المادة الأصلية ، بغض النظر عن عدد حروف المادة وعن أجناسها .

فباب الميم يجمع المواد المنتهية بحرف الميم ، وفصل العين منه يجمع المواد المبدوءة بحرف العين من هذا الباب نفسه ، وهكذا بقية الأبواب .

وفي باب الجيم ، وفصل العين منه نجد المواد الآتية : عنج - عج - عدلج - عرج - رفج - عسج - عسلج - عفج - عضج - علج - عصج - عنج - عوج - عهج - عيج - وبها ينتهي فصل العين من باب الجيم .

ويلاحظ أنه

١. رتب المواد في فصل العين حسب الحرف الثاني إن كانت الكلمة ثلاثية ، فالثالث إن كانت الكلمة رباعية ، ثم الرابع إن كانت الكلمة خماسية : " عنسج - عدلج - عرفج - عفصج " ، وهكذا بقية فصول كل باب .

٢ . قدم فصل " الواو " ، وجعله بين النون والهاء ، وكذلك صنع في الترتيب الداخلي للمواد ،
مثل : " عوج - عهج - عيج " .

٣ . عدد فصول أي باب لا يطابق دائما عدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين ، فإن أكثر الأبواب لم يستوف هذا العدد من الفصول ، وهناك خمسة أبواب فقط ضمت فصولا كاملة ، وهي : " أبواب الهمزة - اللام - الميم - النون - باب الواو والياء " ، وهناك باب واحد هو باب " الزاى " ينقصه فصل واحد هو فصل اللام ، كما أن هناك باب " الظاء " المعجمة نقص منه اثنا عشر فصلا .

ويلاحظ من ذلك أنه راعى الأمور الآتية :

١- الرجوع بالكلمة إلى أصولها .

٢- النظر إلى الحرف الأخير من الحروف الأصول ، وجعله بابا .

٣- النظر إلى الحرف الأول من الحروف الأصول ، وجعله فصلا .

٤- النظر إلى حروف الحشو .

وقد أشار الجوهري إلى هذا المنهج في قوله : " أو دعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلب عليه في ثمانية وعشرين بابا ، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا ، على عدد حروف المعجم وترتيبها .

الهدف من تأليف الصحاح

ويهدف من وراء تأليفه إلى أمرين مهمين :

الأول : جمع ألفاظ اللغة بطريقة حاصرة ، وبأسلوب منظم هادفاً لبيان ما غمض من معناها وكذلك بيان طريقة نطقها ، وهو هدف عام التزم به من سبقوه ، إلا أنه قام هو بتنقيحها بطريقة ميسرة للباحث - ولم يسبقه إليها كما يعتقد - أحد .-

الأخر : جمع الصحيح من اللغة والبعد عن الغريب والحواش ، معتمداً في ذلك على مشافهة

الأعراب في البادية والحضر الذين التقى بهم في رحلاته في الحجاز وربيعه ومضر (١)

(١) راجع كتاب : مناهج البحث في اللغة والمعاجم - / عبد الغفار هلال - ص ٣٤١ .

والواضح أنه كان متأثرًا بعلماء الحديث في صحة الرواية وعدمها ، حاشدًا لكتابه الجمهور من كلام العرب ، ومرجئًا الوحشي والمستنكر ، وقد ذكر السيوطي في مزهره ذلك فقال : " وغالب هذه الكتب ما يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح ، بل جمعوا فيها ما صح وغيره ، وينهون على ما يثبت غالبًا .

وأول من التزم الصحيح مقتصرًا عليه الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ولهذا سمي كتابه بالصحيح (١).

خصائص معجم الصحاح

نميز هذا المعجم بعدة خصائص : نذكر منها أمثلة :-

- ١- يأتي بالكلمة ، مبينًا معنى المصدر ، والفعل ، والمشتقات لها - ومضاعفاتها ومزايدها وتطور معانيها بعد الزيادة .
- ٢- ضد الكلمة بالنص على نوعه ، نحو : العجمة بالضم والعدة بالضم والرطوبة بالضم ساكنة الطاء ... وهكذا .
- ٣- التنبيه على لغات المادة إذا كان لها أكثر من لغة وأكثر من لهجة ، نحو : العجعة في قضاة يحولون الياء جميعًا مع العين في نحو هذا راعج خرج معج ، أي هذا راعي خرج معي .
- ٤- يذكر العلل النحوية والصرفية وآراء العلماء ومناقشاتهم .
- ٥- ذكره لمعاني الكلمة إذا كان لها أكثر من معنى ، نحو: الدفاء : نتاج الإبل وألبانها وما ينتفع به والدفاء السخينة .
- ٦- ينسب إلى العلماء ما نقل عنهم ملتزمًا بأخلاق العلم وقيمة النبيلة .
- ٧- الاستشهاد على المادة بالنصوص الأدبية الموثوق بها : كتاب الله ، وحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) وما روى من أدب العرب (شعرًا ونثرًا) ، والحكم ، والأمثال وأقوال العرب للاستدلال على معنى لغوي .
- ٨- اعتماده على الحفظ والرواية عن اللغويين ، وعلى أنصاره بالبادية متحريرا المنابع التي لم تتأثر بالحضارة الوافدة ، ولم يخالطها الأجانب فيفسدوا لغتها حتى أشاعوا اللحن فيها .

(١) راجع كتاب : المزهر - للسيوطي - ٩٧/١ .

- ٩- اتصّاله بمؤلفات من سبقوه ، وتلمذته على يد خاله إسحاق بن إبراهيم الفارابي صاحب ديوان " الأدب واللغة " ، فكان ذلك فتحة جديدة في مجال تدوين المعجم العربي .
- ١٠- عنايته بالإشارة إلى اللغات ، وشرح الألفاظ شرحًا وافيًا
- ١١- اهتم بالمعرب من الألفاظ ، وبالأعلام العربية وبعض مسائل فقه اللغة، والإشارة إلى المشترك اللفظي .

طريقة الكشف في معجم الصحاح

- ١- نقوم بتجريد الكلمة من زوائدها .
- ٢- تجعل الحرف الأخير منها " بابا " والأول فصلا.
- ٣- مراعاة الترتيب الداخلي لحروف الكلمة .

الكلمة	الأصل	الباب	الفصل	الكلمة	الأصل	الباب	الفصل
منشرح	شرح	الحاء	الشين	زلازل	زلزل	اللام	الزاي
محمود	حمد	الذال	الحاء	أساطير	سطر	الراء	السين
الركوع	ركع	العين	الراء	ستغفر	غفر	الراء	الغين

المأخذ التي وجهت إليه

- ١- التصحيف والتحريف في الشعر ، أو بعض المواد اللغوية .
- ٢- إهماله بعض الصيغ والأبنية .
- ٣- نسبة الأقوال إلى غير أصحابها ، أو عدم دقته في نقل أقوال العلماء .
- ٤- اضطرابه في نسبة الأحاديث النبوية إلى غير رواتها.
- ٥- خطأه في شرح بعض معاني المفردات .

ثانياً : دراسة لكتاب " القاموس المحيط " لجد الدين الفيروز ابادي (١)

يعد الفيروز ابادي أول من أطلق لفظ " القاموس " ، وصارت الكلمة مرادفة لكلمة المعجم ، وأصبح علما على كل المعجمات اللغوية .

ولعل الهدف من تأليفه هو الجمع والاستقصاء لألفاظ ومفردات اللغة في صورة موجزة وعبرة مختصرة ، فهو كتاب جامع صحيح بسيط .

منهج " القاموس "

ونوجز منهج الفيروز ابادي فيما يلي : -

١- رتب كتابه على طريقة القافية أو الباب والفصل ، فجعل الحرف الأخير في الكلمة بحسب الأصل والأول فصلا ، فمثلا " كتب " يكشف عنها في باب " الباء " فصل " الكاف " .

٢- قسم كل باب من هذه الأبواب إلى فصول ، وقد يشتمل الباب على ثمانية وعشرين فصلاً ، وتقل إذا أهملت بعض الألفاظ .

٣- اتباع الترتيب الهجائي " الألفبائي " .

٤- الاختصار والشمول والدقة في عرض التفسيرات والمعاني اللغوية، فنتج عن ذلك حسن الاختصار وتقريب العبارة ، وتهذيب الكلام ، وإبراز المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة .

وتحقيقاً لذلك :

١ - قام بحذف الشواهد بأنواعها : قرآن كريم ، وحديث نبوي ، وشعر ، وأسماء اللغويين ، وأسماء الرواة ، وقلماً يترك شيئاً منها وتحقيقاً لذلك أيضاً .

(١) الفيروز ابادي هو : الإمام أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي ، والفيروز ابادي ، نسبة إلى قرية " فيروز اباد " إحدى قرى فارس والتي منها والده وجدته ، ولد عام ٧٤٩ هـ في قرية قرب شيراز من بلاد فارس تسمى قرية (كارزين) ونشأ وتربى بين أحضانها ، تلقى علمه الأول على يد والده وعلى شيوخ مشهود لهم بعلمهم الغريزة وسلوكهم الحسن ، نحو قاضي بغداد ، وابن الخباز ، وابن القيم ، وابن الحموي ، وعبدالله بن بكتاش ، ومحمد بن بوس الزرندي ، وغيرهم . وقد ساعده على نبوغه قوة الحفظ ، وحدة الذكاء ، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، ومن أقواله : " ماكنت أنام حتى أحفظ مائة سطر " تنقل في بلاد كثيرة طلباً للعلم ، فذهب إلى الشام ومصر والهند .

كان ذا علم بالفقه والحديث والتفسير والتراجم وعلوم اللغة ، رحل إلى اليمن ، وتوفى بها عام ٨١٦ هـ بعد أن خلف لنا كثيراً من المؤلفات ، من أهمها : كتاب القاموس المحيط ، والمكباس في تفسير ابن عباس ، وبصائر ذوى التمييز في لطائف كتاب الله العزيز .

- وضع عدة مصطلحات للاختصار ، فيستعمل رموزاً بدلاً من الكلمات ، نحو : " ج " للجمع ، و " ج ج " لجمع الجمع ، و " خ " للبخاري ، و " خ م " للبخاري ومسلم ، و " ع " للموضوع ، وغيرها وكل هذا يجعل من اليسير على الباحث التعرف على مكان أي لفظ من الألفاظ .
- ٥- عنى بالضبط عناية دقيقة انتقاء التحريف والتصحيح .
- ٦- دقة تنظيم المواد ، بذكرها ثم شرحها المتتابع ، بعيداً عن التكرار وتشتيت الأفكار
- ٧- إضافة مواد جديدة ، أهملها الجوهري في صحاحه .
- ٨- إفراده الواوي من اليائي في المعتل .
- ٩- اهتم " الفيروز ابادي " بالأعلام من أسماء المحدثين والفقهاء ، وأسماء المدن والبقاع ، كما اهتم أيضاً بالنواحي الطبية ، فذكر اسم النبات ، والمنافع المهمة له، وكذلك بالمصطلحات العلمية كما فعل في علم العروض .

المأخذ على " القاموس المحيط "

- ١- الاختصار ، أوقعه في إبهام عباراته وغموضها، مما أدى إلى اللبس في فهم المراد .
- ٢- عدم نسبه الألفاظ إلى قبائلها .
- ٣- وقوعه في بعض الأخطاء اللغوية والصرفية التي لا تليق بمكانته، كوزنه لكثير من الألفاظ على " افتعل " وهي في الأصل على وزن " انفعل " .
- ٤- ذكره للألفاظ الأجنبية والمعلومات والمصطلحات الطبية ، وغيرها .
- وأعتقد أن ذلك من الحسنات لا المآخذ ، لأن المعجم ينبغي أن يفي بحاجات الأمة .
- ٥- عدم تمييزه بين المعاني الحقيقية والمجازية .
- ٦- يرى أن " مجهلا " لا يثنى ولا يجمع في قوله : وأرض مجهل كمقعد ، لا تثنى ولا تجمع ، والصواب العكس ، ففي الأساس : وساروا في مجاهل الأرض ومعالمها .
- والحق أن " مفعلا " يطرد جمعه على " مفاعل " ، نحو : ملجأ / ملاجيء ، ومنظر / مناظر
- ٧- أخطأ في قوله : الحفنة ملء الكف، والأصوب : ملء الكفتين ، وقوله : السلم ، كسكر ، وجمعه : سلالم ، و سلاليم ، والصواب : سلالم " فعالل " أما سلاليم ، فالياء زائدة للضرورة الشعرية ،

وقوله : الإبل بكسرتين وتسكين الباء : :واحد يقع على الجمع وليس بجمع ، ولا اسم جمع ، وهذا مخالف للقياس ، فهو اسم جمع واحده ناقة ، أو حمل ، على رأي أهل اللغة (١).

أثر القاموس المحيط

- ١- من أشهر المعاجم العربية ، أقبل عليه اللغويون والناس عموما ، اهتم به الباحثون فبعضهم شرحه ، أو نقده ، أو دافع عنه ، أو اختصره .
- ٢- قامت حوله كثير من الدراسات ، وقامت حوله المؤلفات ، ومنها : تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، لشرح القاموس ، وتجلية غامضه ، وإضافة المواد التي أهملها - ولكنه جعل لام الكلمة بابًا ، وفاؤها فصلاً ، وإن كان قد سايره في الضبط الذي اتبعه ، والرموز التي اصطلح عليها ، ومؤلفات أخرى كثيرة ، ومنها : تصحيح القاموس - لأحمد تيمور باشا (ت ١٩٣٠ هـ) ، وترجمة القاموس - لأحمد عاصم بن جناني (، والقول المأنوس في صفحات القاموس - لمحمد بن سعد الله ، وترتيب القاموس - لطاهر أحمد الراوي الطرابلسي ، وغير ذلك كثير .

رابعاً : المدرسة الهجائية العادية

وتقوم على مراعاة الحرف الأول والثاني والثالث و ... من أصول الكلمة ، وجعل الحرف الأول من أصول اللفظ (بابا) ، و إلى جعل الثاني (فصلا) ، ثم الذي يليه ... وهكذا .
وتعد هذه المدرسة من أيسر المدارس منهجًا ليسر البحث فيها للعامة والخاصة ؛ ولذا فهي باقية حتى اليوم .

ويعد الإمام اللغوي (أبو عمرو الشيباني) (ت ٢٠٦ هـ) هو رائد هذه المدرسة ، وقد سار على نهجه أحمد بن فارس في معجميه " المجمل والمقاييس " ثم أبو المعالي محمد بن تميم البرمكي)

(١) انظر : بعض ما يؤخذ على مؤلف القاموس في كتاب :

" شمس العرفان بلغة القرآن " - ص ١٩٧ : ٢٢٣ - دار المعارف بمصر ، وانظر : في الفكر اللغوي - د/ محمد فتوح - ص ٢٤٥ : ٢٨١ - ط أولى - ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م - دار الفكر العربي .

ت ٤٣٣ هـ) ، والزمخشري في أساس البلاغة ، والفيومي (ت ٧٧٠ هـ) في كتابه المصباح المنير ، وبطرس البستاني (ت ١٨٦٩ م) في لبنان في كتابه محيط المحيط، والأب لويس المعلوف (ت ١٩٠٨ م) في كتابه " المنجد " وعبدالله البستاني (ت ١٩٣٠ م في كتابه " البستان " . ثم معاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الكبير ، والوسيط ، والوجيز، وغيرها من المعاجم لغير هؤلاء ، ومعظمها سار على طريقة الترتيب الهجائي الميسر .

دراسة نموذجين لنهج هذه المدرسة ، وهما :

دراسة لكتاب " أساس البلاغة " للزمخشري (١)

دراسة نموذجين لنهج هذه المدرسة ، وهما :

دراسة لكتاب " أساس البلاغة " للزمخشري

يعد هذا المعجم في مقدمة المعجمات التي عنيت بتمييز المعاني الحقيقية عن المعاني المجازية ، وهذا جانب لم يحظ بعناية أصحاب المعاجم قبله ، إضافة إلى عنايته بالعبارة المركبة ، والجانب البلاغي . ويهدف من وراء تأليفه لهذا الكتاب إلى :

١- الوقوف على أسرار الإعجاز القرآني وتوضيحه .

٢- كيفية إنشاء الأسلوب البياني ، والتمييز بين المعاني الحقيقية والمجازية ومنها تخرج طائفة من فحول العربية و أعلامها في الأدب والبلاغة ، فهي أهداف بلاغية لا لغوية كما كان سابقوه ،

(١) الزمخشري هو : الإمام اللغوي أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد جار الله الزمخشري ، ولد في زمخشر إحدى قرى خوارزم ، في ٢٧ رجب ٤٦٧ هـ ، ورحل إلى بخارى ، وبغداد ، ومكة ، فجاورها فلقب بجار الله ، تلقى علومه من : الطبري والأصفهاني ، والنيسابوري ، فهو إمام في التفسير واللغة والأدب والتوحيد والفقه وعلوم القرآن والحديث ، وله أكثر من ٤٩ مؤلفاً أشهرها : الكشف ، وأساس البلاغة ، وشرح كتاب سيبويه ، والأحاجي النحوية ، والمفرد والمركب في العربية ، وجواهر اللغة ، وكتاب الأجناس ، والمفصل في النحو ، والأمالي في النحو ، وديوان في الخطب والرسائل ، والنموذج في النحو ، وغيرها من المؤلفات ، (ت ٥٣٨ هـ) وذلك بحرجانية خوارزم ليلة عرفة بعد رجوعه من مكة انظر : معجم الأدباء - لياقوت ١٢٦/١٩ - ومحاضرات في المعجم العربي -

في مثل : المحيط ، وتهذيب اللغة ، وجمهرة اللغة ، والصحاح ، ولسان العرب ، والقاموس المحيط ، لابن عباد ، والأزهري ، وابن دريد ، والجوهري ، وابن منظور ، والفيروز ابادي .
أي أنه لا يهتم باللفظة المفردة كما فعلوا في مناهجهم ، وكلها أهداف دينية وعلمية وتطبيقية تعليمية .

نهجه في هذا الكتاب

أ- اتبع الترتيب الألفبائي " الهجائي " : أ - ب - ت - ث - ي ، ويسمى الحرف الأول من الكلمة " بابا " ، وقدم باب الواو على الهاء .

ب- راعى في ترتيب المواد داخل المعجم الحرف الثاني فالثالث فالرابع ، ورتبه هكذا في المعجم : (بحر - بخر - بدر - بذر) فالحاء أسبق من الخاء والحاء أسبق من الدال والذال أسبق من الذال ... وهكذا .

ج- تجريد الكلمات من الزوائد ، وينظر إلى أصولها ويرتبها حسب الحرف الأول " بابا " والثاني " فصلا " (١) .

د- شرح الكلمة شرحاً دقيقاً ، مخيراً الأساليب الرائعة ، والعبارات المبدعة ، لتحقيق ما هدف إليه .

هـ- ومن مميزات كتاب " أساس البلاغة " :-

أولاً: اهتمامه بالأساليب المجازية ، بقسم مستقل بعد ذكر المعاني الحقيقية .
ثانياً: أورد الأساليب الرائعة المشتملة على المعاني البارعة .

جزى الله الزمخشري عن العربية خير الجزاء

المأخذ على (أساس البلاغة)

١- عدم عنايته بالضبط إلا في القليل من المواد ، ولعل السر في ذلك يرجع إلى استقرار الوضع اللغوي .

٢- إهماله أسماء من تنسب إليهم العبارات الرائعة والأساليب البلاغية موضع الأمثلة التي ضرب بها في معجمه ، فلو نسبها لعرفنا من خلال النصوص عصورها التاريخية التي قيلت فيه .

(١) مثلاً : كتب تكون في باب الكاف مع مراعاة التاء والباء ، وكلمة معالم تكون في باب العين مع مراعاة اللام والميم ، لأنها مزيدة الميم الأولى والألف ، وكلمة مكتب مزيدة الميم ... وهكذا .

٣- مخالفته لمنهج المدرسة الأبجدية العادية في بعض الأحيان^(١)

٤- اهتمامه بالتراكيب والأساليب ، لا بالألفاظ والكلمات ، مما يجعل الضبط غير داخل في منهجه

٥- طريقة شرحه لا تفصح عن المعنى بالدقة المطلوبة ، إذ يعتمد في شرح المعنى بوضع اللفظ في تركيب .

٦- استعمل لفظ الاستعارة والكناية على أنها مرادفة للمجاز .

٧- عدم التزامه في أساسه منهجا محددًا في وضع مشتقات المادة ، كوضعه الأسماء قبل الأفعال ، نحو : جمل وجنب وحنس ، أو العكس .

ومع ذلك فهذه بعض من كثير لم نذكره ، ولم يقلل ذلك كله من قيمة الكتاب ولا من قيمة مؤلفه ، فهو من أشهر المراجع اللغوية ، وأكثرها ذيوغًا في العصر الحاضر ، ولكن الغرض هو إخراج هذا المعجم في صورة آية رائعة تعبيرًا عن مكانة العالم الفذ والإمام اللغوي المفسر ، كما أن الكتاب استقى مادته من فصيح كلام العرب ، ولهجات القبائل ، وما طولع في بطون الكتب ومتون الدفاتر ، فقد اعتمد على الاستشهادات من القرآن الكريم ، والحديث الشريف والشعر ، والأمثال والحكم .

٢-دراسة لكتاب " المعجم الوسيط "

عنى مجمع اللغة العربية^(٢) بإصدار معجمات تختص بمجالات علمية مختلفة في الفلسفة والطب والطبيعة والكيمياء ، وهي معجمات تراعي أعمار وثقافات من تقدم إليهم ، ومنها : المعجم الكبير ، والمعجم الوسيط ، والمعجم الوجيز^(٣) .

(١) لوضعه مادة " زحزح " قبل مادة (ز ح ز) ، ووضعه مادة (ف أ س) قبل مادة (ف أ ف أ) ، والصواب هو العكس حسب منهج هذه المدرسة .

(٢) أنشئ مجمع اللغة العربية ١٩٣٤م - ومن أهدافه : المحافظة على سلامة اللغة العربية ، ولأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحديث ، كذلك يهدف المجمع إلى وضع معجم تاريخي دقيق للكلمات العربية وتغيير مدلولاتها ، وأن ينظم المجمع دراسة علمية للهجات العربية الحديثة في مصر والبلاد العربية ، كما يعمل على البحث في كل ما له شأن في تقدم اللغة العربية .

(٣) قامت هذه المعاجم على يد جهود علماء له مكانتهم العلمية في المجال اللغوي ، أمثال الأساتذة : إبراهيم مصطفى ، ومحمد علي النجار - أحمد حسن الزيات - حامد عبد القادر ، عبد السلام محمد هارون

الهدف من تأليف هذا المعجم

نظرًا لعدم قدرة المعاجم السابقة على الوفاء بمطالب العلوم والفنون الحديثة ، على الرغم من غزارة مادتها ، وتنوع أساليبها - كذلك وقوف أصحابها عند حدود زمنية أفقدتها هذه المعاجم القدرة على التطور ، فكان لا بد من إخراج معجم حديث ، قريب المآخذ ، سهل التناول ، يفي بحاجات العصر ومتطلباته ، ويجمع بين القديم والحديث ، ويخلص المعاجم السابقة من الركود والجمود ، ويحطم الحدود الزمانية والمكانية التي فرضتها هذه المعاجم على اللغة العربية ، فكان تأليف هذا الكتاب .

منهج الكتاب

- ١- سار على نهج المدرسة الأبجدية العادية : حيث قسم الكتاب إلى أبواب تبعًا للحروف الهجائية من الألف إلى الياء ، باعتبار الحرف الأول بابا ، ثم مراعاة الحرف الثاني والثالث والرابع ... إلخ ، نحو : شكر ، تقول : باب الشين ، مع مراعاة الكاف والراء .
- ٢- تجرد الكلمة من الزوائد ، والإتيان بالأصل .
- ٣- تقديم الأفعال على الأسماء ، والأقل كمية في اللفظ على الأكثر ، كتقديم المجرى على المجرى ، والمزيد بحرف على غيره ، وهكذا وتقديم المعنى الحسي على المعنى العقلي ، والحقيقي على المجازي ، لإدراكها أو لا ، وتقديم الفعل اللازم على المتعدي .
- ٤- استعمل المجمع " رموزا " بقصد الاختصار ، وتيسير البحث ، ومن الرموز المستعملة في هذا المعجم : " ج " لبيان الجمع ، " مو " للدلالة على المولد ، " مع " للدلالة على المعرب ، " د " للدخيل ، " مج " للألفاظ التي أقرها المجمع ، " محدثة " للألفاظ التي استعملها المحدثون ، وشاع في لغة الحياة اليومية (١)
- ٥- حذف ما يجدونه مهجور الاستعمال ، قليل الجدوى وذلك يتمشى مع أهدافهم في تبسيط المادة اللغوية للباحث .

(مشرفاً) ، وأصدروا الطبعة الأولى من المعجم الوسيط عام ١٩٦٠ م ، ثم صدرت الطبعة الثانية ١٩٨٠ م على يد الدكاترة : إبراهيم أنيس - عبد الحليم منتصر ، بإشراف : حسن علي عطية ، ومحمد أمين شوقي .
(١) انظر : مقدمة المعجم الوسيط ١/١٦، ١٥.

- ٦- العناية بالضبط بالشكل والإفادة من التراث المعجمي وكتب اللغة .
- ٧- الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأمثال وأقوال العرب .
- ٨- إهماله للألفاظ الحوشية الجافة ، أو ما هجر الناس استعماله لعدم الحاجة إليه ، ولعدم فائدته
- ٩- القضاء على مشكلة التصحيف والتحريف .

المأخذ على المعجم الوسيط

رغم حسناته إلا أن عليه بعض المآخذ ، ومنها :-

- ١- نص في مقدمته على أن يقوم منهجه على هجر الألفاظ التي هجرها الاستعمال ، ومع ذلك فقد
 - ٢- اشتمل على بعض هذه الألفاظ مخالفاً بذلك منهجه ، مثل قوله : الهارع : الناقة السريعة الشديدة .
 - ٣- شرع اللفظ بما هو أكثر غموضاً ، كقوله : كثر من الكثيراء ، نوع نبات من جنس " الأسطر غالس " من فصيلة القرنية .
 - ٤- إحالته شرح المادة - أحياناً - على ما ذكره في موضع آخر ، ثم يتضح خلافه ، كقوله : الهيدكور ، انظر مادة (ه د ك ر) ، وعندما نرجع للمعجم نتبين عدم تسجيل هذه المادة في موضعها المحدد لها .
- ومع كل هذا قام بتأليفه أساتذة لهم حسهم اللغوي ، وشهرتهم الفائقة في عالم اللغة والأدب ، فهو مفيد لكل باحث ، تميز بالسهولة في سبيل لم المتفرق ، وجمع الشمل .

فهرس الكتاب

رقم الصفحة	الموضوع
٩ . ٣	السيرة الذاتية
١٤ . ١٠	المقدمة
٣٣	
٥٢ . ٣٥	الفصل الأول : علم المعاجم
٣٦	المعجم بين اللغة والاصطلاح
٤١	الفرق بين علم المعجم ، وصناعة المعجم
٤٣	الحاجة إلى المعاجم
٤٥	وظيفة المعجم
٤٥	بعض أنواع المعاجم
٤٧	مراحل اللغة فى تكوين المعجمات
٤٩	الخلاف حول عدد حروف العربية
٤٩	ترتيب الحروف العربية
٨٢ . ٥٣	الفصل الثانى : التفكير المعجمى عند العرب
٥٣	[نشأته ، وأطواره التاريخية]
٥٤	من تراثنا اللغوى : المعاجم العربية
٥٦	من عيوب المعاجم العربية القديمة
٥٧	عيوب معاجمنا العربية
٥٨	كيف نعالج عيوب معاجمنا
٥٩	أولا : مدرسة التقليبات الصوتية
٥٩	كتاب العين للخليل
٦٠	الهدف من وضعه
٦٠	الآراء فى نسبة المنهج للخليل
٦١	الآراء فى نسبة العين للخليل
٦٣	منهج الخليل فى كتاب العين

٦٥	المآخذ فى كتاب العين
٦٥	أثر كتاب العين فى التأليف المعجمى
٦٦	ثانياً : مدرسة التقلبات الألفبائية
٦٧	منهج ابن دريد فى " جمهرة اللغة "
٦٨	المآخذ على الجمهرة
٦٩	أثر جمهرة اللغة فى المعجمات العربية
٦٩	ثالثاً : مدرسة القافية
٧١	منهج الجوهرى فى الصحاح
٧٢	الهدف من تأليف الصحاح
٧٣	خصائص معجم الصحاح
٧٤	طريقة الكشف فى معجم الصحاح
٧٤	المآخذ التى وجهت إلى معجم الصحاح
٧٥	كتاب " القاموس المحيط " للفيروز آبادى
٧٥	منهج القاموس
٧٦	المآخذ على القاموس
٧٧	أثر القاموس المحيط
٧٧	رابعاً : المدرسة الهجائية العادية
٧٨	كتاب : أساس البلاغة " للزمخشري
٧٩	منهجه فى الكتاب
٧٩	مميزات الكتاب
٧٩	المآخذ على الكتاب
٨٠	دراسة لكتاب " المعجم الوسيط "
٨١	الهدف من تأليفه
٨١	منهج الكتاب
٨٢	المآخذ على المنهج الوسيط

” الحمد لله : انتهيتُ من تأليف كتاب (علم المعاجم) ..

وأرجو الله أن ينفع به الأمة ...